صدر حديثاً عن مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية



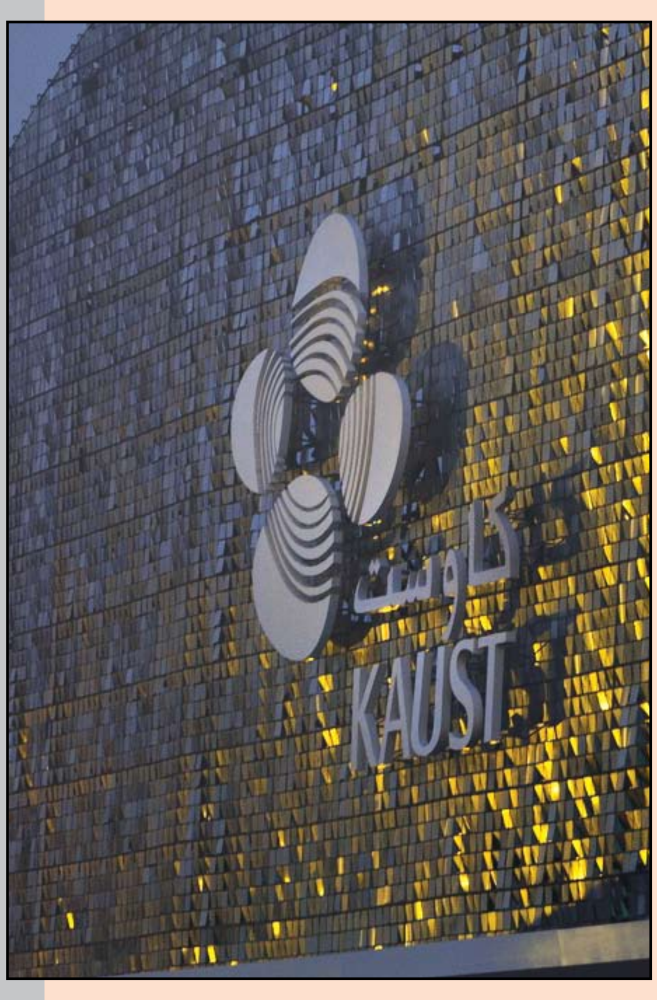






الجوبة - العدد ٢٤ - صيف ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الجـوبـة



أضواء على تجربة الشاعر
إلياس أبو شبكة
غالية آل سعيد في
(سنين مبعثرة)
ابن زريق البغدادي
في (لا تعذليه)
قصص: شيمة الشمري
سناء الشعلان
شعر:
يوسف العارف، ملاك الخالدي،
سعد الرفاعي
مواجهات مع
إبراهيم خليف السطام
إدوار الخراط
الشاعر عدنان الصايغ
أحمد حسن الزعبي

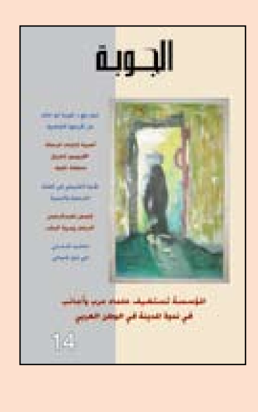
ملف العدد:

افتتاح جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست)

KAUST

24

من إصدارات الجوبة

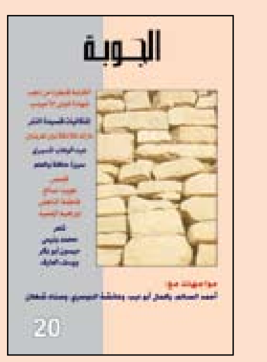




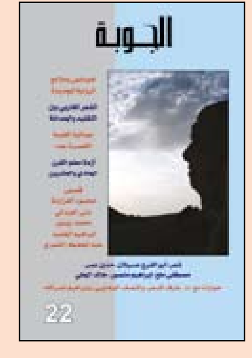


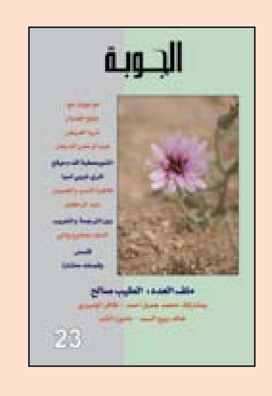




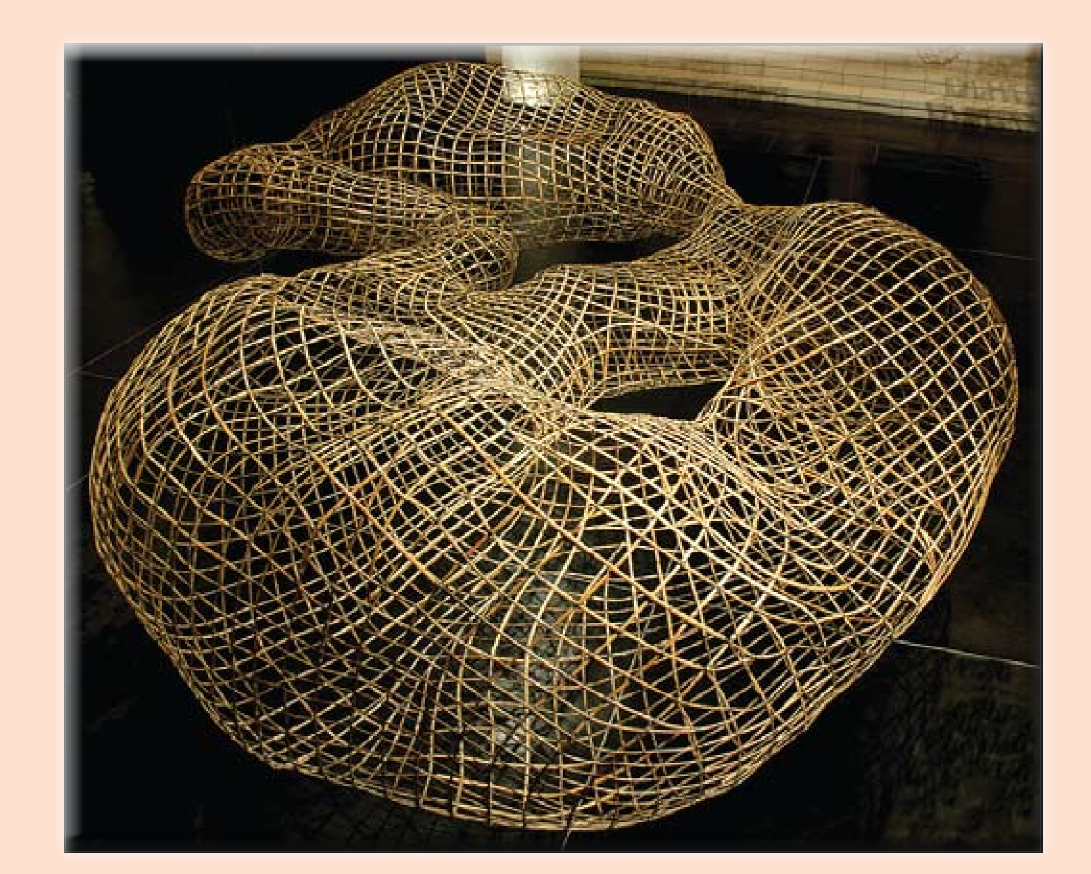












عمل فني، في أحد مباني الجامعة للفنان: سوبهيب رمية من كمبوديا



خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، حفظه الله، لحظة استقباله زعماء العالم في حفل الافتتاح التاريخي لجامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست KAUST).



ملف ثقافي ربع سنوي
يصدر عن مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية

المشرف العام

إبراهيم الحميد

المراسلات

توجّه باسم المشرف العام
هاتف: ٦٢٤٥٩٩٢ (٤) (٩٦٦+)
فاكس: ٦٢٤٧٧٨٠ (٤) (٩٦٦+)
ص. ب ٤٥٨ سكاكا
الجــوف - المملكة العربية السعودية
aljoubah@gmail.com
www.aljoubah.com

ردمد ISSN 1319 - 2566
سعر النسخة ٨ ريالات
تطلب من الشركة الوطنية للتوزيع

العدد ٢٤
صيف ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



قواعد النشر

١ - أن تكون المادة أصيلة.
٢ - لم يسبق نشرها.
٣ - تراعي الجدية والموضوعية.
٤ - تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها.
٥ - ترتيب المواد في العدد يخضع لاعتبارات فنية.
٦ - ترحب الجوبة بإسهامات المبدعين والباحثين والكتّاب، على أن تكون المادة باللغة العربية.

الجوبة من الأسماء التي كانت تطلق على منطقة الجوف سابقاً

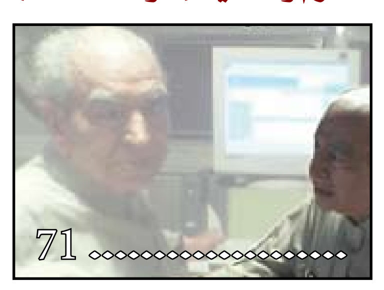
الناشـــر: مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية
أسسها الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري (أمير منطقة الجوف من ١٣٦٢/٩/٥هـ - ١٤١٠/٧/١هـ الموافق ١٩٤٣/٩/٤م - ١٩٩٠/١/٢٧م) بهدف إدارة وتمويل المكتبة العامة التي أنشأها عام ١٣٨٣هـ المعروفة باسم دار الجوف للعلوم. وتتضمن برامج المؤسسة نشر الدراسات والإبداعات الأدبية، ودعم البحوث والرسائل العلمية، وإصدار مجلة دورية، وجائزة الأمير عبدالرحمن السديري للتفوق العلمي، كما أنشأت روضة ومدارس الرحمانية الأهلية للبنين والبنات، وجامع الرحمانية.

الـمـحـتـويـــات

الافتتاحية ٤
ملف العدد: جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية كاوست........٦
دراسات: رواية غالية آل سعيد (سنين مبعثرة) - هدى المعجل .. ٢٨
بين السيرة الشعبية والقصص الشعبية - يسري عبدالغني ٣٦
أضواء على تجربة الشاعر إلياس أبو شبكة - رامي أبو شهاب .. ٤٤
قصص قصيرة: المقعد الخالي - ابتسام التريسي ٤٩
الحالمة - نادية العسري ٥٠
سبع قصص قصيرة جدا - شيمة الشمري ٥١
المجاعة - د. سناء شعلان.................................. ٥٢
قلوب شائكة - لولوه العتيبي ٥٤
قصة للأطفال.. واحة الغزلان - إبراهيم شيخ ٥٥
شعر: البرتقالة - د. يوسف العارف ٥٨
بين غبار الثلج ونعومته! - ملاك الخالدي ٥٩
أعطني.. نايا أغني - ميسون أبو بكر ٦٠
ثنائية البحر والقفر؟! - سعد بن سعيد الرفاعي ٦١
تَاريخُ الطمأنينة..!. - علي العسيري........................ ٦٢
سيدةٌ تلعق وحدتها - د. دعاء صابر ٦٣
قصيدتان - عبدالرحيم الماسخ.............................. ٦٤
حينما يبكي النسيم - حمدي هاشم حسانين ٦٥
نقد: «تراتيل العدم»: لـ: مها حسن - هيثم حسين ٦٦
رمزية المرأة والخصب في أدب العجيلي - محمد السمّوري ... ٧١
سِفْر (سيف بن أعطى) سيرة لم تكتمل بعد - فريال الحوار ... ٧٣
مواجهات: حوار مع الروائي إدوار الخراط - محمد الحمامصي ٧٥
حوار مع الكاتب الساخر أحمد حسن الزعبي- محمد صوانه.. ٧٩
حوار مع أول مدير تعليم بمنطقة الجوف - محمود الرمحي ... ٨٣
حوار مع الشاعر العراقي عدنان الصايغ - محمد نجيم ٨٨
نوافذ: ليلة العيد - فواز بن صالح الجعفر ٩٤
المنفلوطي من رواد التجديد في النثر الفني الحديث - د. عبدالناصر محمود عيسى................................ ٩٥
القراءة الرقمية - حسام عبدالقادر ٩٩
مقاربة حول عوالم الروائي حنا مينه - عمران عز الدين......١٠٢
قراءة في قصيدة (لا تعذليه) لابن زريق البغدادي - نورا علي ١٠٧
فنون: فيصل الخديدي الإبداع والتجميد في حكايات من زمن الحب والجليد - ليلى ايت سعيد ١١٠
مال واقتصاد: التورق في الإسلام - د. نضال الرمحي ١١٤
قراءات:..١١٩
الأنشطة الثقافية بالمؤسسة - عماد المغربي ١٢٧



افتتاح جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست Kaust)



رمزية المرأة والخصب في أدب العجيلي



حوار مع الكاتب الروائي إدوار الخراط



حوار مع أول مدير تعليم بمنطقة الجوف

الغلاف:
صورة لواجهة مبنى الاحتفال بتدشين الجامعة

كـاوسـت KAUST

■ إبراهيم الحميد

لقد كان إنشاء جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية (كاوست) - التي بدأت كبيرة، ككبر مؤسسها في أفعاله وأقواله - حلما يراود خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ابن عبدالعزيز آل سعود. حلم.. ما بين الحلم والواقع مساحات.. قليل من يستطيع ردمها. ومن لا يحلم، لا يستطيع أن يبني. وعندما يأتي الحلم من رجل حمل هموم أمته ووطنه طوال مسيرة حياته الحافلة بالعطاء، يأتي هذا الحلم على قدر هذا الرجل شامخا، قويا، حاملا معه مشاعل النور والأمل.

لقد كانت العزيمة قوية وصادقة لدى هذا الملك الكبير، ملك الإنسانية.. ملك العلوم والتقدم والجامعات، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. ولذا لم يأبه - حفظه الله - لكل الصعوبات التي قد تواجه حلمه الكبير، فكانت النتائج مشرفة ومبهرة.

إننا جميعا شهود لحظة انطلاقة هذه الجامعة الاستثنائية، لأنها لحظة تاريخية فاصلة في تاريخ المملكة العلمي، والتقني، والثقافي. وإذا كانت الأجيال الماضية قد شهدت بدايات انطلاق التعليم النظامي وبدايات التعليم الجامعي، انتهاء بانطلاق جامعات المناطق المختلفة، فإننا قد شرفنا بأن نكون شهودا على المرحلة الجديدة، التي دشنها خادم الحرمين الشريفين، حفظه الله، بإدخال المملكة العربية السعودية إلى العالم المتقدم، العالم الأول، الذي تكون فيه الجامعة نواة للمدينة العصرية، والمدينة المتقدمة، والمدينة المتكاملة، حيث تقوم الجامعة بدور المعزز العلمي للحياة المعاصرة، مكرسة للمبدأ الخير لعمارة الإنسان للأرض، وما جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية إلا خير مثال على ذلك.

إننا كمواطنين، لا بد لنا أن نستشعر حجم الإنجاز العظيم، والنقلة العلمية الكبيرة التي يحققها تأسيس هذه الجامعة البحثية الكبرى وافتتاحها، من خلال إخراج جيل من الشباب القادر على التعامل مع معطيات هذه الجامعة، والاستجابة لرؤية خادم الحرمين الشريفين، وحلمه في استقطاب المبدعين وتخريج العلماء من هذا الوطن وجميع أنحاء العالم، تحقيقا لرؤيته الإنسانية التي بقدر ما تحتضن أبناء وطنه.. لا تقصر عن احتضان

الإنسانية كلها. ولذا فقد استحق لقب ملك الإنسانية حفظه الله.

لقد وفر خادم الحرمين الشريفين لهذه الجامعة كل أسباب التفوق ، فمن المدينة الجامعية العظيمة التي بنيت من الصفر، إلى أحدث التقنيات الحاسوبية والكمبيوترات العملاقة والمعامل المتقدمة، حتى أصبحت مدينة متكاملة، تضم إلى جانب المكتبة وقاعات المحاضرات ومراكز الأبحاث.. ممرات المشي، ومسطحات الغولف، والمتحف الذي يعبر عن استعادة رسالة المسلمين في العلوم.. بحثا عن بيت الحكمة. وها هي – الجامعة – تستعيده، وتجده بعد أن تاه في غياهب القرون – (٧٥٠) عاما – منذ أن اختفى بيت الحكمة البغدادي في ذلك الحين،

وقد جاء حفل الافتتاح التاريخي، الذي رعاه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ابن عبدالعزيز، خير دليل على استعادة هذه الحكمة التي جمعت زعماء العالم، ليكونوا شهودا على انطلاقة هذه المرحلة التاريخية الجديدة في بلادنا.

لقد عزز إنشاء هذه الجامعة الكبيرة – بناء على حلم القائد الذي رافقه طوال خمس وعشرين عاما – الانطباع الذي يحمله كل أبناء هذا البلد، عن قائد المسيرة، بعد أن أنشأ جامعة في كل منطقة لم يكن بها جامعة، وتعزيز المناطق المكتظة بالمزيد من الجامعات، من أنه ملك يشغله هم أبنائه ومستقبلهم، وأن مستقبل الوطن بخير.. ما دام هو من يخطط له. وها هي بواكير المستقبل الأتي.. بدأت في التشكل على الأرض.. وأصبحت حقيقة وواقعا، تمثله هذه الجامعة التي بدأت كبيرة. ونرجو من الله جل وعلا أن تزداد سموا، وإنجازات، تسابق بها العالم. وعليه، فإن لقبا جديدا يستحقه خادم الحرمين الشريفين أو ألقابا أخرى ستشرف به، وبتاريخه، عن كل جدارة، ومنها ملك العلوم، وملك الجامعات، وملك التقدم، إلى جانب ملك الإنسانية التي ازدادت به شرفا.

إن مجلة الجوبة – وهي تخصص ملفا متواضعا عن الجامعة – لتدرك أهمية اللحظة التاريخية التي نعيشها في بلادنا، بعد افتتاح هذه الجامعة؛ ولذا، فقد حرصت الجوبة على توثيقها، وتعريف قرائها ببعض تفاصيلها التي قد لا تغيب عن الكثير، ولكنه تكريس لأهمية هذه الحدث، واستنهاض لهمم الطلاب والعلماء والباحثين للحاق بركب جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية «كاوست»، ولا نبالغ إننا قد نرى من يؤرخ للمملكة بمرحلة ما قبل (كاوست) وما بعدها، ومن هذا المنطلق جاء حرصها على إشراك عدد من أساتذة الجامعات في هذا الملف للتعبير عن آرائهم وفرحتهم بكاوست وولادتها.

جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية كاوست



بوابة التقدم للمملكة العربية السعودية

■ كتب المحرر الثقافي

افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، بحضور عدد من قادة الدول العربية والإسلامية والصديقة جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية في ثول، وذلك يوم الأربعاء ٤-١٠-١٤٣٠هـ الموافق ٢٣-٩-٢٠٠٩م، وقد بدأ حفل التدشين الكبير بمشاهدة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وضيوفه - رؤساء الدول - مجسماً للجامعة، واستمعوا إلى شرح من وزير البترول والثروة المعدنية رئيس مجلس الأمناء عن منشآت الجامعة، كما قام حفظه الله وضيوفه بجولة في المعرض الذي أقيم بهذه المناسبة، وقد شاهد خادم الحرمين الشريفين والحضور فيلماً قصيراً عن الجامعة وفكرتها.

وأوضح رئيس الجامعة البروفيسور تشون فونج شيه[1]، أن جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية تهدف إلى اكتشاف المعرفة وتبادلها وتطبيقها، وهي تجمع العلماء الرواد والواعدين من جميع أنحاء العالم، لمتابعة تحصيلهم العلمي، ليكونوا في مقدمة صفوف الباحثين والمخترعين والمبتكرين، والذين ستساعد إنجازاتهم العلمية المنتظرة في رفع مستوى حياة الناس والتصدي للتحديات الكبيرة التي تواجه البشرية.


خادم الحرمين الشريفين مع رؤساء الدول أثناء حفل الافتتاح


خادم الحرمين في صورة تذكارية مع منسوبي الاحتفال بجامعة الملك عبدالله للعلوم

واستطرد قائلا: «لقد اجتمعنا على شاطئ البحر الأحمر - هنا - عند ملتقى الشرق والغرب.. ملتقى القديم والجديد، ملتقى التحديات والفرص، لنشهد ولادة أحدث جامعة في العالم، لقد جئنا من جميع أنحاء العالم.. من المؤسسات الأكاديمية والصناعية.. من أروقة السلطة وقطاع الأعمال ومختبرات العلوم.. من مختلف مناحي الحياة.. توحّدنا تطلعاتنا المشتركة».

وأضاف «لقد اشترك كثيرون عبر فترات زمنية طويلة، وبذلوا جهودا شاقة، ووهبوا قلوبهم، وأفرغوا طاقاتهم، لإنشاء جامعة غير عادية.. في زمن غير عادي. ويشرفني أنني أسهمت مع جمع غفير من الناس المتفانين المخلصين لنصل إلى هذا اليوم المشهود».

وأشار تشون فونج شيه إلى أن «دار الحكمة» كانت مركزا عظيما للتعلم، ومستودعا للمعارف.. اجتذب العلماء من جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك، فأسهموا في تقدم المعرفة في مجالات عديدة مثل: الرياضيات، والطب، وعلم الفلك، وطبقوا اكتشافاتهم لتحسين حياة الناس القريب منهم والبعيد.

وتابع قائلا: «وفي أكثر من مناسبة سمعنا من خادم الحرمين الشريفين حديثه عن هذه الجامعة، بوصفها بيتا جديدا للحكمة، وهدية منه إلى شعب المملكة وشعوب العالم».

مؤكداً ثقته بأنه سيأتي اليوم الذي نرى فيه الجامعة راسخة في هذا المركز الحيوي، بينما يجري الاعتراف بدورها المحفز للنمو الاقتصادي للمملكة على نطاق واسع في الداخل والخارج، كما نرى أفضل الخريجين من أبرز جامعات العالم يختارون متابعة اهتماماتهم العلمية فيها. وأفاد


مجلس أمناء الجامعة





بأن الجامعة أصبحت مركزا ذا شهرة عالمية للعلوم والتقنية والابتكار والمشاريع، وتقف كتفا إلى كتف مع شركائها من الجامعات ومؤسسات الصناعة في جميع أنحاء العالم، سعيا وراء إيجاد أحدث الحلول والتحديات العلمية الرئيسة.

وتوقع لهذه الجامعة أن تحقق بعد جيل واحد فقط من الآن حلم خادم الحرمين الشريفين، بأن تكون ملتقى للعلوم والبحوث، ومنارة من منارات المعرفة للأجيال القادمة، متمنيا لها دوام النمو والازدهار، وأن تبقى هبة نابضة بالحياة من أجل أجيال العالم القادمة.

من جانبه، قال المهندس علي بن إبراهيم النعيمي وزير البترول والثروة المعدنية رئيس الأمناء، «اليوم هو يوم المملكة الوطني، وفي ظل معاني هذا اليوم المجيد، يسجل التاريخ بادرة سعودية جديدة،ستذكرها الأجيال القادمة بكثير من العرفان والامتنان والشكر لصاحب الرؤية الرائدة في بناء هذا الصرح العلمي الحديث».

وأضاف قائلا: «في هذا اليوم المشهود يجتمع العالم يا خادم الحرمين الشريفين ممثلا بقادته وعلمائه وموهوبيه، ليشاركوكم تحقيق حلم انطلاقة جامعة الملك عبدالله إلى آفاقها العالمية الواسعة.. ولعلني في هذا الموقف التاريخي



خادم الحرمين الشريفين . حفظه الله .
ويبدو معه رئيس الجامعة البروفيسور تشون فونج شيه



الحرم الجامعي الرئيسي
في جامعة الملك عبد الله من مدارج البحر



الكبير، أستطيع أن أعبر لكم عن مدى ما أشعر به من السرور والاغتباط،لاكتمال مرحلة تأسيس هذه الجامعة».

وتابع قائلا: «لا أبالغ إطلاقا إذا قلت إن مشروع هذه الجامعة هو أهم وأجمل المشاريع التي شاركت في بنائها طوال سنوات عملي؛ وبالنسبة لجميع أعضاء مجلس الأمناء، وجميع أعضاء فريق العمل، كان هذا المشروع (الحلم) يتشكل ليصبح حقيقة يوما بعد يوم.. على مدى سنوات ثلاث، افتتح أعمالها ونشاطاتها بحماس كبير، وهمة عالية، أعضاء فريق العمل المكلف من «أرامكو السعودية»، الذين استثمروا مواهبهم وقدراتهم، وبذلوا جهداً وحماسة كبيرين أثناء فترات التأسيس، ليتحقق وعدهم لكم بأن ترى هذه الجامعة النور خلال سنتين من بدء أعمال إنشائها».

وأفاد النعيمي أن عدد الذين تم اختيارهم للالتحاق بالجامعة بلغ نحو (٨٠٠) باحث ودارس، تم اختيارهم من بين ما يزيد على سبعة آلاف متقدم، حيث بدأ (٤٠٠) طالب الدراسة فعليا قبل ثلاثة أسابيع، فيما سيلتحق الآخرون في الفصل الدراسي التالي.

وشدد النعيمي على أن الجامعة بدأت في تحقيق الجانب الثاني من رؤية خادم الحرمين الشريفين لها، الذي يتمثل في تقديم بيت الحكمة الجديد على الأراضي السعودية، من خلال استخدام أفضل ما يملكه العالم، ليسخر في تنمية الواقع الإنساني، منوها برؤية جلالته التي تبلورت من خلال تسخير وسائل العلم، لرفع وتيرة الاستثمار الاقتصادي في المملكة، إذ ينتظر أن تقود هذه الجامعة العديد من جوانب التنمية الاقتصادية فيها.

ولفت النعيمي الأنظار إلى أن الكثير من الأبحاث التي ستجريها الجامعة، سيستفيد منها قطاع الصناعة والاستثمار السعودي، بوصفه المؤثر الأكبر في العملية التنموية، مشيرا في الوقت ذاته إلى أن من بين برامج الجامعة البحثية التعاون مع الشركات الصناعية الوطنية والعالمية، ما يهدف إلى تحويل الاكتشافات البحثية على تطبيقات عملية لصالح الشعب السعودي.

وفي السياق ذاته، قال الدكتور خالد بن محمد



العنقري وزير التعليم العالي، «إنه لشرف عظيم أن أكون متحدثا بين يدي الصفوة المتميزة من رؤساء وملوك الدول في عالمنا الرحب، الذين آثروا الحضور رغم مهامهم الجسام، تقديرا منهم للعلم وأهله، ودعما لمؤسساته ومخرجاته، وإيمانا بدوره في إسعاد البشرية».

وأضاف العنقري قائلا: «إن الطموح في تلك الحقبة المبكرة، كان بحجم حلم قادتنا الأكابر، الذين رفعوا منارة التعليم، منطلقين من رؤية مؤسسة الملك عبدالعزيز الذي أمر - رحمه الله - بإنشاء مديرية للمعارف عام ١٣٤٤هـ ١٩٢٩م، فكانت النواة الأولى التي انطلقت منها مسيرة التعليم في المملكة بخطاها الواثقة، واستمر التطور في مسيرة التعليم، وتشكلت خطواته مرحليا بناء على احتياجات شعب شغوف بالتطور والتقدم، حتى أصبح لدينا الآن أربع وعشرون جامعة حكومية، وتسع جامعات أهلية، تنتشر كلياتها ومعاهدها في ربوع المملكة كافة».

كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود في حفل الافتتاح

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو أيها الحضور الكرام

لقد كانت فكرة هذه الجامعة حلما يراودني منذ أكثر من (٢٥) عاما، وكانت هاجسا ملحا عشت معه طويلا، وإني أحمد الله سبحانه أن مكننا من تجسيدها واقعا، نراه اليوم شامخا بحول الله وقوته على تراب أرضنا باسم الشعب السعودي، وهنا أعرب لكم عن شكرنا العميق لحضوركم ومشاركتنا احتفال مولد هذا الحلم.

إخواني.. أيها الحضور الكرام

لقد كان للحضارة الإسلامية في تاريخها دور عظيم في خدمة الحضارة الإنسانية بعد الله جل جلاله، وقد أسهم علماء المسلمين في مجالات كثيرة؛ ففي الطب كان الدور لابن النفيس، وفي



الكيمياء كان لجابر ابن حيان تأثيره الفارق في مسيرته، وفي الجبر كان للخوارزمي دور فاعل، أما في علم الاجتماع فقد كان لابن خلدون تأثيره العظيم فيه؛ لذلك فإن الجامعة التي نحتفل بها لا تبدأ من الصفر، فهي استمرار لما تميزت به حضارتنا على مر العصور، وكان سببا في ازدهارها.. وهذا هو المعنى الأول للجامعة.

أيها الحضور الكرام

لقد ارتبطت القوة عبر التاريخ بعد الله بالعلم، والأمة الإسلامية تعلم أنها لن تبلغ ذلك إلا إذا اعتمدت بعد الله على العلم، فالعلم والإيمان لا يمكن أن يكونا خصيمين إلا في النفوس المريضة، ولقد أكرمنا الله بعقولنا،كي نعرف سنة الله في خلقه، وهو القائل جل وعلا: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾، وهذا هو المعنى الثاني للجامعة. لقد تعرضت الإنسانية لهجوم عنيف من المتطرفين الذين يرفعون لغة الكراهية، ويخشون







الفرار، ويسعون للهدم، ولا يمكن أن نواجههم إلا إذا قمنا بالتعايش محل النزاع، والمحبة محل الأحقاد، والصداقة محل الصدام، ولا شك أن المراكز العلمية التي تحتضن الجميع في الخط الأول للدفاع ضد هؤلاء المتطرفين.

واليوم هذه الجامعة تنضم إلى زميلاتها في كل مكان من العالم دارا للحكمة ومنارة للتسامح، وهذا هو المعنى الثالث للجامعة. وأخيرا.. أشكر شركة أرامكو السعودية التي أشرفت على تأسيس هذه الجامعة خلال فترة وجيزة، وأتمنى لمنسوبي الجامعة التوفيق والسداد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



أضواء على الجامعة

رؤية خادم الحرمين الشريفين

بيت الحكمة.. رغبة منه في إحياء ونشر فضيلة العلم العظيمة السامية التي ميزت العالمين العربي والإسلامي في العصور الأولى، فقد أنشأها حفظه الله لتكون بيتًا جديدًا للحكمة على شواطئ البحر الأحمر.

فقد كان بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون مع والده هارون الرشيد عام ٨٣٠ م، بمثابة مكتبة ومركز بحوث وديوان ترجمة، خلال الفترة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر، في بغداد، وكان يضم مخطوطات القدماء، ومنها مخطوطات أصلية باللغات الفارسية، واليونانية، والسنسكريتية، التي جُمعت وتُرجمت إلى اللغة العربية. وقد قدمت هذه النصوص وانجازات





مباني مختبر الأبحاث الجنوبي وقت الغروب

علماء بيت الحكمة في مجالات الرياضيات والعلوم والطب والملاحة والزراعة وعلم الفلك، إسهامات مهمة للحضارة الغربية.

وحينما غزا المغول بغداد عام ١٢٥٨ م، دمروا بيت الحكمة، وجميع المكتبات الأخرى في المدينة. ويقال إن مياه نهر دجلة صبغها السواد ستة أشهر من حبر الكتب التي طرحت في النهر.

واليوم - وبعد مرور (٧٥٠) عامًا - يرتفع «بيت جديد للحكمة» في الصحراء العربية. وكما أكد حفظه الله خلال الكلمة التي ألقاها في حفل وضع حجر الأساس، «ستكون جامعة الملك عبدالله منارة للسلام والأمل والوفاق، وستعمل لخدمة شعب المملكة ولنفع جميع شعوب العالم، عملاً بقول الله تعالى في كتابه العزيز (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا).

٤٥ ألف عامل لإنجاز الجامعة

ذكرت مجلة القافلة: أوكلت إلى شركة هيلموث، أوباتا آند كاسابوم (HOK)، وهي إحدى كبريات الشركات المعمارية، مهمة التخطيط للحرم الجامعي، وعهد بتنفيذ الأعمال الرئيسة إلى اثنتين من أكبر شركات الهندسة والمقاولات في المملكة، وهما «سعودي أوجيه»، و«مجموعة بن لادن». وتم تقسيم المشروع إلى ثلاثة أقسام هي الحرم الجامعي، والأحياء السكنية، والخدمات والبنى التحتية.

وقد وصل عدد عمال المشروع في وقت من

الأوقات إلى (٤٥) ألف عامل، يعملون في فترتين نهارية وليلية، لإنجاز المشروع في وقته المحدَّد. وقد تطلَّب العمل استخدام (٣٨٠) رافعة ضخمة وثمانية آلاف معدة وشاحنة ثقيلة.

مجالات التدريس في الجامعة

وتتمثل في العلوم الآتية:

١- الرياضيات التطبيقية.
٢- العلوم البيولوجية.
٣- الهندسة الكيميائية والبيولوجية.
٤- العلوم الكيميائية.
٥- علوم الكمبيوتر.
٦- علوم وهندسة الأرض.
٧- الهندسة الكهربائية.
٨- العلوم والهندسة البيئية.
٩- العلوم والهندسة البحرية.
١٠- علوم وهندسة المواد.
١١- الهندسة الميكانيكية.

وكل مقررات التدريس باللغة الإنجليزية.

مراكز الأبحاث

يوجد حالياً تسعة مراكز، من المقرر أن تصل إلى عشرين مركزا عام ٢٠٢٠م.

ولا تتضح نوعية الدراسة في جامعة الملك عبدالله، إلا من خلال إطلالة سريعة على ما توفِّره الجامعة للباحثين والطلبة في رحابها من مختبرات ومراكز أبحاث، تدغدغ أحلام أشد الباحثين طموحاً. وقد انطلقت الدراسة في الخامس من سبتمبر بوجود تسعة مراكز أبحاث في الجامعة تشكِّل الوحدات الأساسية للأبحاث فيها.

وينصبُّ الاهتمام في مراكز الأبحاث الأولى على المجالات التالية:

- الحفر الكيميائي.
- العلوم الحيوية الحاسوبية.
- النمذجة الهندسية والتصوير العلمي.
- الأغشية.
- جينيومات الإجهاد في النبات.

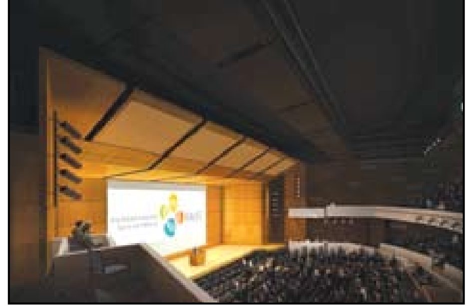


بروجكتر النجمة في أحد مختبرات الأبحاث.



- الطاقة الشمسية والطاقة البديلة.
- علوم وهندسة البحر الأحمر.
- مركز أبحاث كيمياء النانو.
- الاحتراق النظيف.
- المواد المركَّبة والمتناهية الصغر.
- الاستشعار الأرضي وتحت سطح الأرض.





- تحلية المياه وإعادة استخدامها.
- تكنولوجيا ألترا هرتز.

ويضم مركز الأبحاث النمطي ما بين (٨ و١٠) أعضاء من هيئة التدريس والطلاب والباحثين الزائرين والموظفين الإداريين والفنيين. وتلقى هذه المراكز الدعم اللازم في مرافق عديدة خاصة بكل مركز ومجموعة مختبرات مركزية تدعم هيئته.

وتعمل الجامعة على تطوير وتقوية وتنويع قدراتها البحثية في حرمها الجامعي، بحيث تكون وثيقة الصلة بكل من مجتمع الأبحاث العالمي وبرامجها التعليمية للدراسات العليا.

ودعمًا لخطة أبحاث الجامعة وتوجيهها، حددت الجامعة أربعة محاور أبحاث إستراتيجية أساسية، وعدة مراكز أبحاث تضم مختلف التخصصات، تطبق العلم والتقنية على المشكلات التي تتصل باحتياجات البشر، والتقدم الاجتماعي والتنمية الاقتصادية.

وتتمثل محاور الأبحاث في:

- الموارد، والطاقة والبيئة.



الكمبيوتر العملاق

في مركز أبحاث الخوارزمي المتخصص في علوم الرياضيات التطبيقية المتقدِّمة داخل مقر الجامعة، نجد جوهرة التقنية الكبرى، ليس على مستوى الجامعة فقط، بل على مستوى العالَم بأسره، إنه الكمبيوتر العملاق «شاهين». سادس أقوى كمبيوتر في العالم، وقد نقلته طائرتان إلى جدة.

وقد تطلَّب حصول الجامعة على هذا الكمبيوتر - الذي لا مثيل له إلا في دول خمس - مفاوضات طويلة تجاوزت الأشهر الستة مع وزارة التجارة الأمريكية وشركة «آي. بي. أم»، وفق ما ذكر كبير مسئولي معلومات التقنية المكلَّف في الجامعة المهندس ماجد الغسلان، مشيراً إلى أن تقدير العالَم للجهود التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين في نشر العلم والمعرفة، أسهمت في تذليل عقبات كثيرة، وإجراءات طويلة الأمد، واجهتها الجامعة من أجل امتلاك هذا الكمبيوتر العملاق.



كمبيوتر شاهين

- علم وهندسة المواد.
- العلوم الحيوية والهندسة الحيوية.
- الرياضيات التطبيقية والعلوم الحاسوبية.

وقد اختارت الجامعة محاور ومراكز الأبحاث هذه..لأهميتها في تقدم المعارف الأساسية في العلوم والهندسة؛ وصلتها بالصناعات القائمة في المملكة؛ وتطوير الصناعات المستقبلية القائمة على المعرفة؛ واحتياجات المملكة الاجتماعية والاقتصادية؛ وأثرها الإقليمي والدولي المحتمل.

مراكز الأبحاث

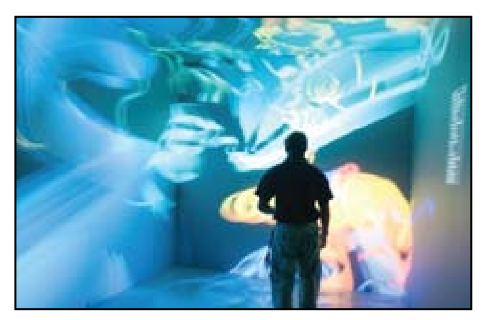
- مركز أبحاث الأغشية.
- مركز أبحاث الحفز الكيميائي.
- مركز أبحاث الاحتراق النظيف.
- مركز أبحاث الطاقة الشمسية والطاقة البديلة للعلوم والهندسة.
- مركز أبحاث تحلية المياه.
- مركز ابحاث النمذجة الهندسية والتصوير العلمي.
- مركز أبحاث العلوم الحيوية الحاسوبية.
- مركز أبحاث جينوميات الإجهاد في النبات.
- مركز أبحاث علوم وهندسة البحر الأحمر.

مركز القرنية

يقول المهندس الغسلان إن هذا المركز يضم مختبر المحاكاة البصرية ثلاثية الأبعاد، وهي تقنية تدمج العالم الافتراضي بالتجارب البحثية. ولتنفيذ هذا المختبر، استعانت الجامعة بشركات عالمية في صناعة المرئيات والصوتيات المتطوِّرة، لتمكين العلماء والباحثين من إجراء تجاربهم الحسابية والعملية بتصوير مشاهد حية للجزيئات، كما أنها تمكن جمهور الباحثين من رؤية ما يجريه باحثون وطلبة من أبحاث..على غرار تجارب انقسام الخلية الواحدة على سبيل المثال.

ويضم مختبر القرنية أربع صالات عرض، أكبرها مزوَّدة بشاشة عرض رئيسة تصل دقتها إلى (٣٢) مليون بكسل، وهي مخصصة لعرض الأبحاث على عدد كبير نسبياً من جمهور الباحثين والعلماء. في حين أن القاعات الأخرى، الأصغر حجماً، مُعدَّة لكي يحضِّر الطلاب فيها مشاريعهم البحثية قبل عرضها في القاعة الكبرى.

أما المجالات العلمية التي يمكن أن تستفيد من مختبرات القرنية هذه، فهي متنوعة وعديدة، وتشمل الطاقة وهندسة البترول، الهندسة



أحد الباحثين في جامعة الملك عبدالله داخل مركز القرنية للتصوير

الوراثية والنانو إلكترون والعلوم الحيوية. وكل ما تبثه الشاشات من أفلام تصويرية وسمعيات يتم تسجيله تلقائياً ليبث مباشرة أو لاحقاً إلى (٤٠) مركزاً ومعهداً بحثياً حول العالم، ترتبط بها مراكز الجامعة حالياً.

زراعة القمح في المياه المالحة مثال لأبحاث الجامعة

ضمن كوكبة العلماء والباحثين الذين يحتضنهم مركز الأبحاث الجينومية في الجامعة، يبرز اسم البروفيسور نيكولاس بول هاربرد، الساعي إلى تطوير حلول تقنية وبيئية تساعد المحاصيل الزراعية على تحمل ظروف القحط والملوحة. الأمر الذي يعزز الأمن الغذائي في المملكة والعالم، ويوسِّع المساحات الزراعية في الأراضي غير المنتجة في الوقت الحاضر، ويخفِّف الضغط على استخدام المياه العذبة.

التنمية الاقتصادية

سوف تعمل جامعة الملك عبدالله على تقدم العلم والتكنولوجيا من خلال البحوث الجريئة والتعاونية. وسوف تعمل أيضًا على تثقيف القادة العلميين والتكنولوجيين، وحفز تنويع الاقتصاد السعودي، والتصدي للتحديات ذات الأهمية الإقليمية والعالمية. وستقوم بإجراء البحوث العلمية التي تؤدي إلى الاكتشافات والاختراعات في المجالات الإستراتيجية.

وبالاعتماد على أفضل الممارسات العالمية، تعمل الجامعة على تأسيس مجتمع للبحوث يعزز الإبداع والابتكار. وسوف تدعم الجامعة التحالفات مع المؤسسات الأكاديمية والقطاع الخاص من خلال مكتب نقل التكنولوجيا،

وبرنامج التعاون الصناعي، وحاضنة الأعمال التجارية، وبرنامج تنظيم المشاريع، وشبكة رأس المال الاستثماري. وسوف يشمل مجتمع الجامعة مدينة للبحوث لدعم الأعمال الجديدة، وتوفير قاعدة للشركات القائمة للاستفادة من خبرة مجتمع الجامعة في العلوم والهندسة.

شراكات الأبحاث الأكاديمية الهادفة

وقد دخلت الجامعة، حتى عشية بدء الدراسة فيها في شراكات مع كل من:

- معهد وودر هول لعلوم المحيطات
- المعهد الفرنسي للبترول
- جامعة سنغافورة الوطنية
- جامعة هونغ كونغ للعلوم والتقنية
- الجامعة الأمريكية في القاهرة
- جامعة ميونيخ التقنية
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن







ولادة جامعة الملك عبدالله

- جامعة كاليفورنيا في سان دييغو

وبموجب أحكام الاتفاقيات، يبدأ البحث العلمي في المؤسسة الشريكة، لينتقل لاحقاً مع الباحثين إلى حرم جامعة الملك عبدالله. وبذلك تساعد الشراكات الأكاديمية في بناء مراكز الأبحاث في الجامعة، وأيضاً بناء مجمع من الباحثين ورؤساء فرق الأبحاث.

أما شراكات الأبحاث مع القطاع الخاص فتقوم على عدد من البرامج تهدف إلى تحويل الأفكار والتقنيات والمهنيين المدربين تدريباً عالياً إلى مشاريع تجارية، ومنها:

- برنامج الجامعة للتعاون مع الشركات الصناعية.
- مكتب جامعة الملك عبدالله لنقل التقنية وإدارة الملكية الفكرية.
- مكتب جامعة الملك عبدالله لاستثمار المشاريع.
- برنامج تأسيس الأعمال التجارية.

ومن كبريات الشركات والمؤسسات التي دخلت في شراكات مع الجامعة في إطار برامج التعاون المختلفة نذكر: أرامكو السعودية، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ومركز أبحاث شركة جنرال إلكتريك العالمي، وسابك، وشركة آي بي ام، وشركة داو كيميكال، وشلمبرجير، وبوينغ...



منظر داخلي للرواق في مبنى الإدارة

برنامج زمالة جامعة الملك عبدالله

تقدِّم الجامعة «برنامج زمالة جامعة الملك عبدالله» للمنح الدراسية، الذي يوفِّر الدعم الكامل لرسوم الدراسة، وراتباً شهرياً للطلاب الذين يسعون إلى الحصول على شهادات الماجستير أو الدكتوراة خلال دراساتهم العليا.

المكتبة

إن الحصول على أي كتاب في المكتبات العالمية، يتم خلال دقيقتين.

في كل جامعة مكتبة، وعندما تكون الجامعة جملة وتفصيلاً غير تقليدية لا بد وأن تكون مكتبتها كذلك. وهذا هو حال مكتبة جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية.

أول ما يلفت النظر في هذه المكتبة هو تميز مبناها عن باقي مباني الحرم الجامعي، برخامه الأبيض الشفاف، ومن المرجح أن المصمم أراد من هذا البياض دلالة إلى رمزية المكتبة كجوهرة ترصع الحرم الجامعي ككل.

ولكن ما أن يدخل الزائر إلى هذه المكتبة، حتى تتراجع «الرمزية» لصالح الحدود القصوى من الجدوى والفاعلية.

ويقوم إنشاء هذه المكتبة على خطة ستنتهي في العام ٢٠١٣م، حين يُتوقع لها أن تحتوي على (٨٠) ألف عنوان كتاب و (١٥٠٠) اشتراك في المجلات العلمية، إلى جانب رصيد رقمي كبير من مجموعات البيانات وأنواع أخرى من المعلومات العلمية.

ويزداد نمو المكتبة زخماً، بمجرد بدء الدراسة وتفاعلها مع الطلاب الذين سيطلبون هذا الكتاب أو تلك المجلة، الذي لن يتوقف في العام ٢٠١٣م.

متحف الجامعة لتاريخ العلوم والتقنية الإسلامية

حول هذا المتحف.. أدلى نائب الرئيس التنفيذي في الجامعة، نظمي النصر، ونائب الرئيس المكلَّف للتنمية الاقتصادية، أحمد الخويطر، بحديث صحافي شرحا فيه الغاية من



مكتبة جامعة الملك عبد الله من مدارج البحر



قاعة اجتماعات الإدارة التنفيذية في مبنى الإدارة



إنشاء المتحف وأبرز ملامحه وأهدافه.

وقال النصر إن فكرة المتحف انبثقت حين شرعت الجامعة في إنشاء مركز لدراسة مخترعات المسلمين، على غرار بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة العباسي المأمون، إذ يشارك علماء من مختلف أنحاء العالم في إجراء البحوث والترجمة لتحقيق هذا الغرض. لكن الرأي استقر أخيراً على إقامة متحف لاكتشافات واختراعات العلماء المسلمين تحت اسم «متحف تاريخ العلوم والتقنية الإسلامية» ويغطي المرحلة التي شهدت ازدهار العلوم، بدءاً من القرن الرابع وحتى القرن السابع.. مروراً بما أنتجته الحضارة الإسلامية، في الأندلس، ومن ثم ربط المتحف بمكتبة الجامعة الإلكترونية، بحيث يمكن للباحثين الاستفادة من محتوياته من كتب ومخطوطات.

ويضم المتحف عدداً من الأقسام؛ منها المدخل والمخرج،حيث يتعرف الزائر إلى المحتوى والمعروضات، وقسم علوم الحياة والبيئة وعلوم الجبر والرياضيات، وقسم معهد التعليم والدراسات، وقسم علم الفلك والملاحة، وقسم التكنولوجيا والكيمياء وعلوم الطاقة والصناعة.

وتضم محتويات المتحف مجسمات طبق الأصل لمخترعات علماء مسلمين،



مباني متحف الجامعة



طلاب جامعة الملك عبد الله يسيرون أمام مبنى الإدارة

ومخطوطات، إضافة إلى كتب وأفلام علمية ووثائقية أنتجت خصيصاً لهذا المتحف.

وعليه سيؤدي هذا المتحف دوراً كبيراً في توضيح الصورة المشرقة لتاريخ العلوم عند العرب بكل زخارفها الدقيقة. ولكي يتمكن متحف الجامعة من أداء دوره على هذا الصعيد، أُعدت له سياسة تختلف تماماً عن سياسة المتاحف التقليدية.



الجامعة الأمل

■ أ. د. أحمد بن عبدالله السالم[1]

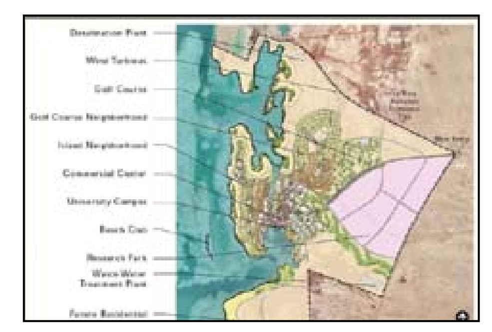


تمثل جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية أكبر الآمال، وأسمى الطموحات لمواطني المملكة العربية السعودية، كونها جامعة تهتم بالكيف والنوع دون الكم؛ ذلك أنها تهتم في أول ما تهتم به الدراسات البحثية والعليا، وهي ما تحتاجه كل بلادٍ خطت خطوات مهمة في التعليم العالي كالمملكة العربية السعودية.

إن هذه الجامعة لهي إحدى اللبنات المهمة للنماء والبناء اللذين يشهدهما عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود.

وإنه لمما يبعث على التفاؤل أن إنشاءها جاء





خريطة جامعة الملك عبدالله للعلوم التقنية



طلاب جامعة الملك عبدالله يدرسون خريطة الحرم الجامعي

بعد دراسة متأنية لما تحتاجه البلاد، وما يحتاجه مواطنها الذي هو أول اهتمامات ملك الإنسانية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يحفظه الله.

ومما يبعث على التفاؤل أكثر فأكثر أن تأسيسها يقوم أساساً على الشراكة مع جامعات ومراكز بحثٍ عالمية، لها باعٌ طويل في مجالِ الدراسات العليا والبحث العلمي.

وإن الذي ينظر إلى تخصصاتها التي ستبدأ بها وهي: الطاقة والموارد الطبيعية والبيئية، والتكنولوجيا الحيوية، وعلوم وأبحاث المواد الدقيقة مثل (النانو تكنولوجي، والرياضيات التطبيقية وعلوم الكمبيوتر)، ليثق ثقة تامةً بمستقبلها الزاهر، وعلو كعبها في مجالات تخصصها، كيف لا.. وهي تحظى بدعم خادم الحرمين الشريفين ومتابعته.

وفي كلمته - حفظه الله - لأهالي مدينة الطائف قبل ثلاث سنوات، ما يؤكد على اهتمامه بإنشاء هذا المشروع العلمي التقني المتميز.

إنها الجامعة الأولى من نوعها في الشرق الأوسط، والأمل كبير بأنها ستكون في مصاف أرقى جامعات العالم المتقدم إن لم تتفوق عليها.

وتقوم السياسة التعليمة للجامعة - فيما تقوم عليه - على ربط الأبحاث العلمية بالصناعة والاقتصاد، إضافةً إلى وضع حلول كفيلة بإزالة جميع العقبات التي تعترض طريق المملكة إلى تحقيق مستقبلها الزاهر، والتعامل مع كافة التحديات المستقبلية، وبخاصة ما يتعلق منها بتحلية المياه، وعلوم البحار والصناعات الدقيقة، وتقوم - أيضاً - عل تطوير القدرات البشرية وتنميتها وفق أسس علمية مدروسة، وفتح أرحب الأفاق في مجالاتٍ لم تنل نصيبها من الاهتمام في أكثر المؤسسات العلمية والتعليمية، كالطاقة والصناعات الدقيقة وغيرها.

إن افتتاح هذه الجامعة وما هُيئَ له من أسباب النجاح، وما دعي له من قادة المسيرتين السياسة والعلمية في العالم، لهو مؤشر على ولادة جامعة علمية عالمية عالية.

جامعة الملك عبدالله
إجلالاً وتقديرًا

■ د. جميل بن موسى الحميد





عاش عالمنا العربي - وما زال - أزمة حقيقية في مجال التعليم، باتت تهدد الحاضر والمستقبل، بل دفعت الحاقدين إلى التشكيك في



عراقة الماضي، وبات الإبداع العلمي هو الخيار الأوحد لهذه الأمة، للخروج من عنق الزجاجة، التي ضيقتها أيدي الجهلة أو المتجاهلين في حقب تاريخية متعاقبة.

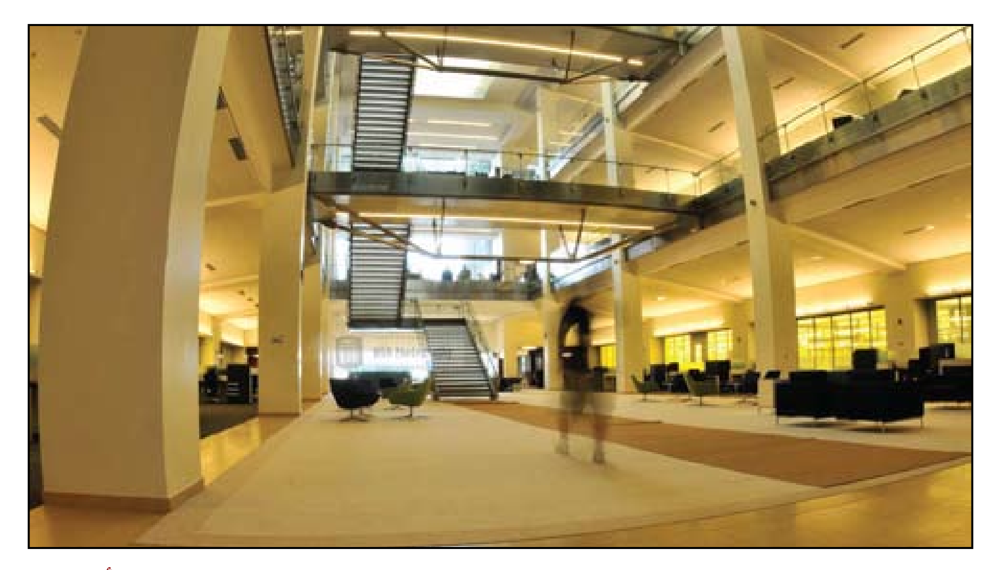
ومما لا يدع مجالاً للشك أن العلم – ويقصد به إنتاج المعرفة وتطبيقها وتطويرها لا مجرد استهلاكها – هو الذي يرقى بالحاضر، ويستشرف المستقبل، ويحمي التاريخ من التزييف والتدليس، ويحفظ لهذه الأمة هويتها التي تدمرها الهيمنة الثقافية والانصهار في ثقافة الآخر؛ فالإبداع العلمي لأي أمة – إن جاز التعبير– هو المركَب الكيميائي الفريد الذي يتصدى لذوبان الهوية في أي من التيارات الجارفة للهيمنة بشتى أنواعها.

وفي هذا السياق، تأتي الخطوة الرائدة والحكيمة للملك عبدالله بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله – بإنشاء جامعة



الملك عبدالله للعلوم والتقنية؛ ذلك الصرح العلمي والبحثي الرائد في العالم العربي، وفي منطقة الشرق الأوسط، لتؤكد الرغبة الملحة للإدارة الرشيدة في النهوض بالعلم والبحث العلمي في العالم ومنطقة الشرق الأوسط بوجه عام.. وفي المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص. وهذا النموذج الرائع الذي راود حلم مليكنا العظيم – وفقه الله – طوال الـ (٢٥) عامًا الماضية، يؤكد أشياء عديدة تفردت بها هذه الجامعة عن غيرها، أهمها: الرويَة والتؤدة للإفادة من جميع التجارب العالمية التي اهتمت بمجال البحث العلمي في العلوم والتقنية؛ فلم يأت إنشاء الجامعة مجرد فكرة لإنشاء صرح علمي وبحثي متميز في المملكة العربية السعودية والمنطقة العربية فحسب، بل كان الأمر أعمق من ذلك بكثير، ويبدو جلياً في رسالة خادم الحرمين الشريفين عن هذه الجامعة، ورسالتها العظيمة التي تحمل في طياتها أهمية العلم، ومكانة القيم،وعظمة الدين الإسلامي الحنيف، وسمو الهدف،والثقة في النجاح بمشيئة الله تعالى.

وبناءً عليه فإن جامعة الملك عبدالله،تعد إضافة كيفية للتعلم والبحث العلمي، ليس في المملكة والمنطقة العربية فحسب، بل في العالم كله؛ فقد حُشد لهذه الجامعة عددٌ يربو على المائة أستاذ من الباحثين والعلماء المتميزين، والمشهود لهم بالكفاءة والخبرة – في مجالات الهندسة الكيميائية والبيلوجية، وعلوم البيئة، والهندسة والرياضيات التطبيقية، وعلوم الكمبيوتر، وعلوم هندسة الأرض، والهندسة الكهربائية، وعلوم وهندسة المواد الهندسية الميكانيكية – من أشهر جامعات العالم في مجال البحث العلمي مثل: هارفرد– استانفورد – كولومبيا – تكساس – باريس... إلخ. أما مدير



هذه الجامعة فهو البروفسور (تشون فونغ شي) مدير جامعة سنغافورة، وأحد مؤسسي التحالف الدولي لعشر جامعات في العالم.

لقد وضعت الجامعة جل تحدياتها فيما يعود بالنفع والخير على المملكة العربية السعودية والمنطقة العربية، بتحويل الأشعة الشمسية إلى مصدر دائم ومتجدد للطاقة، إضافة إلى الإفادة من المياه المالحة والرمال الصحراوية، وتحويل النباتات الصحراوية إلى محاصيل زراعية عالية الإنتاج، فضلًا عن أنها جعلت باكورة بحوثها العلمية دراسة حول انتشار فيروس (NIHI) المسبب لأنفلونزا الخنازير، انطلاقًا من رسالتها نحو مواكبة كل ما هو جديد في مجال البحث العلمي، بما فيه نفع للمنطقة العربية والبشرية جمعاء.

لقد تزامن هذا العرس العلمي مع احتفالات عيد الفطر المبارك واليوم الوطني الـ (٧٩) لمملكة العز والحكمة؛ فهنيئًا لوطننا الحبيب.. ولأمتنا.. بل للعالم أجمع. وحفظك الله يا ملك الإنسانية، ودام عزك ومجدك يا وطن.

وليدبَّر أولو الألباب.

بوابة المملكة نحو العالم الأول

■ د.خليل بن إبراهيم المعيقل[٣]



تحل مناسبة اليوم الوطني هذا العام، والتي توافق الرابع من شوال ١٤٣٠هـ/ الثالث والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٩م، متزامنة مع تدشين أهم منجز علمي يتحقق للمملكة العربية السعودية، وهو افتتاح جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية في موقع ثول شمالي مدينة جدة،هذه الجامعة التي كانت حلم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز منذ سنوات بعيدة كما ذكر حفظة الله في مناسبة وضع حجر أساس الجامعة قبل عامين، وها هي المدينة الجامعية يكتمل بناؤها خلال عامين،حيث تعد هذه المدة قصيرة جدا لبناء جامعة تكتمل بنيتيها المعمارية الأكاديمية.

وقد أمر – حفظه الله – أن تكون هذه الجامعة مختلفة عن الجامعات الأخرى في المملكة، من ناحية توجهها الأكاديمي واستقلالها المالي والإداري والأكاديمي، لذلك أسند لشركة أرامكو السعودية مهمة تأسيس الجامعة، وبناء المدينة الجامعية، ووضع البنية الأكاديمية بالتعاون مع أبرز الجامعات والخبرات الدولية، كما أمر بأن تتخصص الجامعة في الدراسات العليا والبحث العلمي التطبيقي، وأن تواكب وتنافس أبرز المراكز البحثية في العالم، وأن تعالج مخرجاتها البحثية القضايا العلمية المستجدة،التي تخدم مستقبل المملكة العربية السعودية والمنطقة والعالم أجمع. ولتحقيق هذه الرؤية رصد خادم الحرمين للجامعة وقفا ماليا كبيرا يبلغ عشرين مليار دولار للصرف على الجامعة من عائد هذا الوقف، والذي سيمكن الجامعة من خلال استقرار مواردها المالية، واستقلال قرارها في تنفيذ برامجها التعليمية والبحثية بالصورة التي رسمت لها، وكذلك تمكينها من مواكبة المستجدات العلمية.

ستدار جامعة الملك عبدالله من خلال مجلس أمناء يرأسه معالي وزير البترول، وعضوية ثلاثة من أبناء الملك عبدالله، وعدد من الأكاديميين من المملكة والعالم، إضافة إلى عدد من رجال الأعمال الذين يقع نشاط شركاتهم ضمن اهتمامات الجامعة البحثية،وقد عين للجامعة أستاذ من دولة سنغافورة مشهود له بالتميز العلمي، والإدارة الأكاديمية، ما يؤكد نهج الجامعة الذي يقدم الكفاءة في التوظيف، بصرف النظر عن الجنسية أو الجنس، وهو المبدأ الذي أسهم في تطور الجامعات العالمية التي استقطبت العقول من كل أنحاء العالم، وقدمت لها كل ما يحقق استقرارها وإسهاماتها العلمية؛ لذا؛ سعت الجامعة منذ بداية تأسيسها إلى استقطاب أفضل العقول، على أساس الجدارة البحثية، وسوف تشكل مجتمعا متجانسا من الباحثين والموهوبين من شتى أنحاء العالم، لذلك وضعت معايير عالية الجودة للقبول للدراسة فيها، وستعمل على استقطاب الموهوبين والمبدعين من الطلاب من جميع دول العالم.



جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية،جامعة عالمية للدراسات العليا، متخصصة في مجال البحث العلمي، تركز على مواضيع غاية في الأهمية بالنسبة لمستقبل المملكة، مثل دراسات الطاقة، والبيئة، وتحلية المياه المالحة، والتقنية البيولوجية الصناعية، والتطبيقات العلمية للكمبيوتر، وستمنح درجتي الماجستير والدكتوراه في مجال الرياضيات، والعلوم البيولوجية، والهندسة الكيميائية والبيولوجية، وعلوم الحاسب، وعلوم هندسة الأرض والمواد، والهندسة الميكانيكية، والبيئية، والكهربائية، والبحرية.

هذا التوجه الذي تسعى الجامعة إلى تحقيقه، والذي يعبر عن رؤية خادم الحرمين الشريفين،يمثل نقلة نوعية في الدراسات الجامعية والبحثية على مستوى العالم، ولا شك أن ذلك سيؤدي إلى نقلة نحو العالم الأول، وسوف تكون جامعة الملك عبدالله بوابة المملكة نحو العالم الصناعي الأول، ونطمح أن تنهض جامعاتنا الأخرى، فتلحق بركب هذه الجامعة في أسرع وقت، وقد ظهرت بوادر اللحاق في عدد من الجامعات الحكومية، والجامعات الأهلية حديثة النشأة.

آمال وتطلعات

■ د. طارش بن مسلم سليمان الشمري(٤)

منذ تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -طيب الله ثراه- كان اهتمامه بالتعليم في مقدمة أولوياته،وسار على نهجه أبناؤه من بعده، سعود وفيصل وخالد وفهد - يرحمهم الله جميعاً-. وفي عهد خادم الحرمين الشريفين - رائد التعليم الشامل- الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود أنشئت الجامعات في شتى مناطق المملكة مشتملةً على تخصصات طبية وهندسية وتطبيقية يحتاجها سوق العمل.

ولم يتوقف اهتمامه عند هذا الحد، بل تعداه إلى إنشاء جامعة علمية بحثية نوعية محليه، بمعايير وأهداف عالمية، ألا وهي جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية.

هذه الجامعة البحثية السعودية التي تحمل رسالة إنسانية عالمية للتعاون في كل ما يخدم شعوب العالم، وكما قال مؤسسها: «إنني أرغب أن تصبح هذه الجامعة الجديدة واحدة من مؤسسات العالم الكبرى للبحوث، وأن تعلم أجيال المستقبل من العلماء والمهندسين والتقنيين وتدربهم، وأن تعزز المشاركة والتعاون مع غيرها من جامعات البحوث الكبرى، ومؤسسات القطاع الخاص على أساس الجدارة والتميّز».

وسيكون لهذه الجامعة - إن شاء الله - مردود إيجابي يتعدى حدود مملكتنا إلى مختلف الشعوب. ويعد هذا التوجه ترجمة حقيقية لرؤى خادم الحرمين الشريفين وتطلعاته في توضيح رسالة الإسلام السامية، التي وجدت لصالح الإنسانية جمعاء، بصرف النظر عن جنسها وعرقها وبلدها.. وسيرفع بإذن الله اسم المملكة العربية السعودية بين دول العالم، وسيسهم ذلك في الرد على أرض الواقع على من يحاول انتقاص شأن المملكة واهتمامها اللامحدود بالعلم والمعرفه، ويوضح بشكل جلي

توجهات قيادة هذا البلد، ومد جسور التعاون مع الشعوب الأخرى، والإسهام الفاعل في جعل هذا العالم أكثر مودة ومحبة وسلاماً ووئاماً للبشرية جمعاء.

إن إنشاء جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية مفخرة ومصدر إعتزاز لكل أكاديمي مواطن سعودي وعربي ومسلم.. وستوجد بيئة علمية تنافسية تسهم في دفع حِراك البحث العلمي في جامعات مملكتنا والجامعات العالمية، وستستقطب أفضل العلماء والباحثين من جميع دول العالم، وستجرى فيها الأبحاث العلمية التي ستعالج كثيراً من الظواهر والمشاكل التي تواجه عالمنا المعاصر.

ولا يفوتني إلا أن أتوجه - بعد الله عز وجل - إلى مؤسس هذا الصرح العلمي الشامخ بعظيم الشكر والتقدير والعرفان على ما يبذله من جهود مخلصة للسمو بمملكتنا إلى مصاف الدول قولاً وعملاً، سائلا المولى أن يحقق له آماله وتطلعاته، وأن يحفظ لبلدنا نعمة الأمن والأمان والازدهار.

جامعة الملك عبدالله والدور المأمول

■ د. نايف بن صالح المعيقل[٥]

تم افتتاح جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية بثول رسمياً في الرابع من شوال ١٤٣٠هـ المصادف لذكرى اليوم الوطني التاسع والسبعين للمملكة (٢٣ سبتمبر ٢٠٠٩م). وسوف تمنح هذه الجامعة درجات علمية في الدراسات العليا فقط، وسيكون البحث العلمي أساس البرامج التعليمية على مستوى درجتي الماجستير والدكتوراه، وتمنح الجامعة الدرجات العليا في (١١) مجالاً دراسياً هي: العلوم البيولوجية - الرياضيات التطبيقية - علوم الحاسب - الهندسة الكيميائية والبيولوجية - علوم الكيمياء - علوم وهندسة الأرض - الهندسة الكهربائية - العلوم والهندسة البيئية - العلوم والهندسة البحرية - علوم وهندسة المواد - الهندسة الميكانيكية.

وتعد هذه الجامعة التي كَلّف إنشاؤها نحو عشرة مليارات ريال في مركز ثول على ضفاف البحر الأحمر على مسافة ٨٠كم شمالي مدينة جده - ومن خلال المعلومات التي حصلنا عليها من موقع الجامعة على الانترنت - جامعة رائدة ومتميزة في مجال البحث العلمي، والتطوير التقني، والابتكار، والإبداع، من خلال التعاقد مع نخبة من الباحثين والعلماء المتميزين، والطلاب الموهوبين والمبدعين، بهدف دعم التنمية والاقتصاد الوطني، وتوجيه الاقتصاد نحو الصناعات القائمة على المعرفة، من خلال البرامج التي تعتمد على البحوث التطبيقية التي تخدم مجالات التنمية التي تشهدها بلادنا في عهد خادم الحرمين الشريفين (حفظه الله).

ومن المؤمل أن تكون هذه الجامعة منارة إشعاع علمي، وقناة من قنوات التواصل بين الشعوب والحضارات، وستساهم في العمل على زيادة عدد الحاصلين على براءات اختراع من أبناء الوطن في التخصصات العلمية والهندسية والطبية والتطبيقية. كما يتوقع لها أن تسهم في وضع خطط دقيقة وتنفيذية، لرعاية الموهوبين



والمبدعين والباحثين، ودعم الصناعات الوطنية، واستثمار الموارد الاستثمار الأمثل، لدعم الاقتصاد الوطني، وزيادة الناتج الإجمالي للاقتصاد اعتماداً على المعرفة.

ولا بد من القول - ومن خلال متابعة خطوات إنشاء هذه الجامعة - أنها تهدف إلى توفير البيئة المحفزة والجاذبة لاستقطاب العلماء المتميزين من المملكة والعالم، واستقطاب الطلاب الموهوبين للالتحاق ببرامج الدراسات العليا المتطورة التي تضمها الجامعة، والتي تركز على استخدام التقنيات الحديثة، كتقنيات النانو (الجزيئات المتناهية الصغر)، لتنمية المعرفة وتحويل الأفكار والاختراعات إلى مشاريع إنتاجية، لتعزيز عملية التنمية المستدامة بالشراكة مع القطاع الخاص.

وقد شهد حفل الافتتاح مشاركة العديد من زعماء العالم، بدعوة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، دعماً لهذا الصرح العلمي الذي بدأت ملامح نجاحه تظهر للعيان،ما ينسجم والسياسة التنموية التي تشهدها بلادنا في شتى المجالات (علمية وصحية واقتصادية وثقافية) وغيرها.

وقد أعلن حفظه الله عن إنشاء هذه الجامعة في الحفل الذي أقامه أهالي محافظة الطائف احتفاء بزيارته للمحافظة في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ.

---

(١) الرئيس الأول للجامعة.. حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد، عمل سابقاً رئيساً لجامعة سنغافورة الوطنية. كما كان على مدى ثلاثين سنة أستاذاً في جامعة براون بالولايات المتحدة الأمريكية، وترأس مجموعة أبحاث التصدع في مختبر أبحاث شركة جنرال إلكتريك.

(٢) عميد كلية اللغة العربية بجا معة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ورئيس الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

(٣) عميد شئون المكتبات بجامعة الجوف

(٤) عضو مجلس الشورى

(٥) وكيل جامعة الجوف وأمين مجلس الجامعة

(٦) رئيس اللجنة الدائمة للبحوث بجامعة الجوف

مصادر المادة: موقع كاوست على الانترنت - مجلة القافلة - أرامكو السعودية.

حينما تتبعثر السنين تبعثرنا معها

دراسة لـ رواية غالية آل سعيد (سنين مبعثرة)

■ هدى فهد المعجل*

يقول (ميشال بوتور): [إن قراءة الرواية رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ؛ فمن اللحظة الأولى ينتقل القارئ إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ]. وللأمكنة -حسب د. عبدالحميد المحادين- حضورها في ذهن الإنسان، وهي أمكنة تحدد ذهنياً، ويحددها الإنسان في الوقت ذاته، وقد تكون الأمكنة واقعية، كالمكان الذي رسمت فيه الروائية العمانية (غالية ف. ت آل سعيد) روايتها (سنين مبعثرة)؛ المكان الأكثر ثراءً بالنسبة لها، لأنها عاشت فيه فاستحضرته، أو ربما توطن ذاكرتها وحسها.

مكان وظفته توظيفاً جمالياً خدم محور الرواية، حيث شكّلت عالماً حسيّاً طابق كثيراً، أو يطابق الواقع، ولم يخالفه سوى في النزر اليسير. (لندن) المدينة. وذاكرة لدي تحتفظ بنص أجهل إلى من يمكن نسبه [المدينة تقسو/يتحجر قلبها، نهارها سوط، ليلها مالح/برها شاهدٌ أخرس/وعر كل ما فيها].

هكذا كانت (لندن) بالنسبة لـ (ناجي) الشخصية الرئيسة في (سنين مبعثرة) رواية المكان الزمان، أو رواية الزمان المكان.

(الحياة في لندن الحديثة، تختلف عن لندن الستينيات، حيث الهدوء والأمان والجمال) ص٤٥٠، من هنا ينبغي أن أبدأ.. والرواية توشك أن تنهي الساردة أحداثها، مسدلة الستار على فوضى العلاقات، وفوضوية الرغبات.. على شتات (ناجي لورنس) الفكري والمكاني، وعلاقات متخبطة أو نزوات متعددة.

(ناجي لورنس) وهو ينتقل، مع أول تجربة له في الغربة التي يرى (شاخت) أنها السطو أو السلب، أو التغريب، أو الأخذ، أو الانتماء إلى آخر والتعلق به. غربة ناجي من التعلق بوالديه، وانتماء إلى آخر، أخذه من حضن والديه الكهلين في ضاحية من ضواحي لندن المتواضعة، إلى حي من أحيائها، كان بانتقاله (على وعي تام بالثمن الذي كان عليه أن يدفعه في مسيرة حياته المضنية، يبحث عن الحب، والحقيقة، وليعرف طبائع الأشياء) ص١٢، وقد أتى هذا الوعي بعد فوات الأوان، بعد هدر الجهد والطاقة والشباب وضياع العمر في الركض خلف امرأة لم يحسن اختيارها.. ولم يقف على أرضية تحدد ما يريد من المرأة المبتغاة، بدءاً بـ(كولييت)، إلى أن انتهت به رحلة سنواته المبعثرة مع (شنيد).

في صغره.. (أحب الكتب، ولم يكن يلتفت للُّعب التي يراها عند أقرانه وأطفال الجيران، اللعبة الوحيدة التي لازمته أيام طفولته كانت فرساً خشبياً، اشتراها له أبوه هدية عيد ميلاده السادس) ص١٦، فرساً صنعت منه فارساً أغرى النساء، وتبعثرت لأجلهن سنوات عمره. هل بسبب كونه (شخص متذبذب ولا رسوخ في حياته، أم لأنه شخص من دون روابط اجتماعية)؟ ص٣٨٣، ويكاد وضعه يتفق وما ذهب إليه عالم الاجتماع دوركايم، بخصوص الاغتراب الناتج عن التحول من المجتمعات الصغيرة إلى مجتمع المدينة المعقد، بحيث يصل الفرد إلى فقدان السعادة البشرية، أو تفشي حالات الاكتئاب، والتشاؤم، والقلق. ولن نستغرب إذا فقدت الشخصية اتزانها، أو تصدع بنيانها، كما سنرى مع ناجي، أو مع دافني.

ناجي لورنس

كان مراهقاً يوم أن فتن بـ (كولييت) الشابة الفرنسية، زوجة جارهم العم (ألفونس)، حيث كانت تصغر ألفونس بأكثر من ٣٠عاماً (ص٣٣). أما ناجي، فكان طالباً في مراحله الدراسية الأخيرة، وقت أن تأسست علاقته، وبعد (امتلاكه لقطعة ملابس كولييت وَلَّد في داخله شغفاً شديداً تجاه صاحبتها) ص٣٧. كما بدا لنا في ميعة الطفولة وعدم النضج أثناء تعامله مع ما شعر به تجاه زوجة جارهم الكهل، حيث (كان مندهشاً مما هو مقدم عليه من تناوله الكحول معها، وهو دون السن القانونية، لا يزال في السابعة عشرة والنصف من العمر) ص٤١، الكحول ولندن.. سهرات لندن.. مقاهي لندن.. وهو البريطاني الأصل، وإن أشار اسمه الأول (ناجي) إلى الانتماء الشرق أوسطي!!

هل لفترة دراسة الساردة العمانية في لندن، وسنوات تواجدها الطويلة هناك عامل أسهم في تبلور هذا العمل الروائي؟!

لندن، وترك الأثر في الذاكرة السردية، وخليط من الدماء الإنجليزية والفرنسية والأفريقية والفنزويلية، وشيء من الدماء الشرق أوسطية، ربما أرادت الساردة رفع الستار عن لندن المكان والزمان، أو لندن الصخب والهدوء؛ لندن الثقافة والعربدة، لندن الأجناس المتعددة، والأعراق المشتتة.. وشتات ناجي، ناجي الذي (قبل رحيله للجامعة بيومين، احتفلت الأسرة بعيد ميلاده الثامن عشر) ص٢٣، نجح في امتحانات الثانوية

بتفوق، وصار أول فرد في الأسرة يتمتع بتعليم ثانوي، ويتأهل للجامعة. رأى في الجامعة المكان الذي يهيئ له الحرية والانطلاق، عكس ضيق المكان، ومحدودية النطاق في بيتهم وحارتهم.. وصداقات جديدة، أيضاً.

كان يدرك أهمية مكتبة الجامعة في توفير الكثير من المعلومات له في مجال يحبه جداً، وهو الاقتصاد. في الجامعة.. استطاع تحقيق النجاح، وأصبح الأساتذة يطلبون منه حل المعضلات التي يعجز عنها بقية الطلاب، لم يلتفت للمعجبات، وانطلق في التحصيل العلمي كالسهم!! ولنا أن نعود قليلاً لما كان يعتمل في ذهنه وهو يغادر الثانوية إلى الجامعة.. كان يفكر في صداقة الفتيات الجميلات، وما أن انخرط في معترك الجامعة، حتى ظهر لنا عدم التفاته للمعجبات!!

هل هو صراع بين رغبات النفس وغرائزها، وبين إرادة التنفيذ لتلك الرغبات والغرائز!؟؟

أحسنت الساردة عملية الانتقال والتنقل من زمن إلى آخر.. أعني من الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي، لتعود بنا برشاقة إلى الزمن الحاضر. هل نصنف الرواية ضمن روايات تيار الوعي.. على اعتبار أن الترابط الزمني فيها غير مرتب ترتيباً منتظماً، نَقُصُّ فيه زمن الماضي والحاضر والمستقبل؟

انقضت أيام الدراسة ونجح بتفوق، ولم يكن انتقاله لميدان العمل صعباً، إذ بدا العمل في صحيفة، ونراه يقول: (نزحت لهذه الضاحية بعد تخرجي من الجامعة مباشرة للعمل في هذه الصحيفة) ص٦٤، و(بعد شهرين من انضمامه للصحيفة تعرف إلى إحدى زميلاته وتدعى ريتشل) ص٥١، (امرأة في العقد الثالث من عمرها، متزوجة من رجل يكبرها بأعوام كثيرة، عربي، يدعى حمزة الدرع) ص٥٣، وهي تبوح لناجي قالت: (تزوجت من حمزة بمجرد تخرجي من الجامعة وانخراطي في العمل..) ص٥٧، لم تكن على وفاق مع زوجها، فرأت في ناجي طوق نجاة، ولكن.. وقبل التعمق في العلاقة العاطفية، (ذات يوم لم تأت ريتشل للعمل، ولم تتصل به.. وهكذا انتهت قصة غرام أخرى) ص٦٦-٦٥، قصة غرام أخرى إذا نظر لعلاقته مع كولييت أنها علاقة عاطفية مع شاب لم ينضج بعد. أو وضعناها في الخانة الأولى في قائمة سلسلة غراماته التي سنراها.

سلسلة غرامات (مبعثرة) مستمرة في (سنواته) الأغرب في علاقاتهن، علاقته بـ (دافني) أو علاقة (دافني) به، بعد انتقاله للعمل من صحيفة في ضاحية، إلى صحيفة في لندن المدينة، حيث تولى تحرير الصفحة الاقتصادية، وكانت سكرتيرته (دافني).

دافني

(سيدة متقدمة في العمر.. حاولت التقاعد عدة مرات) ص٧٨، (أسرتها بريطانية الأصل.. سبق أن نزحت إلى جنوب أفريقيا) ص٨١، (... ناجي يصغرها بسنوات عدة) ص ١٤٧، صارحته بذلك (أنا أصغرك بأعوام كثيرة) ص١٨٧، (قررت ألا تقبل بدور امرأة تجاوزها الزمن...) ص١٤٩، فكان أن أخذت تنسج الحبال كي توقع

ناجي في الفخ، أو في شباكها.. بيد أن ناجي (.. لم يعطها اهتماماً في الأشهر التي قضتها معه في أجواء العمل) ص١٦٨، إلا أنها (دخلت إلى حياة ناجي بعد أشهر من الملاحقة المستمرة) ص١٧٤، ورغم ذلك كانت تعاني صراعاً داخلياً، و(.. تتساءل عن الذي يغري الشاب ناجي، وهي في هذا العمر المتقدم ليقترن بها في علاقة عاطفية) ص١٥٩، كثيراً ما (تأملت الشاب مفتول العضلات، ونظرت لجسدها العجوز المترهل، وعلمت أن العمر قد فعل فيها فعلته القاسية الرهيبة) ص١٦٨، بينما ناجي (وهو يتخبط في هواجسه الهوجاء، شعر كأنه تلميذ وقف أمام مديرة مدرسة) ص١٧٣، لذا كان، وهو معها، وهي تفرض عليه حضورها وغرامها به، وتلزمه بها، كان يخاطب نفسه (أيام الحياة بالنسبة لي مقيدة، ولابد من التمتع بها قبل زوالها) ص١٧٤.

امرأة تقتحم عواطف شاب قسراً، وتضمه إليها سلباً، كيف أمكنها عبور شط حياتها وهي شابة في شعلة الشباب وتوقده؟

كانت لـ (دافني)، قبل احتكاكها بـ (ناجي) علاقات عدة، تنطق بلسان البعثرة وحس التخبط، أو تضج بحيرة امرأة تبحث عن مستقر ومقر..

بعد تخرجها وانتقالها إلى لندن، قررت تعلّم الموسيقى على يد مدرس، وكانت أول علاقة لها برجل..

مدرس الموسيقى (أنغوس مكفارلند)، (رجل يكبرها بما لا يقل عن خمسة وعشرين عاماً) ص٨٤، لكنه بعد مدة من معرفتها به، واجهها (لا انوي الارتباط بامرأة، فضلاً عن الزواج منها، أنا متزوج من هوايتي وحبي الكبير وهو البيانو) ص٨٥، كيف أوهمت نفسها به، حتى تفاتحه بها؟! أو كيف كان وقع المواجهة على أنوثتها وهو يكبرها بـ(٢٥) عاماً؟! انكسار نفسي أسس لأي شيء سنراه في مستقبلها الذي جاء مع ناجي وقد تقدمت في العمر!!؟

الرجل الثاني دكتاتور عسكري، قرأت إعلاناً عن طلب سكرتيرة خاصة لإدارة وتنظيم الأعمال اليومية، لرجل يقيم بمفرده في لندن (.. دكتاتور عسكري برتبة مشير، هرب بعد الإطاحة بحكمه، ليبقى في لندن تحت الحماية البريطانية، حتى يستعيد كرسي الحكم) ص٩٥، لكنّ دافني، وبعد فترة العمل لديه، وثقته بها واطمئنانه إليها (فشلتْ في إقناع الرجل بالزواج منها) ص١٠٢، وظلّت معهُ إلى أن (مات المشير فجأة بسكتةٍ حادةٍ، قبل العودةِ للجلوسِ على كرسي الرئاسة) ص١١٠.

عملت بعدها في الصحافة، في الصفحةِ الاقتصاديةِ، وكان أول محرر للصفحةِ عملت معه، (هانري ألبرت يكبر دافني بعددٍ من السنين) ص١١٣، (وبعد فترة وجيزة من العمل، تحولت دافني من مجرد سكرتيرة لهانري إلى عشيقته) ص١١٤!!!

سرعة الزمن في الرواية تواكبها السرعة في نشوء العلاقات العاطفية بين شخصياتها،، كأنما الهم الأساس إقامة العلاقات! هانري رجل متزوج، له أبناء، يشتكي كوابيس منتصف الليل لمرض ألم به أو عانى منه، وكانت تجاهد معه

خوفاً عليهِ (.. الكابوس مصدره ما كان يقوم به أيام الحرب العالمية الثانية) ص١١٥، ووقوعه أسيراً في أيدي جيش الألمان، ومروره بمحنة حتى وصل به الأمر إلى حالة نفسية مضطربة.. تلك الكوابيس قضت عليه وعلى حياته. في حين أن نتيجة انتهاء خدمة والد (ناجي) العسكرية محارباً في الجيش البريطاني، أثناء الحرب العالمية الثانية مختلفة، بدليل أن ناجي يعتد بـ (خزانة خشبية مصنوعة من خشب الجوز الخالص، أحضرها أبوه من ألمانيا بعد انتهاء الخدمة!!



توفي هانري، وعين خلفاً له في الصحيفة (رجل في منتصف الستينيات من عمره، شغل في الماضي مناصب عسكرية هامة..) ص١٢٥، يدعى هيربيرت أدموند، وأيضاً (دخلت دافني مع هيربيرت في حقبة جديدة من العلاقات الغرامية الدائمة..) ص١٣٠، ولم أفهم مغزى الديمومة هنا!!. لم يتزوج، وظل أعزباً، كان مهووساً بالأسلحة ذات التاريخ العسكري كمخلفات الحربين العالميتين، سجِلُّه حافلٌ بالعلاقاتِ النسائية، واستغلال عمله في المستعمرات، في إقامة علاقاته مع النساء البائسات الصغيرات منهن، والجميلات، حيث يمارس معهن نزواته المتوحشة وملذّاته الخاصة، منها جرمه في حقِ فتاة أثيوبيةٍ تُدْعَى أسمرينا من السودان، وبعد رحيله من السودان (رحل وترك خلفه أسمرينا وهي حامل) ص١٤١، الطفل الذي حملت به سفاحاً، هو من أجهز عليه بعد مرور سنوات من تركه العسكرية..وفي أوج علاقته بـ دافني (بينما هو يقف أمام البنك.. أطلقت النار عليه من جهة غير معلومة) ص١٤٣، وقضت عليه.. القاتل أسمه (المنتظر المأسور)، أتى من السودان خصيصاً للقضاء على والده انتقاماً لوالدته. أحداث أقرب للسينمائية.. لكنها تحدث وتقع.

جلبة رجال في منطقة دافني، فهل نوت إسدال الستار على الجلبة بـ ناجي؟!

الساردة غالية أتقنت عملها في تصوير المجتمع الأوربي بعربدته ومجونه وصخبه وجنونه. رغم نجاحات ناجي المتكررة في عمله الصحفي، إلا أنه يتخبط، أو ظل يتخبط.. ها هو ينشر مقالاً يلفت نحوه الأنظار، موضوعه [قروض البنك التي يقدمها للدول النامية]، وبناء على هذا المقال، تمت إعارته إلى أفريقيا لدى صحيفة، وهناك أُطْلِع على حياة مراسلٍ وموسيقي، وشاعر شاب من مراسلي الصحيفة، كتب ذات يوم قصيدة سياسية ترتب عليها سجنه في مكان معزول.

كان من الممكن أن يستثمر ناجي قدراته

وإمكاناته، إلا انه وهو في فترة إعارته، لم يتوان عن إقامة علاقة مع زوجة رئيس وزراء الدولة الأفريقية، لم يُكْتَب لهذه العلاقة أن تستمر، حيث تم قطع إعارته لانقلاب محتمل، وخشوا على الرعايا هناك. الانقلاب وقع وأودى بحياة رئيس الوزراء.

تخبط الفرد في علاقاته، قلق نفسي.. وتذبذب سلوكي، وربما صعوبة تحديد هدف، أو فراغ ينهش زوايا المكان، من ذلك تخبط ناجي (أهدر وقتاً ثميناً من عمره مع دافني، في علاقة مفروضة عليه، ولا تحمل المعنى الحقيقي للمحبة والود) ص٢٨٨، أي شخصية مهزوزة تلبسته، كي يسمح بفرض علاقة دافني عليه؟

ومن يستطيع إجبارك على علاقة عاطفية إن كنت رجلاً مكتملاً، ذكياً، ناجحاً في حياتك ومهنتك؟

هل لجينات الشرق الأوسط تدخل، أو معاناته لقلقٍ مذ لمس اختلاف الألوان فواقع بينه وبين والديه، لون الشعر، لون العينين، لون البشرة. اغترب عن والديه طلباً للعلم، ومن ثم العمل، فكانت الضريبة روحية، ونفسية، وفكرية، وجسدية.. ولأن القدر قرر أن يكشف له عن سر دفين خبأه عن والده، أتاه من يخبر أن والده يعاني بؤس الشيخوخة وتحرش المنية فيه.. مشهد، أو لقطة سينمائية تقليدية جداً، طرقت كثيراً.. بحيث لم تعد الذائقة السردية تقبل بها:

(كل ما في الأمر هو أننا وأمك تبنيناك وعمرك ثلاثة أيام فقط..) ص٢٩٢، (أتى أبوك وأمك إلى بريطانيا طالبين لتكملة دراسة الطب، ولكنهما تعرضا لحادث سير مؤسف في عام١٩٤٨م، أودى بحياتهما..ونجوت أنت) ص٢٩٣، أدرك حقيقته وهويته، وتركت (غالية/ الساردة) في ذهني أسئلة عدة، وعلامات تعجب لم تقلل من عملها السردي، ودقة إتقانها عند تسيير دفة الأحداث لصالح العمل.

لن نخرج عن ناجي وسنينه المبعثرة أو المتعثرة، إلى أين وصلت!

بعد وصوله نهاية الخمسينيات، وصلته دعوة لإلقاء محاضرة في شمالي بريطانيا أمام كلية الصحافة، عن دور الصحافة في المجتمع.. ألقى المحاضرة، وفي طريق عودته إلى لندن بالقطار، تعرّف على فتاة من أمريكا اللاتينية، من فنزويلا، تدعى (غابريلا).. حكت الساردة، وأتت على سطحيّة تكوّن العلاقة وسرعتها، وبقاء الفتاة معه مدة أسبوع قبل أن يرتب للزواج بها، وقد كان (.. على مشارف العقد السادس من العمر، وفي حالة من اليأس) ص٣٢٨، تزوجا، علمت دافني بعلاقته بها، اشتعلت لديها غيرة النساء، حاولت عرقلة الزواج، رتبت للمحاولة، لكنها فجأة هدأت واستكانت دون مبرر.

وقد تسبب إدمانه على المسكرات في انهيار علاقته بزوجته (غابريلا)، أو ربما هي هجرته إلى عشيق آخر (فرناندو)، ووضعت إدمانه على طاولة الحجة.

البعثرة استمرت.. فقد لجأ إلى وسيلة جديدة للعثور على امرأة بديلة، تقاسمه الحياة أو تملأ فراغه، وسيلة المتناقضات، وهو يقترفها.. لأنها تُناسب رجلا فارغا سطحيا ساذجا، بيد

أن ناجي لجأ إليها، وهي إعلانات الراغبات في إقامة علاقة برجل أو الزواج منه، الإعلان أرشده إلى (شنيد).. فتاة في الثلاثين من عمرها، في أول لقاء به معها روت له حكايتها، حكاية حبلى بالمآسي، لم تطل فترة علاقة ناجي بها؛ بسبب قتلها.

انصرف يبحث عن سر قتلها، في حين أن «دافني» التي تحطم قلبها و(تمنت أن تتبنى طفلة تحطم قلوب الرجال عندما تكبر..) ص٢٩٧، جددت علاقة أخرى مع شاب ساقه القدر إليها، شاباً أفريقياً عازفاً للقيثارة، يشبه عازف القيثارة الأمريكي (جيمي هند يريكس). ويدعى سيوم علوان أحمدو، هو الصحفي الشاعر والموسيقي نفسه، الذي كتب قصيدة زجت به في أتون السجون، وحدثَ عنه ناجي عند إعارته إلى أفريقيا.. مع أن دافني (.. بدأت تتقدم في العمر يوماً بعد يوم، وتزايدت التجاعيد على وجهها، وترهلت عيناها، وذبلت بشرتها) ص٢٠٨، حدثت نفسها بذلك بعد شهر من علاقتها بناجي.. فكيف بها الآن وقد أحبّت.. وتزوجت الشاب الأفريقي؟! وقد قالت لناجي في بداية علاقته بها (لم يبق من عمري سوى القليل، وكل ما أطلبه منك أن تتحملني، ولو لأعوام قليلة قادمة، لم يعد أمامي متسع من الوقت، والعمر قد انقضى منه الكثير وشمسي آلت للمغيب) ص١٩٠، لكنها رجعت (وتم زواج دافني وسيوم علوان في ذات الكنيسة التي تمت فيها مراسيم تأبين هنري وهيربيرت) ص٣٦٦، دافني وهي تتجه نحو الشيخوخة بعكاز متداعي ٠ظل خوف واحد ينتابها، ويسبب لها كابوساً مستمراً يهاجمها في صحوها ونومها، وهو تخلي علوان عنها، عند دخولها في عمر لا تستطيع فيه الاعتناء بنفسها) ص٣٧٨. إلا أنها (استسلمت أخيراً لغفوة أبدية بعد حياة مثيرة حافلة بالعمل، والطيش والعبث والمشاغبة. ماتت بعد أن تلاعبت بالأعراف الاجتماعية الصارمة التي قيدتها، بسبب انحدارها من وسط يقدّس التزمت والتقاليد) ص٢٧٩.

التأريخ أو الأعمار أو زمن الزمن في سنين مبعثرة

وأنا أتناول الرواية كنت أشتم رائحة خلخلة في التاريخ، أثّرت على ضبط الأعمار، وأربكت الزمن، وربما امتد الزمن فيها، أو لا أدري بالضبط.. لذا سأكتفي بالإشارة إلى المواضع والشك الذي وقعت فيه..

- (.. أنا وأمك تبنيناك وعمرك ثلاثة أيام فقط) ص٢٩٢
- (تعرضا لحادث سير مؤسف في عام ١٩٤٨م) ص٢٩٣
- قبل رحيله للجامعة احتفلت الأسرة بعيد ميلاده الثامن عشر.ص٢٣
- نزح للضاحية بعد تخرجه من الجامعة مباشرة. ص٦٣
- بعد شهرين من انضمامه للصحيفة في الضاحية تعرف على ريتشل.ص٥١
- كان ناجي يصغر دافني بأعوام كثيرة عندما تعرّف عليها.ص١٨٧
- وصل نهاية الخمسينيات من العمر. ص٣٠٨، وفي الوقت ذاته وصله خبر وفاة والدته عن

عمر يناهز الثامنة والثمانين.ص٣٠٩.

- رأى النور وهما (أي والديه) في العقد الرابع من العمر.ص١٥

- عندما رتب للزواج بـ (غابريلا)، كان على مشارف العقد السادس من العمر ص٣٢٨.

- كان أنغوس يكبر دافني بما لا يقل عن ٢٥عاماً. ص٤٨.

- هانري كان أيضاً يكبرها بعدد من السنين. ص١١٣.

- بعد وفاة هيربيرت كانت دافني قد وصلت إلى مشارف الستين من عمرها ص١٤٥.

- ليلة رأس السنة للعام ألفين. ص٤٧٨، بعد آخر علاقة نسائية له، في حساب بسيط لمعرفة عمر ناجي نطرح عام٢٠٠٠-١٩٤٨ سنة حادث والديه ونجاته، وعمره ثلاثة أيام واحتضان والديه له =٥٢سنة

٢٠٠٠-١٩٤٨=٥٢ عمر ناجي.

سنوات غربته ٥٢-١٨=٣٤ سنة.

ثقافة المكان وثقافات أخرى

لم أكن راوية فقط، بل كنت أتجوّل في شوارع وأحياء ومقاهي وأمكنة في لندن، بصحبة كتاب، أو أتأمل في معلم سياسي أو فكري وثقافي.. لماذا؟ لأن الرواية رحلة سياحية، دار الأوبرا في كوفنت غاردن، حديقة باركلي، كاتدرائية القديس بول، وكاتدرائية ويست مينستر الكاثوليكية، المكتبة البريطانية، جريدة نيوز أوف ذا ورلد، وصحيفة الغارديان وجريدة التايمز، حرب الفوكلاند التي شنتها بريطانيا على الأرجنتين، رقصة الدراويش وبول روم، ورقصة قبائل جبال الآندي البيروفية، ورقصة الفلامنجو الأسبانية، فندق براوتز وفندق السافوي في ستراند المطل على نهر التايمز، الأكاديمية الملكية للفنون، بنك الستي أوف لندن، مدينة برايتون الصيفية، مستشفى سنت تومس، كلية بيرباك، قاعة الآلبرت المستديرة.. وهناك الشوارع: شارع ساوث ستريت قريب من شارع كروزن، شارع سنت جيمز، شارع نكلوك بارك، شارع بردر في حي سوهو شهير بالملاهي الليلية، شارع دوفر القريب من شارع بوند، شارع برومتون، شارع أكسفورد، شارع كنز، شارع لانكاستر غيت، شارع أودلي في حارة ماي فير.

أما الحواري والمناطق والأحياء: حارة وست بورن غروف، منطقة شور بشاير القريبة من مقاطعة ويلز، منطقة إيلنغ، حارة كينسنغتون، منطقة الستراند، حارة هولند بارك، حي بورتو بلو، حارة جرين بارك قرب حي ماي فير القديم، منطقة الوست إند، منطقة سوهو، منطقة سنت جيمز، منطقة بترسي، حارة فيكتوريا، حارة وترلو.

حواري وأحياء ومناطق ومدن ومكتبات ومقاهي وشوارع وكتب ومفكرون وسياسيون وغيرهم مما تضيف إلى فن السرد وحبكته، وقوة البناء في الرواية، تضيف إليه كون الرواية مرجع سياحي.

---

* كاتبة وقاصة من السعودية.

بين "السيرة الشعبية"، و"القصص الشعبية" الفروق والسمات

■ يسري عبدالغني عبدالله*

المعنى والنسخة الأميرية

لقد عرف الأدب الشعبي فن السيرة الشعبية، ذلك الفن الذي تمتزج فيه مجموعة فنون مختلفة، كالرواية والعزف والغناء والتمثيل في بعض الأحيان، هذا الفن الذي تناقل عبر عصوره المختلفة حتى وصل إلينا في عصرنا الراهن، بعد رحلة غير يسيرة في قلب المجتمع العربي في ريفه وحضره، إلى أن قام بعض الناشرين بجمع بعض تلك السير الشعبية وطبعها في بدايات القرن العشرين، أو نحو ذلك.

ويبدو أن الناشرين كانوا يعتمدون على نسخة معينة سموها (النسخة الأميرية)، وعلى سبيل المثال: صاحب مكتبة تسمى (مكتبة الجمهورية العربية) بالأزهر في القاهرة، يقوم بنشر (سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن)، من دون تاريخ، ويشير إلى أنه راجع نسخته المطبوعة على النسخة الأميرية، وحلاها بالصور.

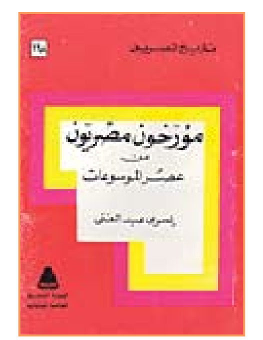
ويشير الناشر نفسه في نهاية السيرة، في الجزء الرابع منها، إلى أن هذه النسخة الأميرية مطبوعة سنة ١٢٩٤ هـ.

ويذكر أيضاً في (ص ٣١٩) أن هذه الطبعة كاملة ولا يوجد فيها نقص ولا تحريف، ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع هذه السيرة في مجلدها الأول.

كما أشارت (قصة الزير سالم الكبرى) التي نشرتها المطبعة السعيدية، الكائنة بجوار الأزهر، من دون تاريخ يوضح لنا وقت الطبع بالتحديد، ويبدو من نوع الطباعة والورق أنها طبعت في بداية القرن العشرين.

ويضيف ناشر (الزير سالم): إن هذه هي قصة الزير سالم الكبرى، أبو ليلة المهلهل، فيها ما كان من كليب وحسان اليماني وجساس بن مرة، وما وقع بينهم من الحروب والأهوال بالتمام والكمال؛

فعبارته بالتمام والكمال تشير أو توحي لنا بوجود مصدر يعتمد عليه في المقارنة بين ما هو معروف في السيرة الشعبية، وما هو بين دفتي كتابه الآن.



على أنه من الثابت من طريقة الطباعة والحروف والورق واللغة، أن بداية القرن العشرين قد شهدت جمعاً لهذه السير والقصص، قامت به أكثر من مطبعة عربية، وتوافرت له أكثر من دار نشر.

وتشير قوائم مطبوعات مطبعة بولاق المصرية - التي تحتفظ ببعضها دار الكتب المصرية بالقاهرة - إلى طبع (ألف ليلة وليلة) في جزأين سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٦م.

كما طبعت قصص (كليلة ودمنة) التي عربها عن الفارسية الكاتب العباسي عبدالله بن المقفع، وقد جاءت هذه الطبعة في جزء واحد، وصدرت في نفس العام الذي صدرت فيه (ألف ليلة وليلة) [أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق، ص ٤٦١، بتصرف].

وهذا يعني أن ازدهار الطباعة لا يقصد به البتة توقفها عند بعض أجزاء من كتب التراث الفصيح، أو المعارف الغربية المترجمة إلى اللغة العربية، وإنما يعني أيضاً الاهتمام البالغ ببعض آثار التراث الشعبي القديم، ولا يستبعد أن تكون عبارة (النسخة الأميرية) السابق ذكرها في طبعة سيرة فارس اليمن سيف بن ذي يزن، إشارة إلى طبعة تمت بالفعل لسيرة الملك سيف بالمطبعة الأميرية ببولاق المصرية.

الرواية والربابة

على أي حال.. فإن القارئ أو المستمع العربي يعرف يقيناً عدداً كبيراً من القصص الشعبي، جاء عن طريق الرواية والربابة، وجاء ثانية عن طريق الطباعة.

وما زلنا نستمع إلى بعض المتقدمين في السن في صعيد مصر، وفي غيرها من البلاد العربية، وهم يروون لنا بعضاً من السير الشعبية.. ولعلنا كمتلقين ما زلنا موصلي المعرفة بالعديد من هذه السير التي رويت وتروى في بلادنا، وعلى سبيل المثال: سيرة الملك سيف بن ذي يزن، وسيرة الزير سالم، وسيرة عنترة بن شداد العبسي، وسيرة الظاهر بيبرس المملوكي، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة حمزة العرب أو حمزة البهلوان، وسيرة علي الزيبق، وحكايات ألف ليلة وليلة، وسيرة بني هلال.

هذا، فضلاً عن قصص شعبي آخر عرف منذ فترة ليست عريقة في القدم، أو قد تصل إلى عدة قرون، ترجع إلى بدايات العصر الفاطمي تقريباً.

ولكن العراقة لا تصل إلى أكثر من مائة عام، إن لم يكن أقل على وجه التقريب، مثل قصة (حسن ونعيمة)، و(ياسين وبهية)، و(أيوب المصري)، و(أدهم الشرقاوي)، و(سعد اليتيم).. وغيرها من قصص بدأ يُنشر مؤخراً، وبدأ الرواة يهجرون تحلقات أهل الريف والمستمعين في الأرياف والمدن إلى أشرطة (الكاسيت) يسجلون عليها عدداً من القصص المحتوي على المواعظ والحكم والعِبر.

وفي رأينا أن هذه القصص المسجلة موضوعة، وأنها من تأليف أو من صنع هؤلاء المغنين، وأن شيئاً منها لا يمتد إلى أكثر من بضعة أعوام أو

أشهر، ولكن البعض منها قد يمتد إلى أكثر من ذلك، بل ويختلط بالمدائح النبوية، التي تنشد أو تقال في المناسبات الدينية المختلفة لتحول الراوي إلى راوية سيرة.

بين فنين

ولا بد هنا أن نشير إلى فروق جوهرية مهمة بين (السيرة الشعبية) و(القصص الشعبي)، والتي بناء عليها نحدد السمات المميزة للفنين.

ونحن نحاول في هذه السطور أن نبرز هذه الفروق المهمة، نظراً لعدم وضوحها وإظهارها في بعض الدراسات التي اطلعنا عليها.

فالسير الشعبية تاريخية في المقام الأول، تعكف على التاريخ بهدف استخلاص مادتها منه، سواء من تاريخ بلاد اليمن القديم كسيرة الزير سالم أو الملك سيف بن ذي يزن، أو من تاريخ الأدب الجاهلي كسيرة الشاعر الفارس عنترة بن شداد العبسي، أو من تاريخ القبائل العربية كسيرة بني هلال، أو من تاريخ مصر في العصر المملوكي كسيرة علي الزيبق الذي قاوم ظلم المماليك وطغيانهم، وكسيرة الملك الظاهر بيبرس.

والسيرة الشعبية تحرص على الهدف التاريخي في المقام الأول، ولا تتحول عنه حتى نهاية السيرة، وأبطالها يتحولون إلى أبطال قوميين، أو بمعنى آخر يتحولون إلى نماذج أو رموز بطولية، يضرب بها المثل، ويقتدى بها في الشجاعة والبسالة والإقدام والفروسية، ونحو ذلك مثل سيرة عنترة. [حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، ص ٥٣، وما بعدها، بتصرف].

أما القصص الشعبي فهو قصص يصور لنا في أغلبه الصراع من أجل ديمومة الخير واستمراريته من خلال نماذج بشرية أكثر موافقة أو ملاءمة للواقع المعاش، تستقي قصصها من الحياة اليومية العادية، بطلها إنسان عادي بسيط، عادة ما يكون فقيراً، مثل (حسن المغنواتي) في (حسن ونعيمة)، و(ياسين) الفلاح الفقير في (ياسين وبهية)، والأمر نفسه ينطبق على (سعد اليتيم)، وعلى (أيوب المصري).

وهو قَصَصٌ دائماً ما يجد آذاناً مصغية على المستويات كافة، أو مختلف الطبقات، كآذان الشباب والشيوخ والنساء والفتيات، بينما تجذب السيرة الشعبية جمهور الرجال في حلقات تثير الحماسة والحمية عبر سهرات وأسمار ومنتديات.

وقد تكون لها أهداف أخرى غير ذلك، إلا أنها عادة ما تحمل تضمين حال العصر؛ أي تعبر عنه أكثر من غيرها، ومثال على ذلك: سيرة عنترة بن شداد التي هي محور كتاب (فن كتابة السيرة الشعبية) الذي ألفه د. محمود ذهني بالاشتراك مع الأستاذ فاروق خورشيد، والذي صدرت طبعته الأولى بالقاهرة، سنة ١٩٦١م.

التعبير الضمني عن متغيرات المجتمع

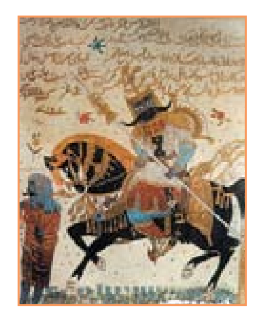
مما لا ريب فيه أن السير والقصص الشعبية تعبر تعبيراً ضمنياً عن متغيرات المجتمع في مجالاته الحياتية كافة، فهي صورة واعية مدركة وفي الوقت نفسه مباشرة، وأبطالها يعبرون عما يمكن أن نسميه (الوجدان الجمعي)، وذلك عن طريق إسقاط الواقع على حقبة تاريخية سالفة، بل وإسقاط المضمون الراهن (المعاصر) على مضمون تاريخي سالف.

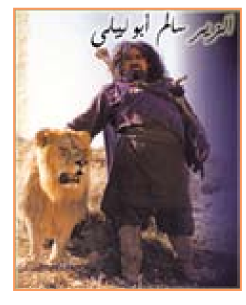
نرى في هذه السير وتلك القصص حقباً تاريخية، تبدأ أحياناً في شكل مقدمات تتحدث عن قصة بدء الخلق، ثم تنتقل لتبدأ الرحلة التاريخية للبطل، وذلك مثل ما نجده في سيرة

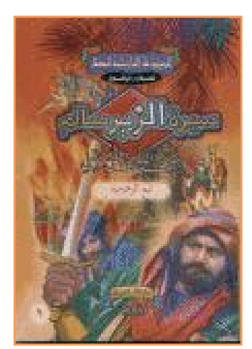
سيف بن ذي يزن، أو الزير سالم، أو عنترة بن شداد، ثم تنطلق في هدوء وتأنٍ أحياناً لتتابع أحداث يوم أو بضعة أيام، ثم تسرع في أحيان لتلخص لنا حدثاً عاماً، أو تزيد على الأحداث حدثاً آخر.

وهي تلح على صراع بين قوتين، القوة الأولى: هي قوة الخير المطلق، وهي عادة في كفة ميزان صاحب السيرة، فهو البطل، وهو المقدام الشجاع، وهو الفارس الحامل للواء الخير والخلاص، وهو الذي يتحقق دوماً النصر المبين على يديه.

أما القوة الثانية: فهي القوة الشريرة المطلقة، تحقيقاً لقصة الصراع الأزلي الذي يواجهه الإنسان منذ أن هبط على المعمورة الأرضية، ومع أن ظواهر الشر عادة ما تكون خفية، ومختلفة، إلا أنه موجود وسيظل موجوداً إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها [حلمي بدير، مرجع سابق، ص ٥٤، بتصرف].







نأتي بعد ذلك إلى مؤلف سيرة عنترة الذي لا ينسى أن يقدم لنا صورة أخرى من الكفاح ضد العبودية، وذلك في شخصية (شيبوب) شقيق عنترة من أمه، فهو كما يُصور لنا دميم، أسود اللون، سريع الجري، وهو في الوقت نفسه: ذكي، لماح، خفيف الحركة، جريء جرأة شديدة.

فإذا كان عنترة فارس الحب والحرية يواجه المواقف في صراحة واضحة، فشيبوب يواجه المواقف بأسلوبه الخاص جداً، وعنترة يواجه مجتمعاً بأسره، إذ أن مواجهته ليست مواجهة موقف فردي، ولكن مواجهة مجتمع بتقاليده وعاداته وأعرافه وقيمه الصحيحة أو غير الصحيحة، في الوقت نفسه الذي هو متيم حباً بابنة عمه عبلة.

وعبلة هنا قد تكون رمزاً، يفسر منطقياً علاقة عنترة بالقبيلة ليصبح لمسعاه هدف أو غرض أو مرمى، فانتسابه لعبس ليس مجرد هدف معنوي، ولكنه هدف يتحقق مادياً في مسعى يريده البطل، ويحول العرف القبلي دونه.

وسيرة عنترة بن شداد تعرض لفكرة مطلقة، هذه الفكرة تتعلق بقيمة الإنسان وحريته، والقيمة والحرية ترتبطان بظاهر خِلقي هو لون عنترة، ولكنها تتعلق بصفات الإنسان، وتصبح القضية المحورية أمام البطل عنترة هي الحرية المطلقة التي يجب أن تمنح للإنسان في كل مكان وزمان، دون قيد من لون أو جنس أو قبيلة أو نسب. هي سيرة تطرح هذه الطروحات في عصر سادت فيه العصبية القبلية، وانقسم الناس فيه إلى أشراف وعبيد أو أسياد وعبيد.

عندما يتعاطف الوجدان الجمعي

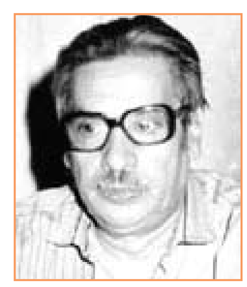
ولعل إصرار الضمير الجمعي في هذه القصة، والزيادات المختلفة فيها التي تصل إلى حد المبالغة الشديدة في بعض المواقف، لدليل حي واضح على مدى تعاطف الوجدان الجمعي مع عنترة، وهو دليل كذلك على رفض الناس بوجه عام للتقاليد أو المعطيات القبلية البالية.

نقول: إنه مهما كانت طبيعة العصر الذي عرضت فيه سيرة عنترة بن شداد، ثم انتقلت لنا بعد ذلك، فهي لم تنتقل بزياداتها، فلم يعرف أن جزءاً منها قد تعرض لتحريف، وإنما ظلت رمزاً للحرية والحق والعدل والحب الصادق العفيف، وحرباً على التفرقة العنصرية والظلم البين والطبقية المقيتة.

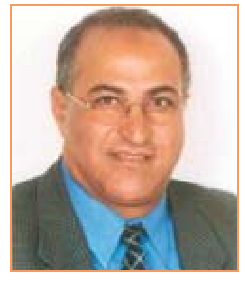
ويمكن لنا العودة إلى كتاب (السيرة الشعبية) للأستاذ فاروق خورشيد، والذي صدر سنة ١٩٦٤م، بالقاهرة، وكذلك كتاب (سيرة عنترة) للدكتور محمود أحمد الحفني ضمن سلسلة (مذاهب وشخصيات)، وسنجد به صفحات كاملة من كتاب (فن كتابة السيرة الشعبية) الذي كتبه الدكتور محمود ذهني بالاشتراك مع الأستاذ فاروق خورشيد.

أقول لكم: إن السيرة الشعبية لعنترة تعتمد على النص الشعري الفصيح الذي ينسب لعنترة وهو أحد أصحاب الشهرة الخاصة في تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، بل إليه ترجع مدرسة الشعر العفيف أو العذري في أدبنا العربي، على عكس ما شاع بين بعض الدارسين. [محمد مفيد الشوباشي، رحلة الأدب العربي إلى أوربا، ص ٢٠٦، بتصرف].

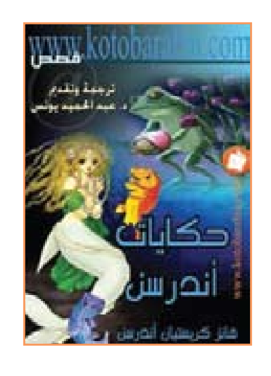
ولعل هذا ما يميز سيرة عنترة عن غيرها، حيث تعتمد السير الأخرى على نوع من الشعر الركيك، الذي يفتقد الوزن، ويقترب من العامية،



فاروق خورشيد



عبدالحميد يونس



وهي سمة نجدها في السير الشعبية جمعاء دون استثناء.

والذي لا شك فيه أن قدراً كبيراً من السير الشعبية، صنع ودون في مصر، في عصر المماليك، أو قبله، على حد الرأي الذي ذهب إليه أستاذنا الدكتور عبداللطيف حمزة، في كتابه المهم: (الأدب المصري: من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية).

وهذا الرأي ينصب أيضاً على حكايات الليالي (ألف ليلة وليلة)، على الرغم من صورة بغداد الواضحة بها، في عصر من أزهى عصور الإسلام، وهو عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد، وكذلك صورة القاهرة الفاطمية بما تضم من أحياء ومساكن ومتاجر وحوانيت.

وبالطبع لا تأتي سيرة الليالي، دون أن نذكر الأستاذ رشدي صالح الذي قام بإعداد حكايات ألف ليلة وليلة، وصدر الجزء الأول منها ضمن سلسلة (كتاب الشعب) عن دار الشعب المصرية في أول يونيو ١٩٦٨م.

الانتقال والتدوين والعنصر القومي

إن انتقال السير الشعبية من عصر إلى عصر يحمل في طياته دائماً بحث الضمير الجمعي عن البطل المنقذ أو المُخلص، الذي يجسد آمال الجماهير العربية وتطلعاتها في صراعها الطويل من أجل الاستمرارية والبقاء.

وفي هذا الصدد نعود إلى الدكتور رجب النجار

في بحثه المنشور في مجلة (عالم الفكر الكويتية، إبريل مايو يونيو، ١٩٨٥م، ص ١٥٣)، إذ يرى أن سيرة (فيروز شاه) ليست عربية، وذلك لاحتوائها على صورة الفرس وهم يخذلون العرب، ويستعلون عليهم.

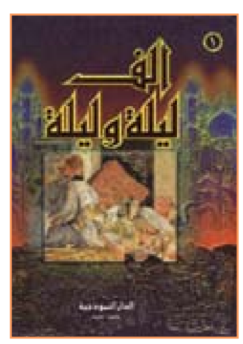
وهو يسأل (ونحن معه) كيف لسيرة بطولية عربية فيما هو شائع أن تأتي على هذا النحو، خاذلة للعرب وللتاريخ العربي، وفاجعة للأماني والأحلام العربية، وهي السيرة الملحمية التي يفترض فيها أن تكون آخر الأمر أنشودة قومية؟!!

وقد يكون تاريخ تدوين هذه السير وراء ما احتوته على هذا العنصر القومي الواضح الظهور، وهو العنصر المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبحث الدائم عن البطل المنقذ أو المُخلص الذي يحقق الحُلم العربي القديم، المتمثل في عناصر الفُروسية والتوحد والالتفاف حول شكل واحد أو زعيم واحد.

وفي الوقت نفسه فإن هذا البطل أقرب في بعض مضامينه إلى الأسطورية، ولذلك فنحن لا نجد هذا المغزى في كثيرٍ من الملاحم الغربية أو الشرقية بهذا الوضوح، بدءاً من أناشيد (رولان)، أو ملحمة (بيولف)، أو (برامايانا) الهندية، أو (جلجامش) البابلية، ذلك على الرغُم من توافر عناصر البطولة التي تتضح بصورة كبيرة في إلياذة هوميروس اليونانية.

صورة أخرى للبطولة

ونجد صورة أخرى من البطولة، وذلك في







حكايات ألف ليلة وليلة، وهي البطولة التي تتحول من المضمون التاريخي الذي جوهره الانتصار على أعداء العرب، والفروسية، والاستعانة بالوسائل المختلفة.. المنطقية أو غير المنطقية، وذلك لتحقيق هذا الانتصار المنشود.

صورة البطولة هذه تتحول إلى مضمون اجتماعي بحت، حيث يصبح فيه البطل أحياناً حلماً رومنسياً رقيقاً يراود ابنة السلطان ويداعبها، ويسعى إليها باذلاً الجهد والنفس من أجل الوصول إليها.

هذا التحول قد يكون وراءه ظروف حكايات ألف ليلة وليلة، وذلك من حيث طبيعة الرواية والراوية، وطبيعة وزمان المتلقي، وأسباب الحكايات.

الراوية هي شهرزاد، والمتلقي هو الملك شهريار، وما يعانيه من عقدة مؤرقة، وزمان التلقي هو دائماً ما بين العشاء والفجر، وسبب الحكايات محاولات شهرزاد المستمرة من أجل ترقيق مشاعر وأحاسيس متلقيها من أجل أن تنتزع من مخيلته صورة الفتاة أو المرأة الخائنة؛ ولهذا، فإن هذه العوامل مجتمعة لن تتناسب معها صورة السير الحماسية البطولية المختلفة، إذ قد تؤدي إلى صورة عكسية، أو فلنقُل نتائج سلبية؛ فكان من المنطقي جداً أن تصبح حكايات ألف ليلة وليلة نوعاً آخر يتمثل فيها جانبا الخير والشر، وتتمثل فيها عناصر الصدق، والخيال والخرافة، والاستعانة بالجن والشياطين، ولكن بهدف يختلف في النهاية عن أهداف السير الأخرى المختلفة.

ففي ألف ليلة وليلة يسعى البطل لتحقيق ما تريده أميرته، ولكن لا يسوق أمامه قطيعاً من الأسود يجره إلى حديقة قصرها، كما فعل الملك سيف بن ذي يزن، أو يسوق أمامه قطيعاً من النوق العصافيري الحمراء جاء بها من بلاد الملك النعمان في الحيرة العراقية كي يقدمها مهراً لمحبوبته، كما فعل عنترة بن شداد.

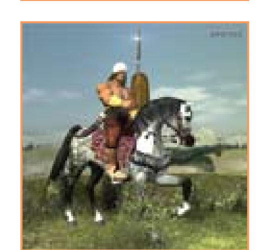
والبطل في الليالي يركب الصعب ليصل إلى جزر (الواق واق) ليعود بما يحقق شرط الزواج، ولكنه يمثل في النهاية الفتى الجميل الرقيق، فصفة جمال الشكل ملازمة لجمال الخُلق في أغلب حكايات الليالي.

وهنا أحب أن أشير إلى دراسة أعدت لنيل درجة الدكتوراه قدمها الدكتور محسن جاسم الموسوي لجامعة (دالهوزي) الكندية سنة ١٩٧٨م، بعنوان: (الوقوع في دائرة السحر: ألف ليلة وليلة في النقد الأدبي الإنجليزي ١٧٠٤م-١٩١٠م)، ونشرت هذه الدراسة في كتاب صدر عن دار الرشيد للنشر، التابعة لوزارة الثقافة والإعلام العراقية، ضمن سلسلة دراسات، سنة ١٩٨٢م، وهذه الدراسة يمكن أن تفيد الباحث في هذه الجزئية.

انعكاس للبيئات العربية

ومن الملامح المميزة لقصص الليالي أنها تعكس عدداً من البيئات العربية الأصيلة، وخاصة في كل من بغداد والبصرة والقاهرة، وصورة هذه البيئات صورة واضحة المعالم والسمات، تدل على خبرة دقيقة وعميقة بطبائع هذه الأمصار الإسلامية عن قرب، بل هي تنقل أحياناً بعض تفاصيل من سير أخرى، ومثال على ذلك (حكاية علاء الدين أبي الشامات)، الواردة في الليلة الثامنة والخمسين بعد المائة الثانية من الليالي.

كما تصور الليالي بعض عادات وتقاليد المجتمع في مصر (كمثال) المتوارثة حتى الآن، ففي حدث الميلاد في (حكاية علاء الدين أبي الشامات)، يقول: «... وقامت الأفراح فقاست الداية (القابلة أو المولّدة) المشقة في الخلاص، ورقتهُ باسمي محمد وعلي، وكبرت وأذنت في أذنه، ولفته وأعطته لأمه، فأعطته ثديها وأرضعته، فشرب وشبع ونام، وأقامت الداية عندهم ثلاثة أيام حتى عملوا الحلوى ليفرقوها في اليوم السابع (السبوع)، ثم رشوا ملحه، ودخل التاجر (والد الطفل)، وهنأ زوجته بالسلامة.. [رشدي صالح، ألف ليلة وليلة، العدد السابع، دار الشعب، ديسمبر، ١٩٦٨م، ص ٥٠١].



وفي هذه الفقرة جمع عادات الميلاد والسبوع، وما يتعلق بهما من تقاليد، وهي لم تتغير في مصر حتى يومنا هذا، وإن كان يلاحظ عبارة (رقته باسمي محمد وعلي)، ويقصد بمحمد هنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويقصد بعلي الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأغلب الظن أن العهد كان قريباً بين كتابة هذه الليالي وبين الدولة الفاطمية الشيعية، وإن كان هذا لا ينفي تعلق أهل مصر وحبهم الشديد لأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

عن الإطار الزمني والمكاني

وكما سبق أن أشرنا فإن هناك فرقاً واضحاً بين ما عرف باسم السير الشعبية، وما عرف

باسم القصص الشعبي، ولعل أوضح مثال على النوع الأول هو (سيرة بني هلال)، ويرجع بدؤها بالعصر الجاهلي أو بمعنى أدق بانتهاء العصر الجاهلي، وبداية عصر صدر الإسلام، وتستمر في أجيال متعاقبة لتغطي فترة زمنية متسعة، وتغطي إطاراً مكانياً متسعاً أيضاً، هذا الإطار المكاني يشمل بلاد المغرب العربي، والأندلس، ومصر، ولهذا نجد صورة واضحة لبعض ملامح الشخصية العربية والمصرية فيها، وكذلك بعض معالم المدن العربية مثل القاهرة.

هكذا أرادوه..

وتمثل سيرة الملك الظاهر بيبرس الوجه الذي أراده له المصريون في مواجهة الحملات الصليبية على المشرق العربي، فهي سيرة لا تقف عند الحدث التاريخي فقط لا غير، رغم قرب العهد بينهم وبين رواياتها، ولكنها تتعداه إلى حدث قصصي من صنع رواتها، يضفون به على شخصية الظاهر بيبرس صفات من البطولة والفروسية، بل يضيفون إليه مناصب ووظائف لم تعهد إليه!

وختاماً لهذه السطور أود أن أذكر ما كتبه الدكتور عبدالحميد يونس في كتابه (الظاهر بيبرس في القصص الشعبي) والصادر سنة ١٩٥٩ م، إذ يقول: «... وأذكر أن أحد المؤرخين المحدثين أنكر هذه السيرة الشعبية (سيرة الظاهر بيبرس) التي نعرض لها الآن، والتي ترسم الظاهر بيبرس كما يحب الشعب أن يكون البطل المجسم للمثل المحقق للرغبات، ورآها لا يمكن أن تصلح وثيقة من وثائق التاريخ..!!».

والرد على هذا الرأي يحتاج منا إلى مقال آخر، فلعلنا نوفق إليه بإذن الله تعالى.

المراجع

- حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، دار الشعب، القاهرة، دون تاريخ.
- أبو الفتوح رضوان، تاريخ مطبعة بولاق، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- رجب النجار، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفة، الكويت، سبتمبر ١٩٨١م.
- رشدي صالح، ألف ليلة وليلة، كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٦٨م.
- عبدالحميد يونس، التراث الشعبي، سلسلة كتابك، دار المعارف، القاهرة.
- عبدالحميد يونس، الظاهر بيبرس في القصص الشعبي، المكتبة الثقافية، العدد ٣، القاهرة، ١٩٥٩م.
- عبدالحميد يونس، الحكاية الشعبية، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- قصة الزير سالم الكبرى، نشرتها المطبعة والمكتبة السعيدية، مصر، دون تاريخ.
- سيرة فارس اليمن، الملك سيف بن ذي يزن، المجلد الأول، مكتبة الجمهورية العربية بالأزهر، القاهرة، دون تاريخ.
- محمود ذهني، بالاشتراك مع فاروق خور شيد، فن كتابة السيرة الشعبية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٦١م.
- فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- محمود الحفني، سيرة عنترة، سلسلة مذاهب وشخصيات، القاهرة، دون تاريخ.
- محمد مفيد الشوباشي، رحلة الأدب العربي إلى أوربا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري.. من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، سلسلة الألف كتاب الأولى، العدد ٢٤٢، القاهرة، دون تاريخ.
- رجب النجار، سيرة فيروز شاه، بحث منشور في مجلة عالم الفكر، المجلد السادس عشر، العدد الأول: أبريل مايو يونيو، الكويت، ١٩٨٥م.

* كاتب من مصر.

بصحبة شاعر

أضواء على تجربة الشاعر إلياس أبو شبكة

■ رامي أبو شهاب*

كان للظروف التاريخية والثقافية، التي سادت إبان الحكم العثماني لبلاد الشام، أثر في تشكيل البنية الثقافية العربية في تلك الفترة، ولا سيما بعد أن تعرضت طوال قرون عدة للتهميش والإقصاء؛ ما نتج عن ذلك ردة فعل سياسية، ظهرت في كل من سوريا وفلسطين ولبنان، وأحدث تحولا في البنية الثقافية التي بدأت تحطم صخرة التجهيل والظلامية، تبعا لعدة مؤثرات، منها الاستقلال النسبي لجبل لبنان عن الدولة العثمانية، إضافة إلى الإرساليات التبشيرية التي شهدتها بلاد الشام، ومحاولات الثورة في لبنان وفلسطين وسوريا. وقد شكلت هذه المؤثرات مجتمعة بروز ثلاثة اتجاهات سار بها المثقفون العرب، ونجملها بالسلفية الثقافية، والانبهار بالغرب والاقتداء به، وأخيرا.. الاتجاه الثالث الذي حاول الاستفادة من الثقافة الغربية، مع ربطها بالموروث لتأسيس مشهد توفيقي، ومن نتاج الأخير كان الشاعر اللبناني إلياس أبو شبكة الذي تميز بطبيعة شعرية مغايرة، اتسمت بالخصوصية والتفرد، نتيجة عوامل عدة، نبرزها عبر عدد من المحاور التي سنأتي عليها.

ثنائيات

من خلال المتابعة لحيثيات بيئة الشاعر ونشأته، نلحظ عددا من الثنائيات التي عملت على صياغة تجربته الشعرية، حيث عاش شاعرنا في مناخ يتسم بالازدواجية والقلق نتيجة للبعد المكاني؛ فالشاعر لبناني الجذور، غربي الولادة. وتذكر المصادر أنه ولد في الولايات المتحدة الأميركية، وتحديدا في مدينة نيويورك عام ١٩٠٣م، مكث فيها سنواته الثلاث الأولى، وقد كان يدين المسيحية، إذ عاش في جبل لبنان، الذي كان يتمتع بنوع من الاستقلال النسبي عن الدولة العثمانية، ولكن المناخ السياسي كان يشي بخطر وجود الدولة العثمانية، ويشكل نوعا من القلق للفئة المسيحية، وقد ترك هذا الإحساس بالخطر أثراً على الشاعر حيث، استشعر دوما التهديد والقلق اللذين باتا سمة مميزة لشخصيته.

ومن ثنائيات تشكيل العالم الداخلي للشاعر، ثنائية الحياة والموت، فقد عانى إلياس أبو شبكة من فقدان والده الذي مات قتلاً، ما عمق فيه مأساة الإحساس بعبثية الحياة، وتصاعد الحس الوجودي لديه. تقول ريتا عوض بهذا الشأن: «كان موت الأب نكبة للشاعر، الذي لم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره، وخلفت تلك الفاجعة جرحا عميقا في نفس الطفل، وفتحت عينيه باكرا على حقيقة الموت».

إلياس أبو شبكة

واستمرارا في تتبع تلك الثنائيات التي شكلت شخصيته، نجد ثنائية المرجعية الثقافية التي تبرز من خلال عاملين: أولهما الثقافة الدينية التي تشرّبها الشاعر عبر ديانته المسيحية، ودراسته في عدد من مدارسها. وعلى الرغم من عدم ارتباط الشاعر بالكنيسة فعليا، فإن الموروث الديني توطد لديه، نتيجة قراءته للتوراة التي أسهمت في زيادة ثقافته، ضمن جو عام تسيطر عليه الثقافة الإسلامية الممثلة بالمحيط، ونعني تواجد الدولة العثمانية القوي في تلك المنطقة، والتركيبة السكانية لها؛ وهنا يتحقق العامل الثاني المتمثل بالثقافة العربية الإسلامية ذات الحضور القوي والمؤثر.

وإذا ما نظرنا في ثقافة الشاعر الأدبية والفكرية، نجد أن تلك الثنائية، كانت حاضرة من خلال وجود ثقافتين مهمتين شكلتا الشخصية الثقافية للشاعر، وهما الموروث الأدبي العربي، والذي تجلى في الشعر العربي، فقد كان إعجاب الشاعر ينصب على الغزل العذري، عوضا عن شعر أبي العلاء المعري وغيره من الشعراء العرب، وبمحاذاة ذلك نرى وجودا قويا آخر للثقافة الفرنسية الغربية، إذ تعلم أبو شبكة لغتها في المدارس الفرانكفونية، وقرأ الشعر الفرنسي، ونظم الشعر باللغة الفرنسية، وكان متأثرا بالشاعر ألفريد دي موسيه، وألفريد دي فيني، إضافة إلى الشاعر الأهم بودلير وديوانه «أزهار الشر» الذي أحدث أثراً بارزاً في ديوان شبكة «أفاعي الفردوس».

مستوى الصراع

عايش الشاعر صراعات على أكثر من مستوى، لعل أهمها الصراع مع الموت، فقد بدأ التعاطي معه كشيء ملموس وقريب بعد موت والده، إذ أدرك أبو شبكة معنى الموت الذي هشم بنيته النفسية، ليتعاظم الشعور بمرارة اللاجدوى والعبثية؛ ومن هنا انبثق ارتداد فلسفي، تمثل بالنظر إلى الحياة على أنها خديعة، ومن ثم كان لا بد للشاعر من فلسفة هذه الأزمة بمنظور متعال، قريب الصلة بفلسفة الشاعر طرفة بن العبد، حين قرر مواجهة سخرية الحياة، وما يتبعها من موت، بالانغماس في فكرة تحقيق أكبر قدر من المتعة. ولكن هذه الاتجاه لم يكن متوافرا لديه جراء الفقر وضيق ذات اليد، ويضاف له عامل آخر تمثل بالمعضلة الأخلاقية؛ فقد كان يستشعر القيمة الأخلاقية للوجود الإنساني، وهذا عائد إلى تلك التربية التي تحصّلها من جراء وجوده في أكناف الرهبان والمدارس الدينية، ومن أشعاره التي تعالج عبثية الحياة مقابل جبروت الموت هذه الأبيات:

العُمرُ قَصرٌ نَحنُ بَينَ رِحابِهِ
وَالمَوتُ مُنتَصِبٌ عَلى أَبوابِهِ
وَالمَرءُ إِن يَفخَر بِأَنسابٍ لَهُ
فَالتُّرقُ وَالديدانُ مِن أَنسابِهِ

مِـن عَـهـدِ آدَمَ وَالـضَـريـحُ مهيّأ
وَجَميعُ هذا الخَلقِ رَهنُ طِلابِهِ
كُـلٌّ يُـغَـيـبـهُ الـزَمـانُ إِلـى الهبا
وَكَـذا الـزَمـانُ يَحينُ يَـومُ غِيابِهِ
وَالـكـائِـنـاتُ لَـدى الـرَدى أُلعوبَةٌ
حَـتّى الخُلودُ يَصيرُ من أَلعابِهِ
مـا مُـذهـبُ الـدَهـرِيِّ ذا لكنَّما
هو مذهب العَقلِ الحَكيمِ النابِهِ

ويتبدى الصراع مرة أخرى، ولكن هذه المرة، على مستوى المرأة من منطلق أخلاقي، إذ أحب أبو شبكة عدة نساء، تميزت منهن واحدة تكبره عدة سنوات، وكان له علاقات أخرى مع عدد من النساء، منهن امرأة متزوجة، ما سبب له شعورا بالإثم نتيجة تلك العلاقة - المحرمة دينيا واجتماعيا- مع ما تنطوي عليه من شعور بالإثم والخوف والقلق؛ ونتيجة لذلك وقع في تناقض أخلاقي تبدى على شكل صراع داخلي نفسي، انعكس على شعره.

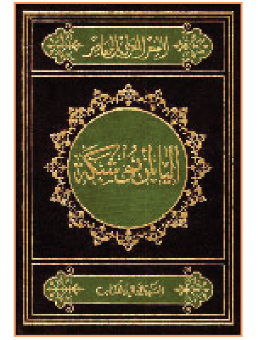
حيرة الشاعر

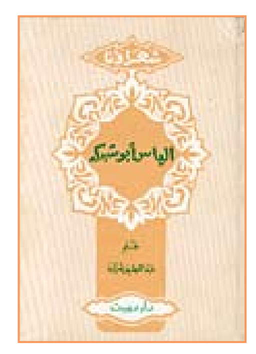
جاء هذا العنوان تعبيرا عن الواقع الشعري، في زمن برزت فيه عدة اتجاهات ومدارس شعرية، شكلت بداية الوعي الفني في العصر الحديث. هذه المدارس تراوحت بين التقليد والابتكار، فنحن نجد الموروث الشعري العربي القديم ومحاولة محاكاته، في مقابل محاولات حثيثة للاستفادة من المذاهب الغربية وتوجهاتها الشعرية. فكيف كان موقف الشاعر من هاتين الحركتين؟

كان موقفه توفيقياً تصاحبه دعوة إلى إيجاد مدرسة ثالثة، يكون قوامها إظهار الشخصية الثقافية الخاصة بالشعر العربي، بعيدا عن التقليد وظلاله، والسقوط في دائرة التبعية للغرب.

«نريد أدبا جديدا نستقل به ونطبعه بطابع نفوسنا، نريد أدبا يقوم على ثورة الفكر والنظم والتقليد، نريد أدبا يخرج عن القاعدة التي سنها المتقدمون ولو تهجم المتهجمون. نريد أن نضحي بتلك النظم والتقاليد الأدبية في سبيل الفكرة والفن».

هذا الرأي يكشف عن تصور أبي شبكة للتوجهات الشعرية، فهو يريد نهضة فكرية في سبيل تشكل هوية عربية خالصة. وبناء على ذلك.. وقف الشاعر في وجه الكثير من المدارس التي كانت تجتاح لبنان في تلك الفترة، ومنها الرمزية ذات المرجعية الغربية. ومع ذلك - وكما هو ملاحظ من شعره - كان أسيرا لأحد المذاهب الغربية، ونعني به المذهب الرومانتيكي، الذي مثّل عاصفة اجتاحت المشهد الشعري العالمي، وكان لا بد لأي شاعر في تلك الفترة من مجاراته، لاسيما أنه قد صبغ الشعر في تلك الفترة بطابع عام، وخاصة لدى الشعراء الشباب ومنهم أبو شبكة.





قلق الوجود - قلق الشعر

نتحدث في هذه الجزئية عن ذلك القلق الذي سكن أدب الشاعر، وخاصة في بعض قصائده التي امتازت بمواجهته مع نفسه، من خلال مواقف معينة تتسم بالصراع والتوتر، كما في الأبيات الآتية.

يقول الشاعر في قصيدة «الصلاة الحمراء» من ديوانه أفاعي الفردوس:

ربـــاهُ عَــفــوَكَ إنّـــي كـــافِـــرٌ جـــانِ
جَوَّعتُ نَفسي وَأَشبَعتُ الهَوى الفاني
تَبِعتُ في الـنـاسِ أَهـواءً مُحَرَّمَةً
وَقـلـتُ لِـلـنّـاسِ قَـولاً عَـنـهُ تَنهاني
وَلم أُفِق مِن جُنونِ القَلبِ في سُبُلي
إلا وَقَـد مَـحَـتِ الأَهــواءُ إيماني
رَبّاهُ عَفوَك إنّي كافِرٌ جانِ
لَكَم دَعَتني إلـى الفَحشاءِ أَميالُ
وَأَنــذَرَتــنــي تَـجـاريــبٌ وَأَهـــوالُ
إن الـتَجاريـبَ لِـلأَلـبـابِ مَوعِظَةٌ
لـكِـنَّـهـا لأُولـــي الأَضــلالِ أَضـلالُ
تِلكَ اللَيالي المواضي لا يَزالُ لَها
بَـيـنَ الـخَـرائِـبِ فـي عَـيـنَـيَّ أَطـلالُ
وَآحــســرَتــاه وَقَــلـبــي لا يَـــزالُ لَـــهُ
فــي لَـــذَّةِ الــعــارِ أَوطـــارٌ وَآمـــالُ

يكشف هذا المقطع الشعري عن تلك الطبيعة الصراعية بين الطهر والخطيئة، فهنا يتحقق مقدار الألم الذي يعاني منه الشاعر، والذي يتأتى على شكل اعترافات لله نتيجة الخطيئة، وكأنه في هذا الاعتراف يكفر عن ذنوبه، وهذا ما يكشف عن حقيقة الصراع المتوقد في نفسه؛ فهو يقف ليتأمل ويحاسب نفسه، وهو مسكون بمواجهة الخطيئة والحساب. ونذكر له هنا قصيدة بعنوان «الدينونة»، وفيها يصور الحساب، ولا سيما حساب الشعراء، إذ يحاورهم إبليس حول خطاياهم وكذبهم، يكشف هذا مقدار القلق الذي ينتاب الشاعر وإحساسه بالمعضلة الأخلاقية التي تلح عليه، وتتجلى في شعره، فكأن الشاعر في حديثه هذا يفرغ ما بداخله من خوف، على شكل تطهير أرسطي، ويضع تساؤلا في مواجهة نفسه.

يقول الشاعر في قصيدته «الدينونة» من ديوان أفاعي الفردوس:

وصاحَ: «ما هذهِ الرّؤيا، وأينَ أنا؟
فقالَ إبليسُ «مَهلاً هذهِ سَـــقر
حملتُ قيثارةً في الأرض كاذبةً
من الحقيقةِ لم يَنبضْ بِها وَتـر
وريشةٌ من جَناح البوم ما رَسَمتْ
إلا خفافيشَ بالديبـــاج تستتر
فأنت لـي وجحيمي لـي أوزعه
على الألى أنشدوا شعرا وما شعروا»

ملامح رومانسية

تبرز الملامح الرومانسية في شعر أبي شبكة من خلال المضامين، إضافة إلى الجوانب الفنية. فإذا ما نظرنا إلى المضامين، نجد أن الشاعر يكاد يتمحور غالبا حول مواضيع ذات طابع رومانسي. فثمة تأملات في شعره ترتكز على الذات، حيث يكون الإنسان بؤرتها؛ عوضا عن ما يعتريها من صراع في مواجهة الحياة والقدر، كلها متعالقة مع قضايا الخوف والحساب والإثم والخطيئة.

ونجد أيضا تلك القصائد التي تركز على مظاهر الطبيعة، وهي من أهم مرتكزات الرومانسية، وصحة ذلك، ما تطالعنا به عناوين دواوينه وقصائده، ومنها: ألحان الشتاء، والفلاح، وقصيدة يا بلادي. والأخيرة يربط بها أبو شبكة حب الوطن بحب الطبيعة. ونقع أيضا على



منزل أبو شبكة

حضور مكثف للمرأة في شعره، من خلال قصائده التي يعبر فيها عن عشقه لبعض النساء، منها «غلواء» وقصيدة «التجلي» (العهد الثالث).

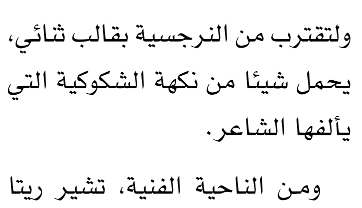
ونورد هنا بعض الأبيات، تعبر عن هذه النزعة نحو الطبيعة المتسقة بحضور المرأة، ضمن ترابط عضوي، كما في هذه الأبيات من قصيدة (ألحان الشتاء)، ونلمح فيها مظاهر الطبيعة متجلية في حركة دائرية من البعث والتجدد:

عَادتِ المزنُ إلى الأرضِ وبا
حَ بالأعاصيرِ وبالثلجِ الجَبل
في الثّرى جهدٌ وفي الجوِّ كفاحٌ
وعَلى الدُّنيا أماني وأمل
فالشّجَرُ نشوان وما نَفَضتْ
عَنهُ الصّبا إلا عسل

وهذه قصيدة أخرى يتحدث فيها عن تلك المرأة التي أحبّها:

جَمالُكِ هذا أم جَمالي فَإنَّني
أَرى فيكِ إنساناً جَميلَ الهَوى مِثلي
وَهذا الّذي أحيا بِهِ أَنتِ أم أنا
وَهذا الّذي أَهواهُ شَكلُكِ أم شَكلي
وَحينَ أَرى في الحُلمِ لِلحُبِّ
أَظِلُّكِ يَجري في ضَميريَ أم ظِلّي
تَرَبَّع كلُّ الحُبِّ في كُلِّ ما أَرى
أَم روحك الكُلِّيِّ هذا السنى الكُلّي

وفي شعره..نلحظ تساؤلات ذات عمق فلسفي، تعكس التماهي بين شخصيتين في حوار جميل، ترتفع فيه لغة الذات، لتطغى



ولتقترب من النرجسية بقالب ثنائي، يحمل شيئا من نكهة الشكوكية التي يألفها الشاعر.

ومن الناحية الفنية، تشير ريتا عوض في معرض دراستها حول الشاعر، إلى أن الشاعر عامة، يسير بقصائده بنفس رومانسي، محاولا التجديد في الشكل الفني، من خلال التنويع في القوافي، والاقتراب من الموشحات الأندلسية، ويضاف إلى ما سبق.. اعتماد الشاعر على الصور الشعرية، والارتفاع باللغة أحيانا إلى درجة شعرية عالية جدا.. كما في قصيدة الصلاة الحمراء.

مما لا شك فيه أن الشاعر قد اتكأ على العديد من الروافد الثقافية، وخاصة الدينية منها، مصحوبة بمؤثرات لبعض أعمال كبار الشعراء الغربيين، حيث هجر الشاعر أبو شبكة التقريرية والخطابة، وتحول إلى استخدام الصورة الموحية، ذات المعاني المتعددة، والأبعاد الرمزية، وأبدع في رسم لوحات معقدة تزخر بالألوان والحركة، والتي تتكئ على تفعيل الحواس عبر القراءة.

ثمة في النهاية مذاق آخر للعالم الشعري الذي أبدعه إلياس أبو شبكة، فهو شاعر مرهف الإحساس.. ومختلف في طرحه الشعري، عبر حالة لا بد أنها تحمل شيئا من التفرد والتميز، لعل أهمها عمق العنف التأملي لفلسفة الحياة وغموضها؛ بنبرة تشاؤمية- إلى حد ما - طبعت الحصيلة الشعرية لشاعر يعد بامتياز من العلامات الشعرية العربية التي اتسمت تجربتها بالهدوء، ولكن مع كثير من الجمال والشعرية الخالصة.

* شاعر وناقد.

موتي هو موتك
ما دمت أحيا، فأنت هنا دائماً، تتحرك في الأمكنة نفسها..
تتنفس الهواء ذاته، وتبتسم لغنائي!

المقعد الخالي

■ ابتسام التريسي*

يصطدمُ بقدمي فأرتعش، يهتز مراراً، أنحني فوق خشبه البارد، ألمسُ حشيتَه بأصابع أثلج حزنها فغدا البيت صقيعاً. تنهمر دموعي قاسية الوقع.

ما تزال حرارة جسده الملتحمة بنسيج الغطاء، تمدّني بالثقة أنّه هنا.. في مكان ما، أهمس مرتعشة: يا قلبي.

يأتيني صدى الصوت صمتاً، يتمدد في رأسي، يتضخم، يقرعه بعنف، فتجحظ عيناي في محاولة فاشلة لاستحضار ملامحه.

في الحلم.. يداعبني بيد حريرية الملمس، يسحبني وراء صمته حتّى الاختناق، يهمس على إيقاع اللهفة في ضلوعي، تلفح حرارة أنفاسه أذني، أعاود التصاقي به، علّ التحامَنا يعيد الروح إلى الجسد البارد.. لعلّ الشمس المتوارية وراء ضحكته تغمر جسدي بدفء حضوره الصامت أبداً، يسمّرني ألقٌ في الابتسامة، فأتشبث بأهداب النوم، وأغوص تحت اللحاف. كم مرّ من العمر وأنا أنتظر تلك الابتسامة الّتي تغسل وجودي من الجدب بغيث يهطل في القلب ويروي الروح؟ كم حلمت به يملأ جنبات البيت مرحاً، ويعطي حياتي معنى؟

سنتان مرّتا على رحيله، وما يزال يتنقل بخطو متعثر في أرجاء القلب، وما أزال أراه مربوطاً إلى كرسيه بالعجز والمرض.

الكرسي الفارغ يصرخ بي، يصفعني بحقيقة الغياب كلّما نظرت إليه في الزاوية. كم مرّة حاولت إقصاءه عن ناظري، فلم تطاوعني يدي، أين يجلس حين يعود؟ أشعر أنّه هنا، في فضاء الغرفة تتحرك روحه، أسمع أنينه حيناً، وحيناً يغتالني صمتُه، ونظرةُ عينيه المتألمة.

بشفتيّ أقيس حرارته المرتفعة، فجأة تتراخى يده المتشنجةُ حول عنقي، أضغطه إلى قلبي محاولة استعادة نبضه، لكنّه يفرّ من أصابعي تاركاً برودةً مخيفة. أغفو على وجع يسحق روحي، وأستيقظ فزعةً من كابوس يلاحقني، زرقةٌ مخيفة تغطي ملامحه، أركض إلى كرسيه وبيدي كأس الماء وحبة الدواء.

الكرسي الفارغ يتأرجح بألم ويصر بأنين مكتوم.. تشدني عيوني المتورمة إلى النوم، لأراه هناك، امتداد الأخضر في عينيه يقطر ألماً، وأسنانه تكز على شفتيه برعب. يطحنني السؤال: كيف أخفف عنه ذاك الألم؟

صحوت فزعة هذا الصباح على صوت ارتطامٍ عنيف، ركضت صارخة باسمه صرخةً شقّت ضلوعي، وهزّت باب الشرفة في يدي. كان هناك، مرمياً على البلاط الناعم يرتعش من البرد، وبحذر حاولت حمله، ترنح بعيداً عن أصابعي. عصفورٌ صغير، ريشه الرمادي المبتل، ونظراته الحائرة اقتلعت روحي. ثانية حاول الطيران فاصطدم بزجاج الشرفة وارتطم بالأرض، ارتعد قلبي معه من الألم، محاولته الأخيرة نجحت في إيجاد الطريق خارج الشرفة، حين رأيته يطير تحت المطر ويحطّ على شجرة جوز قريبة، هدأ قلبي، ورأيت ملاكي يبتسم، كان حضوره مختلفاً، مدّ يديه الصغيرتين، ولأوّل مرّة نطق ببطء حروفاً تشوقت لسماعها وهو حي: ماما

ثانية اصطدمت بكرسيه الخالي، تأرجح قليلاً، ابتسم لي، الهمس الدافئ غمر روحي: ماما.

أغمضت عينيّ على ملامحه الملائكية.

جالساً بهدوء في كرسيه، يتأرجح قليلاً، ثم يغفو.

إلى قيس، حيث سألقاه يوماً.

---

* قاصة من سوريا.

الحالمة

■ نادية العسري*

نزلت الدرج بخطوات ثقيلة، خلعت نعليها واتجهت نحو البحر، ووقفت على شاطئه، وقد خلا المكان إلا من صياد جالس على صخرة، وصنارته ملقاة في البحر، وبين الفينة والأخرى ينظر إلى السماء متمتما بالدعاء، وعلى مقربة منه رسام وضع لوحته على عمودين خشبيين يتحين لحظة الغروب ليبدعها عليها. وقفت وعيناها الناعستان شاخصتان في الأفق، ومياه البحر تداعب قدميها اللتين أتعبهما الوقوف طول النهار في المصنع، فقد نشأت في أسرة تعترف بحق المرأة في الخروج للعمل، بل إن والدها وإخوانها الثلاثة تخلوا لها عن كامل مسئوليتهم، لتصبح - هي - ولي أمر أسرتها.

لم تتمكن من إتمام تعليمها، واضطرت للعمل صغيرة كخادمة في المنازل، لتقضي طفولتها وبعض شبابها متنقلة من منزل لآخر، ومن معاناة لأخرى أشد منها، إلى أن استطاعت أخيرا أن تجد لنفسها - بالواسطة والرشوة - عملا في مصنع من مصانع السمك المنتشرة - هنا وهناك - في المدينة، يضمن لها أجرا شهريا يكفي مستلزمات بيتها ودواء والدتها المقعدة - نتيجة إصابتها بمرض في عمودها الفقري، سببته آلة الخياطة التي عكفت عليها طوال عمرها، ورافقتها من منزل والدها إلى منزل زوجها، وبرزقها اليسير ربت إخوتها ومن بعدهم أبناءها -، إلا أن الأجرة الشهرية كانت لا تكفي أحيانا، ما يضطرها للاستلاف، من أجل دفع غرامة مالية عن أحد إخوانها في تهمة سكر علني، أو اعتداء، أو حيازة مخدرات..!

كانت أمها تخبرها دائما - وهي تطعمها أو تعطيها الدواء - بأن والدها كثيراً ما لامها عندما أنجبتها. فقد كان ينتظر مولوده الأول الذكر. وها أنت.. لولاك لمتنا جوعا، وكما ترين.. إخوانك لا فائدة ترجى منهم.

لم تكن تدري.. هل كانت أمها تقول لها هذا الكلام احتفاء بها، أو مواساة لها، لكنها قد اعتادت على كلام أمها، كما اعتادت على حياتها، وكان الشيء الوحيد الذي يكسر روتين حياتها، هو عالم أحلامها الجميل المليء بالأمل.. بأن تتزوج رجلا يعوضها سنوات حرمانها، وتربي فيها أبناءها على ضرورة العمل، وترى بناتها يذهبن إلى المدرسة فالجامعة، أحلام رافقت غروب الشمس، لتعود معها.. وتعود حاملتها إلى عالمها الواقعي في بيتها وعملها.. كما غادر الصياد بعد أن ضمن رزق عياله، ولم يبق إلا صورة تلك الحالمة على لوحة الرسام، الذي ربما وجد في قوامها النحيل، وملابسها الرثة موضوعا للوحته..

---

* قاصة من المغرب

سبع قصص قصيرة جدا

■ شيمة الشمري*

عقوبة

فقد الأمل وتوشح السواد.. سار في طريق متعرج مليء بالأوبئة..

فقد عقله.. مضى زمن وهو يتابع البكاء وتتابه نوبات من الضحك والصراخ..

الأطفال يحومون حوله ويضحكون!

عودة

شعرت به بركانا ثائرا.. حاولت الهروب منه.. ابتعدت، وابتعدت أكثر..

جذبها حنين وشوق.. عادت لتجده يغني بحرقة وألم: (لسه فاكر..)!!

فرصة

لمع في حياتها كالبرق الخاطف.. أغمضت عينيها لحظة..وعندما فتحتها كان قد اختفى!!

تسرب..

تعاهدا على الإبحار معا.. غامرا.. هاجمتهما موجة شرسة..حضنها.. تسربت منه كقطرات الماء.. غرق حزنا..

هي.. تنظر وتعبث برمل الساحل.

صراخ

تعالى صراخ الطفلة وهي تلعب مع قريناتها.. والدتها ترقبها بسعادة..

طلبت منها إحدى صديقاتها أن تهدئ صغيرتها فقد بحَّ صوتها من كثرة الصراخ..

تبسمت الأم قائلة: دعيها تتعود على الصراخ، غدا تصبح زوجة!!

مرحلة

مرَّ بها عابرا، بينما كانت تؤثث قلبها ليسكنه مدى الحياة!!

عمق

خارت قواه أمام تلك العاصفة.. استسلم.. فتح ذراعيه لتأخذه حيث تريد..

أما هي فقررت الولوج إلى أعماقه..

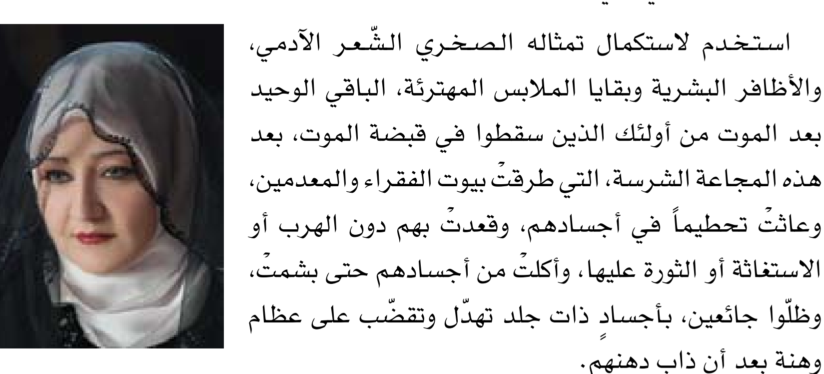
---

* كاتبة من السعودية

المجاعة

■ د. سناء شعلان*

«يحدث كلّ شيء في زمن المجاعة»





استخدم لاستكمال تمثاله الصخري الشّعر الآدمي، والأظافر البشرية وبقايا الملابس المهترئة، الباقي الوحيد بعد الموت من أولئك الذين سقطوا في قبضة الموت، بعد هذه المجاعة الشرسة، التي طرقتْ بيوت الفقراء والمعدمين، وعاثتْ تحطيماً في أجسادهم، وقعدتْ بهم دون الهرب أو الاستغاثة أو الثورة عليها، وأكلتْ من أجسادهم حتى بشمتْ، وظلّوا جائعين، بأجسادٍ ذات جلد تهدّل وتقضّب على عظام وهنة بعد أن ذاب دهنهم.

كان نحّاتاً موهوباً في زمن الضّنك والفقر، ولكنّه الآن ليس أكثر من حفّار قبور، أو حانوتي قاتم يحترف تشييع الموتى، ويُتقن إهالة التراب على الأجساد التي اقتاتها الجوع، ويستثمر الباقي القليل، مما لن يمانع الموتى بسلبهم إيّاه في إكمال تمثاله الصخري، الذي قدّه من الصخر منذ زمن، وأضنى ذهنه تفكيراً وتدبّراً في أيّ الأشكال سينحَتّ منه، فكرّ في أن ينحته على شكل جواد السلطان، لكنّه تراجع عن الفكرة، إذ إنّ السلطان يحبّ الخيل البريّة لا الصخرية، وفي مرة أخرى فكّر بأن ينحته على شكل حسناء ممشوقة القوام، لكنّ الحرمان الذي تحرّك في داخله أورثه غصّة خنقتْ أنامله، فمنعته من أن ينحته كما يحبّ، وآل قراره إلى أن ينحته على شكل طفل صغير يستجدي المارّة بدموع صخرية خلاّبة، وخمّن أنّه سيجني الكثير

من المال من هذا التمثال الحزين؛ إذ أنّ الأغنياء يسعدون باقتناء فنون الحزن، ويكمّلون بها رفيع أثاثهم ونـادر ممتلكاتهم، ولا عجب فـي ذلك؛ فالفقر بالمجّان، والفقراء هم من يبدعون الفنون، في حين أنّ الأغنياء هم من يستمتعون بها.

لكنّ المجاعة المفترسة جعلته يتراجع عن تمثاله الصبـي المستجدي، وشغلته بالموت وبالموتى، فقد داهـمتْ المجاعة المكان على غير غرّة، فقد كان من المتوقّع أن الأمور ستزداد سوءاً ما دام الوالي يضيّق الخناق على المواطنين، ويرهقهم بالضرائب المضنية، ويشاركهم حتى في سعاداتهم، في حين أنّ السلطان يمارس رياضاته المفضّلة.

أمّـا الشبـاب مـن الرعيـة، فقد كـانـوا نذوراً وقرابين لحروب يعزّ أن تُحصى لكثرتها، تشتعل فـي بـلاد غريبـة، ولأسبـاب لا تعني أمّهاتهم، ولا تستفزّ نخوتهم، وإن كـانـت أسبـابـاً كافية لكي يحتكر التجّار والمرابون السلع والأغذية، ويقصرونها على أصحـاب الـدراهـم الذهبية، ويبقى الهواء الموجود المجاني الوحيد ملاذاً للبطون الفارغة.

المجاعة كانتْ أقوى من أن تهزمها المدّخرات القليلة، والمؤن القديمة، والأعمال ذات الأجور المتدنية، والحدود الصحراوية التي تحنق البلاد أشرس من أن يقطعها الجياع فارين لائذين بالعدم مما هم فيه؛ لذا، فقد استكان الجميع أمام الجوع، وتراجعوا أمام الحِرَاب ذات الأنصال اللامعة إثر تتبعّهم لروائح موائد الأغنياء والمترفين، فأحكم الجوع قبضته المهترئة على الجياع، ومحققهم دون رحمة أو نظرة عطف.

المشهد الرهيب هو من احتلّ قريحة النحّات، وأملـى على طرقات إزميله الصغير أن ينحتَ تمثالاً كبيراً على شكل مشهد موت عجيب، إذ أنّ الموت عملاق أسود يلوك أجساداً غضّة، وتتنزّى من بين قبضيته أشـلاءٌ وأعضاءٌ شبه مهروسة، وتحت قدميه تجثو غربان سمينة تلتهم بشهوة مـا يسقط مـن بين يديـه، ولكـي يكون التمثال أكثر صدقاً واستحضاراً لهيئة الموت البغيضة، فقد استعان النحّات الملهم بشعر بعض الموتى، وأظافرهم وملابسهم، وثبّتها بين يدي التمثال الموت، فكان التمثال حقيقة مجسّدة للموت الذي يصهر المستضعفين دون رحمة.

المجاعة والموت الرهيب وأنّات المنكودين، لم تمنع المترفين من أن يستمتعوا بما تجود به قرائح الملهمين الجياع، وأيدي الفنّانين الفقراء، ديـوان الثقافة أقـام معرضاً تسجيلياً للمجاعة، شـارك فيه الفنانون الجائعون مـن كـلّ البـلاد، وفي قلبه انتصب تمثال المجاعة الموت الذي حصد الكثير من الجوائز والصور والمقابلات التلفزيونية والصحفية.

اقتربت تلك الإعـلاميّـة الثريّة المترفة من النـحّـات، وسـألتـه بفضول ضـاربـة صفحاً عن حذائه المهترئ الذي تتفلّت منه أصابع قميئة متسخة، وقـالتْ له: «أأنت من صنع هذا التمثال؟» ابتسم النّحات ابتسـامةً كسيرة سـاخرة، وقال لها بلا أدنى اهتمام: «بل أنتم!!!»

---

* كاتبة وقاصة من الأردن.

قلوب شائكة

■ لولوه العتيبي*

سؤال يراودني كثيرا. شغلني..لم أجد له جواباً.. أو تفسيرا لما يجري..

[هل للحب وطن في قلوب لا تنبت إلا الأشواك..؟!].

ربما يجيب بعضهم.. نعم، هناك وطن.. بل هناك إمبراطورية تحكم عقل وقلب من استولى عليه.. وآخر يجيب بأن لا وطن للحب في قلوب أولئك الناس..ربما، لأنهم لم يتذوقوا الحب أو يعرفوا معناه.. وربما، لأنهم لم يدفعوا شيئا ثمنا لذاك الحب، حتى يشعروا بقيمته وأهميته في حياتهم.. وآخرون يجدون لأنفسهم إجابة مقنعه تماما.. وهي أن الحب ليس له وجود في حياتهم.. ليتخذ من قلوبهم موطنا..!! وهم أصحاب القلوب التي لا تنبت إلا الأشواك، لتقتل كل من يحاول الاقتراب منها.. ليبدل تلك الأشواك ورودا..!!

أما أنا.. فلكي أجد جوابا لهذا السؤال.. سأذهب بعيدا..!! سأرحل مع الذكريات.. سأعيش معها حتى أرى إنْ كان للحب مكان في قلوب مَنْ حولي.. أم عَشْعَشَتْ فيها الأشواك.. عندها فقط.. أعرف الإجابة، وأشبع فضولي..!!

من أنا.؟؟

اسمي.. يحمل غموض كتاباتي.

عمري.. شتات سنيني.

هواياتي.. حزن قسري دائم.

جنسيتي.. متعددة في عالم مشاعري.

وطني.. كوكب إنساني رقيق يغطيه صمتي.

بيتي.. زوايا الخيال ووقائع عالمي

أكلي.. أوراق مجلدات..!!

شربي.. حبر أقلامي!!

مخدعي.. أسير الأرض وسجين الأفكار.

أحلامي.. أحلام يقظة تصطدم بالواقع عندما أستعيد وعيي.

«هذا أنا.. إن قبلت.. فعلى الرحب والسعه، وإلا.. فقد اختصرت الطريق الى النهاية».

---

* سكاكا -الجوف

قصة للأطفال.. واحة الغزلان

■ إبراهيم شيخ*

في واحة صغيرة وسط الصحراء، كانت تسكن مجموعة من الغزلان.. كانت في سعادة غامرة بسبب خلو الواحة من الحيوانات المفترسة، وبعدها عن الغابة وعن التجمعات السكانية، ما أكسبها جوا من الهدوء والسكينة، جعلها تتكاثر وتزداد أعدادها حتى ملأت الواحة. عرفت الواحة بواحة الغزلان، سكانها الغزلان والحيوانات الضعيفة كالأرانب والفئران والضفادع، والتي لا تضايق بوجودها الغزلان، أو تسبب لها أذى.

في الغابة البعيدة عن الواحة، خالف فيها أسد ونمر وذئب وثعلب، النظام السائد هناك فقام سكان الغابة - من الحيوانات - بطردهم، خرجوا يبحثون لهم عن مأوى وبعد عناء، شاهدوا عن بعد واحة تلوح لهم وسط الصحراء.. فرحوا بها فرحا عظيما، فتوجهوا نحوها، وزاد فرحهم بعدما علموا أنهم هم الوحيدون فيها من الحيوانات المفترسة، وأن الغزلان وبعض الحيوانات الضعيفة هم سكانها فقط.

لمح أحد الغزلان الأسد والنمر والذئب والثعلب وهم يدخلون إلى الواحة. فجرى - وهو خائف وجل - إلى زعيم الغزلان وباقي الغزلان الموجودين معه وقال:

لقد تحول أمن واحتنا إلى خوف وهلاك وموت محقق.

تلقته الغزلان تسأله بصوت واحد:



– وما سبب ذلك؟

– رأيت أسدا ونمرا وذئبا وثعلبا، دخلوا الواحة وهم الآن يسيرون فيها، كي يعرفوا من فيها.

دب الذعر في قلوب الغزلان، وأخذوا يتصايحون، فحذرهم الغزال الزعيم من ذلك وقال لهم:

– بدلا من الصياح.. تعالوا نفكر في حل يخرجنا من هذه المشكلة المحدق خطرها بنا، ولكي نخرج منها بأقل الخسائر.

لم يستطع الغزلان التفكير من الخوف، ومكثوا مجتمعين في مكانهم، وجاء أمر الزعيم بالانصراف إلى بيوتهم، وتوخي الحذر عند الخروج والسير في الواحة حتى يرى هو ومستشاروه حلا مناسبا.

بات الزعيم يفكر ويفكر حتى قبيل الفجر، ولاحت له فكرة.. فجرى إلى مستشاريه قائلا:

– لقد وجدت حلا لمشكلتنا وأظنه مناسبا، لكنه يحتاج صبرا وتحملا حتى تتحقق النتائج.

– وما الحل؟

– أملنا الوحيد – بعد الله – هو الثعلب.

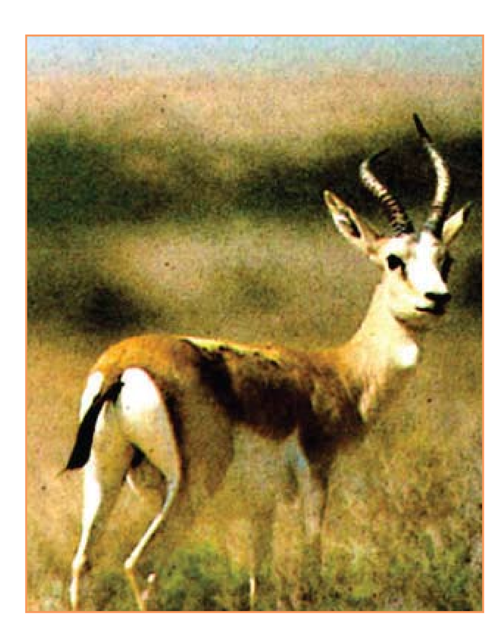
– الثعلب!!، كيف؟

– ستعرفون فيما بعد ما اقصده.

ظل الزعيم يتحين الفرصة للقاء الثعلب بمفرده، وتحقق له ذلك، والتقى به.. فبكى عنده وقال:

– يا سيد السباع.. نحن مجموعة الغزلان في مشكلة لا يستطيع مساعدتنا في حلها غيرك.

انتشى الثعلب غرورا وقال:



– أنا لها يا زعيم الغزلان، لكن قل لي ماذا استطيع عمله من أجلكم.

– تستطيع عمل الكثير، الست الألمعي المشهور بالذكاء؟

وازداد غرور الثعلب وقال:

– بلى، بلى يا زعيم الغزلان، لكن قل لي ماذا أفعل، وما هي مكافأتي إن نجحت في مهمتي.

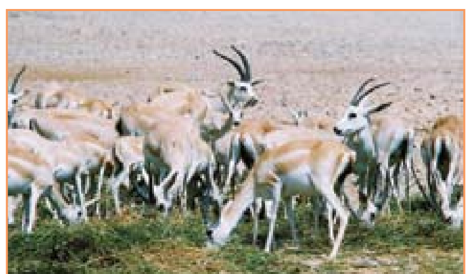
– ستكون مكافأتك في العيش معنا بمفردك ونتخذك حاكما لواحتنا، أمرك مطاع ورغباتك مستجابة.

– قل يا زعيم الغزلان.. فأنا مشتاق للعمل من الآن.

– تستطيع أن توقع بين الأسد والنمر والذئب، فيقتل بعضهم بعضاً، ونتخلص منهم جميعهم.

– عرفت، عرفت، أيها الزعيم..سوف أبدا من الآن.

اجتمع الأسد برفاقه أول وصولهم إلى الواحة،



عينوه ملكا عليها، طلب منهم أن لا يتصرفوا في شيء إلا بعد الرجوع إليه.

خرج النمر يتمشى..رأى ظبيا صغيرا أعجبه، فافترسه في الحال.

أصاب الهلع مجموعة الغزلان، ظن الزعيم أن الثعلب خدعهم..

لكن الثعلب استغل الحادثة، وجاء إلى الذئب قائلا له:

- المفروض أن الغزال الصغير لك.. فهو أطيب لحما.

- ماذا أفعل بالنمر المتطفل؟

- أوقفه عند حده.. وإلا تجرأ وقتل باقي الصغار.. ولن تذق لها طعما.

استشاط الذئب غضبا، وانطلق من فوره يبحث عن النمر، أدركه يحاول صيد أرنبٍ بريٍ، ناداه الذئب، فهرب الأرنب.. غضب النمر، ودخل في معركة مع الذئب، راح ضحيتها الذئب.

انطلق الثعلب إلى الأسد يبكي ويمرغ وجهه في التراب، فزع الأسد وأقبل عليه يزأر ويهدد:

رويدا أيها الثعلب المسكين.. حدثني بما وقع.

الثعلب متظاهر بالحزن العميق والغضب لساحة الأسد:

- لقد انتهك حماك أيها الملك!!!

- غضب الأسد وزأر بشدة ثم قال:

- ومن يقدر على انتهاك حماي؟!.

- النمر.. هو من انتهك حماك أيها الملك.

- وأنى له ذلك؟

بدا الثعلب وكأنه حزين لما حدث:

- قتل واحدا من رعيتك من دون ذنب جناه.

- ومن؟! هيا قل.. فلم يعد لدي صبر.

- قتل الذئب المسكين يا سيدي، لأنه هو الحاكم للواحة كما يقول.

استشاط الأسد غيظا، وتوعد بإنزال أقصى العقوبة بالنمر.

أسرع الثعلب إلى النمر وقال له:

- احذر من الأسد يا سيدي النمر..فهو غاضب منك ويهدد بقتلك إن رآك.

غضب النمر وأبدى استعداده للدفاع عن نفسه، وإظهار قوته للجميع.

التقى الأسد والنمر في لقاء مرتقب، ووقعت معركة حامية الوطيس امتدت حتى الليل، وانتهت في اليوم الثاني بموت الاثنين معا، وقد خلا المكان للثعلب، فجاء يريد العرش الموعود به..

فتجمعت عليه الغزلان، ونطحته بقرونها حتى ألحقته بأصحابه، وعاد الأمن للواحة من جديد.

---

* قاص من السعودية

البرتقالة

■ د. يوسف العارف*

كأن احتباس المآقي..
- إذا الفجر سال -
عصيرٌ من البرتقال..
مزنةٌ هطلت من خيال..
أو الزعفرانُ تشرنق في قهوة..
عتقتها يدٌ من حلال!!
كأني أعيش لظى يومها البكر..
أستمطرُ الشعرَ حاذق القافيات..
ونرجسةً لا تطال!!
هي البرتقالة..
أوعزتْ للحروف أن تكتبني..
أن تهيل من الذكريات الطوال..
ألقاً سرمديا..
وحزمةَ ضوءٍ..
وزنبقةً من سؤال!!
هي البرتقالة:
إذ يبتدرون الحديث..
تكون المثال،
وإذ يحتكمون إلى امرأة..
تكون الجمال،

وإذ يحتفون بأيامنا المشرقيةِ..
يذكرون..
خيلا مطهمةً..
وسرجاً فراتيا..
«وغسقة عِطره تِحلى»
إذا الليل سال إلى آخره..
واكتوينا بمرٍّ المآل!!
هي البرتقالة..
رمز لهذا الزمان..
وهذا الذي فاض من عروبتنا..
وأوغل في إرثنا والمكان..
وأوشك أن يعترينا سراب الفحولة..
لكنها فتنة من وبال!!
هي البرتقالة..
إذ ينتمي للجواب سؤال..
ويزهر من لغتي..
وحروف التعجب..
ألف سؤال..
وينبت في شفتي..
ألف سؤال..

---

* شاعر من السعودية

بين غبار الثلج ونعومته!

■ ملاك الخالدي*

وهل للثلج غبار؟! سؤالٌ يسابق بقية الحروف، ويلج أسماعنا مبكراً قبل أي هطول، (غبار الثلج) ربما كان بدعاً من القول ابتكره الشاعر الأمريكي (روبرت فروست)، منطلقاً من فكرته السلبية تجاه الطبيعة، إذ يرى أن الإنسان والطبيعة في صراعٍ دائم لأجل البقاء.

وإليكم ترجمتي لقصيدتين قصيرتين جداً، أعرض فيهما فكرتين متناقضتين:

(غبار الثلج)

روبرت فروست

طريقُ الغرابِ

يُساقط فوقي

غبار الثلوج

من تلكم الشجرة السامة.

لقد منحَ فؤادي

تغيراً في المزاج،

و اختصرَ شيئاً من اليوم؛

فأصبحتُ آسفاً!

(الثَلج الناعم)

وليام بليك

مشيتُ في الخارجِ في يومٍ مُثّلج

سألتُ الثلج الناعم أن يلعبَ معي

لقد لعِبتْ وذابتْ في ريعان شبابها

الشتاءُ أسمى ذلك جريمةً بشعة!

* * *

في حين يخلعُ فروست رداء التشاؤم على عناصر الطبيعة، كالطريق والثلج والشجرة، فيرى مثلاً في الثلج مصدراً لغبار الشجرة السامة، نرى بليك.. وقد جعل من الجمال الأنثوي ثلجاً يذوب ضحيةً لتصرفات بعضهم الخاطئة.

يسيرُ نهرا القصيدتين متوازيين حتى يلتقيان في نهايةٍ حزينة.

---

* سكاكا - الجوف.

أعطني.. نايا أغني

■ ميسون أبو بكر*

غني مواويل البلاد..
للبحر غنّي..
للمنافي
للأحبة في المنافي..
للشواطئ.. للحياة
غنّي مواويل الغياب..
حتى يشيخ اللوزُ
من دمع الحنين..
ويفوحُ ليمونُ الحقولِ
فتحبلُ الغيماتُ عطرا وانتشاء..
غنّي مواويل البلاد..
لـلأهـلِ.. لـلـزيـتـون.. للماضين في رحم التراب
غنّي لدالية ٍ تروِّيها حروفُكَ
والظلالُ بفيئها
دُنيا من الأحبابِ ضمهمُ الهوى
والذكرياتُ.. مواجعٌ
إذْ غادروا وتفرقوا
غنّي.. لعلَّ الصوت يُرجع من غيابْ..
غنّي..
أحبك أن تغني
فاعطني نايا ..أغني
واعطني قلبا أخبئُ فيه همّي
والحكايا..
اعطني روحي ترفرف في قباب القدس
والأقصى
فأخلُصُ من حنيني
إنَّ قيدي من حنين ٍ واشتياق..
غنّي مواويل الحنين
يا ميجنا يا ميجنا ويا ميجنا
كانوا هِنا
كنّا هِنا.. ما ودعونا احبابنا..
غنّي.. لعلَّ البحرَ يُرجعُ من سباهُ الموجْ
لـعـلَّ الـشـمـسَ تـعـتـقُ فـي حـقـولِ الضوءِ زهرتَها
لعلَّ الحورَ تكسرُ قيدَ موج البحر
ثمَّ تخرج كالحقيقةِ
غني..
«ثقوا بالماء يا سكان أغنيتي»
غنّي لأبكي..
كي لا أفيضَ بما امتلأت
ثم أشرق بالحروف وبالحنين..
غني لكل الكائنات
للتين والزيتونْ..
واللوز والليمونْ
للّيلك البريّ..
غني.. فمثلك للحياة
مثلي..
مسافرُ في منافي العمر

---

* شاعرة وإعلامية عربية.

ثنائية البحر والقفر؟!

■ سعد بن سعيد الرفاعي*



و للبحر ما للقفار..
له أنجمٌ
في ضحى الليل تزهو
له فكرةٌ
أوغلت في الغموض..
له لمعةٌ
تنتشي بالنهوض!
له مركبٌ
عبقري القرار!!

* * *

و للقفر ما للبحار..
لها البدء..
قد برعمته الشجون
تنامت به..
رحلة للـ(يكون)
لها النشأة البكر..
ما مازجت
عينها قطرةٌ من بحار!!

* * *

و للقفر ما للبحار
لها العمق..
يسرد شتى الحكايا
لها الريح..
تزرع.. تنزع..
تصخب بالاشتجار
لها الرمل يحكي..
لعرافه
لها النجم يهفو
إلى ومضةٍ من نهار

* * *

و للبحر ما للقفار..
به الدر..
إذ يعتليه المحار
له الموج..
يضرب في دوحة الماء..
يعلن أعراسه
لانتشاء الزبد
له الرق..
في جوفه الرزق..
من حوله العشق..
حدث عن قصةٍ
ختمها للبدايات
من دهشة لم يلد!!

* * *

و للبحر مثل القفار..
له.. بل لها..
أو لكم.. أو لنا..
أو لهم
صهوة شارفت عنوةً للنهار!!
وجودٌ يتوق..
وأبجدةٌ تشتهي جدةً من حوار!!

* شاعر من السعودية.

تَارِيخُ الطمأنينة..!

■ علي العسيري*

ربّاه
قُـدَّ عُـمـريَ مـنْ ضَـجَـرٍ فَـدلـسَ التيهُ
يُرفرفُني
خبَالاً، لا يهفهُّ بشرٌ
عدَا امرأةٍ سَاقهَا الزمنُ فيْ صبيحة
تناءَ دونهَا ورَعُ الغَيبِ وَ قحطِ الريَاضِ،
علَى يدِهَا
باءَ الأَرقُ منْ أسفَارهِ الطِوال
فَوقفتُ مُشمِّراً سَاعديَّ فيْ الخَلاءِ،
أُبددُّ الغفلَة المُستطَابةِ منْ وجعٍ
وَ تذبُّ عنْ جبيني راجِمات البيَاض،
أنفرد بهَا الصُبحُ نعماناً،
ينفحُ عنْ مقلتيَّ يباس
تعمدّ في صدري عقيدة
نفحةُ عطرٍ تهاوتْ من فيَاض
فتمددَّ الليلُ طوفاناً
شَاهِراً بروقهُ في العاريات من حقولي
قصيدة ترسمها النار الزوابع
أمطارٍ أغرتها جدران السهولِ
لعينيها، مهرَتُ عُمريَ علَى أنواءِ النُجومِ
وَ سكبتُ منْ نفحها طمأنينَةَ النيَام
فبتُّ مجذوعاً مُغرورَقاً إلى حيثُ لمْ يُخلَق الإياب
إلى سمَاءِ سامقة تُجيبُ على التفكيرِ
تَطميَ الوَاقع خُلباً بينَ أكفَانِ الغُيومِ
لأبتلُّ شعراً منْ اغتسالِ عينيهَا
وَ مَـا اغـتِـسـالـي فـيْ عـيِـنـهَـا إلاّ تحيّةً للسحَاب..!
يا امرأة..
إنِّي أحبكِّ هلاكاً أستترهُ
بـرداً دفيناً، يختبئُ بينَ دياجير الحربِ وَالسلام
حبكِّ، اندماجُ غيبيّ
انشطارٌ صوفي
طغيٌ عربي
أحبكِّ، فالمثلُ منيْ وارى الحُطامِ
و تسربّلَ في مرازب الجهنميّة
يا امرأة،
حبكِّ ذاكرةٌ للمعرفةِ،
قلبكِ تاريخ للطمأنينة..!

* شاعر من السعودية.

(سيدةٌ تلعق وحدتها)

■ د. دعاء صابر*

الوجدُ والسهرُ المُلوّن والزنابقُ

كلها تهفو لقاءك

والورودُ العاشقات حملن لي عبق الهيام

العشب ينبت بين كفيك الندى

وهواك طفلٌ عمره يومانِ

ينعس كالملاك

على وسادة لهفتي

وصبابتي الخضراء تزرع وجنتيك مواسماً

للشدو

أدخلُ في بساتين انبهاركَ

أقطف الأقمارَ

ألتقط النجومَ

أرى الشتاء يهز ثوبكَ

ينشر العطر الذي ما زارني

أحببت عينيكَ/السماءَ/ الوردةَ الزرقاءَ

ميناء النوارس/ أين منى دفء كفيك

الحنين يسيل من شفتيك فوق جداول

الأحلامِ

يغرقني

أحبك

ضحكة بيضاء تملأ نبض أيامي طيوبا

دثريني بابتهاج سحابة هطلت

فأورقت الحمام على شفاهي

داعبيني حينما أبتل من ماء انتظارك

عمديني بالأهازيج الملونة/ الهوى يحتل

قلبي

منذ كم

لم ينبت النعناع في شفتي ولم

يتذكر الملاح أنك كنت مرفأه الأخير.

---

* شاعرة من مصر.

قصيدتان

■ عبدالرحيم الماسخ*

اختلاف

نعودُ بلا أغنياتٍ تطيرُ
إلى عرش أفراحِنا وتغنّي
لتسحبَ أقدامُنا شجرَ الحُزن
فوق شظايا الحرير
لنا قمرٌ يستحمُّ بأوتارِه الليلُ
والريحُ نافذةٌ
لا يُبخِّرُ أنفاسَها الظلُّ قبل العُبور
رحلْنا وراءَ الشذى المُتدثر بالعُشب
والضوءُ يغشى الندَى
نتدفق في نهر المبتدا
يتخلَّلُنا شفَقُ الحُبِّ مُحتفلا
إذ يهيمُ ..نُديمُ تطلُّعَنا
ربّما يغرسُ القُربَ فينا النسيم
ولا نمسكُ الفرحة الأزلية من عُنقِ الوقت
نسقطُ في مطرِ الصمت
فوق رمادِ النجوم
بلا أغنياتٍ تطيرُ إلى عرش أفراحِنا
نتركُ السُّفنَ
الرحلةُ اختلفتْ
فالصحارى كتابُ الهموم !!

تحَوُّر

كان مِثلي حزينًا ومنكسرا
وأتانيَ يوما بشكواه
أدْمَى فؤاديَ مَبْكاه حتى بللتُ الثرى
قال: أطفاليَ الخائفون ينامون
تحت السماء بلا سُقفً
ويقومون، بالجُوع أقمارُهم تختفي
وينادونني: يا أبي جائعون
ينادونني: يا أبي خائفون
ينادونني ....
ثم يبكون
يبكون
يبكون
والصبرُ يُمطرني حجَرا حجرا
وهو الآن بعد الذي كانَ
مالتْ له كفّةُ الريح
فارتشفَ الكوثرا
وأتاني يُرَصِّعُ جبهَته بالسماء
وينثرُ في واحة الكِبر والخيلاءِ
الهوى دفترا دفترا
ويقولُ: العُلا عن يدي لا يميل
أنا المستحيل
فكن لي مُريدا
أكنْ لكَ رزقا جرَى
ويقولُ: احتواكَ الأسى والذهول
وأطفأ عينيك همٌّ يطول
وبين يديك الهواءُ العليل
أمامك عمرُ الندى لا يزول
فلا تلزمِ الحقَّ
فالحقُّ في زبَدِ السيل نار
ولا تمسك الصبرَ
فالصبرُ بعد العطاء انتثار
ولا تحضنِ الحُلم
فالحلمُ والصحوُ ضِدَّان حتى الفرار
يقول ....
وقلبي تجُول به صورٌ تتمزقُ
يطحنها حجَرٌ سهمهُ البرق
في طُرقاتِ القَبول !!

---

* شاعر من مصر.

** نشرت خطأً في الجوبة ٢٣ باسم الشاعر عبدالرحيم الخصار وبهذا فإن الجوبة تعتذر للشاعرين الكريمين عن ذلك.

حينما يبكى النسيم

■ حمدي هاشم حسانين*

يمر أمامي الغيمُ المرتقُ
بالأمانيِّ الحِسانِ ..
أنا هناكَ
وانْ أردت أنا هنا
متوحدا بالبحرِ ..
بالموج الرقيق
ولاهثا خلف النجوم بأفقها
أدنو من الذكرى
فيجرعني الحنينُ
إذا اتكأت على البنفسجِ
باحَ صمت العطر لي
وتمَّدد الريحانُ قبلني
أنا....
كفراشة الميلاد أرنو للسحاب
وأرشف التبغ المعتق
أحتسى قدح الغياب
فتصطفيني الريح
تحملني إلى جزر القرنفل

ها أنا اجتر رائحة البحار
أشق ناصية الغبار
وحين يدهمني المساء
ألملم الحزن الضبابي الملامح
ثم أتلو ما تبقى
من مزامير احتضاري
أو أحلق في سماوات الصبابة
كي أفر من الحصار
حين أنظر في مرايا الروح
أبكى
مثل سوسنة
نعتها الريح من صيفين
ظلي
فرَّ منى الآنَ
مَلَّ الظلُ
مات الفلُ في صوتي
وموتى يبسط الكفين
مبتسما.

---

* شاعر من مصر.

"تراتيل العدم": لـ: مها حسن

■ هيثم حسين*

يبدو اهتمام الروائيّة السوريّة مها حسن بالتجديد في الصيغ التي تقدّم بها رواياتها، يتبدّى تمرّدها على القوالب الجاهزة التي باتت مقيّدة في الرواية، كأنّها تبحث عن لغز تسعى إلى حلّ شفراته مع القرّاء الذين لا تبقيهم متلقّين فقط، بل تُشركهم في عمليّة البحث عن الدلالات والأبعاد المتضمّنة، لا ترتكن إلى تلك الطرق التي تُكتَب بها الروايات عادة، سواء من ناحية تقسيمها على فصول متسلسلة، أو سردها على لسان رواة بعينهم، أو من ناحية الالتزام بالعناصر المتعارَف عليها في كتابة الرواية؛ إذ تخرج عن ذاك التسلسل المختصَر في: المقدَّمة، والحبكة، والحلّ. فقد تبدأ بحبكة، ثمّ تبدأ بالبحث عن خيوطها، وتنتهي إلى مقدّمة متأخّرة، أو لا يهمّها أن تثبت مقدّمة أو انفراجاً للحوادث والمجريات التي لا تصل إلى ذروة التأزيم عندها. هذا لا يعني غياب التشويق، ذلك أنّ التشويق والإثارة والغرائبيّة تكون مبثوثة على مدار صفحات الرواية.. تحضر ثورتها الزمنيّة الاجتهاديّة في رواياتها، التي لا يكون الزمن فيها محدّداً ولا واضحاً، لا يقبض على الزمن فيها، إنّما تكون هناك خيوط تكفل للمتابع بعض المتابعة والتقصّي، ثمّ تحرّضه على البحث عن مفاتيح للدخول إلى بوّابة الزمن الذي لا يكون نسبيّاً عندها، بل يكون دائريّاً التفافيّاً، أو لولبيّاً، يقود الحدث الأخير فيه إلى الأوّل ويحيل عليه، لتتكامل الأحداث متمّمة نسيج الرواية، التي تسير وفق خطوط متعدّدة منذ البداية التي قد تكون نهاية الرواية الفعليّة، والبداية المفترضة

لها.. هذا ما تطوّره في روايتها «تراتيل العدم» الصادرة حديثاً عن دار الكوكب/ الريّس، والتي تقع في ٢٩٨ صفحة من القطع الوسط، ط١/ نيسان ٢٠٠٩م.

تبتدئ الكاتبة في روايتها بمقولة لسوفوكليس: «مَن حلّ اللغز الذائع الصيت وكان أشدّ الرجال اقتداراً»، هي عبارة عن بيت من تراجيديا «أوديب ملكاً»، إذ كانت منقوشة على ميداليّة، أهديت الميداليّة إلى فرويد من أحد تلامذته في أحد أعياد ميلاده. لا يقتصر الأمر على استشهاد وحيد، بل يتصاعد الأمر، لتكون ظلال فرويد حاضرة، مع كثيرين من المفكّرين والفلاسفة الآخرين، وذلك من خلال الاستشهادات الكثيرة التي تستشهد بها الكاتبة، وتثبتها كمراجع أو تذييلات، وهذا بدوره قد يثقل كاهل الرواية، من حيث تقريبها من الدراسة، بتثبيت الهوامش التي بلغت أكثر من ثلاثين هامشاً وإشارة. كما أنّه في الوقت نفسه، خروج وتمرّد على الطريقة الكلاسيكيّة في كتابة الرواية، بإجراء دمج بين الأجناس الأدبيّة والتنظيرات والاجتهادات الفكريّة والفلسفيّة..

قد تحيل مفردة «تراتيل» إلى جوانب دينيّة، لاسيّما أنّ الترتيل معروف في النصوص والأناشيد الدينيّة، كما قد تحيل عند إضافتها إلى العدم، أنّها تنشد العدم، أو تجعل منه أغانٍ يمكن إنشادها وترتيلها، أو أنّها مراثي الموت، حيث يكون الترتيل على الموتى نوعاً من التقدير لذكراهم، مع إضفاء الأجواء الكنسيّة، أو العويل الصاخب.. وقد يكون ذلك نوعاً من التحايل على المعنى بقلبه، حين ينقلب العدم إلى الضدّ عندما يغدو مضافاً إليه، لغة، يعرّفه معنىً، فيكون العدم فاعلاً عكس فعله المعروف عنه؛ أي يصبح وجوداً باللغة والرواية، وإن كان إلغاء لهذا الوجود مفرداً.



وتكون التراتيل المعاد ترتيلها على مدار صفحات الرواية، كاملة حيناً.. ومُجتزأة أحياناً أخرى، منها هذا الترتيل الرئيس المتكرّر: «حذّرتك ألاّ ترتّل هذا النشيد، فيسكن في ذاكرتك، يأسرك ويلعنك، يفتنك فيستحوذ عليك، ولا يكون لك منه فرار، فيعدمك، وحيداً تموت وتشمّ رائحة رحيلك الأرض، ولن ينقذك من عذابك إلاّ عيد يأتي في ربيع يتلو رمادك». ص١٠. كما يكون الحضّ على الترتيل، يكون التحذير أيضاً مرافقاً له، ثمّ يتكرّر هذا الترتيل كثيراً، إمّا كاملاً أو مجتزأ، فقد ترِد منه جملة أو بضع جمل، وقد يرد كاملاً، ويغدو لازمة ترتّلها

الشخصيّات التي يتباين تنغيمها، ويختلف إيقاع إنشادها وغنائها. من الصفحات التي يرد فيها الترتيل منقوصاً: «٢٤، ٦٠، ٧٨، ١٣٤، ١٥٢، ٢٧٥..».

منذ البداية، يظهر حرص الكاتبة على إكمال ما بدأته في روايتيها السابقتين «سيرة الآخر، اللامنتهي»، «لوحة الغلاف، جدران الخيبة أعلى»، كأنّما تستكمل ثلاثيّة فكريّة، من خلال إكمال مشروعها الروائيّ، خاصّة في المقدَّمة التي تتشابه فيما بينها، من جهة مشاركة الشخصيّات الروائيّة للكاتبة في إنجاز روايتها، وحيرتها المثبتة في تذييل الرواية باسمها، تكتب في مقدَّمة «تراتيل العدم»: «في البدء كانت هذه الرواية لـ جدار، ثمّ انتقلت كتابتها إلى جوزفين، ولأسباب محض فنّيّة، أنجزت العمل باسمي أنا....». كأنّما الشخصيّات هي تسميات مؤنّثة أو مطوّرة لشخصيّاتها السابقة: «أدهم بن ورقة – يرقة، أو كريم الحاوي، أمين دالي»، وذلك مع إبقاء قارئها متأرجحاً بين الشكّ واليقين، بين بحث عن راوياتها في الفصول، وفي الواقع، وفي كلّ المَظانّ المحتملة، وانشغال بالقراءة عنهنّ، فهي تُبقي الشكّ فاعلاً ومؤثّراً، عندما لا تنفي إمكانيّة العثور على الشخصيّات، كما لا تنفي خياليّتها، لتكون بالنتيجة، شخصيّات روائيّة، مركّبة من مزيج واقعيّ وآخر متخيَّل، تشارك في صنع الأحداث وكتابتها. «تتحوّل أزمنة القصّ، وتتعدّد مستوياته، وتتبختر روايات العمل، وتختلط ضمائر الرواة بين حِرز، وإغماء، وسماء، ولا يستقرّ فعل القصّ على الثلاثة فقط، بل يتدخّل كلّ مَن له باع في الرواية...». ص٤٣.

تبقى الكاتبة وفيّة لفكرة تعدّد الرواة في العمل، عندما تسلّم مقاليد السرد من جوزفين إلى جدار أو إلى نفسها، لكنّ الأسلوب يبقى نفسه بين الراويات الثلاث، حيث لا تنوّع في الأسلوب، ما يرسِّخ الظنّ بأنّهنّ وجوه متعدّدة في مرآتها الذاتيّة ذات الأبعاد الكثيرة، والتي تعكس غنى الشخصيّة، القادرة على الإفصاح عن مكنونات النفس، وهي تعاود أكثر من مرّة ذكر الراويات الثلاث، سواء عند مبادلة السرد بينهنّ، أو عند الحديث عنهنّ، ولا تخفي ظنّها بأنّ الاشتراك قد يكون مضرّاً، لكنّها تبرّر ذلك بالضرورة الفنّيّة والفكريّة، «وأنا أرى أنّه كما سار المثل «إذا تعدّدت الأيادي في الطبخة، احترقت!»، وأرى أيضاً أنّ الضرورة الفنّيّة والفكريّة تلزمني باعتماد مستويات القصّ الثلاثة ومراحله الثلاث، والاعتراف بكلّ ما جاء في المرحلتين السابقتين لقصّي». ص٨١- ٨٢.

كما أنّها توجّه نقداً استباقيّاً إلى نفسها، على ألسنة الرواة، وهو أنّها تُنتقد على ولعها واهتمامها بتقديم الجانب الفكريّ في رواياتها على الفنّيّ، وهي بذلك تبرّر تصرّفها، وتردّ على نقّادها، ساحبة بساط الملاحظة منهم، متّخذة دور الكاتب والناقد معاً، لكنّها وهي تؤكّد ذلك، تعتمده ولا تبتعد عنه، يؤكّد ذلك دأبها على الاستشهاد بالمفكّرين والفلاسفة الذين تأثّرت بهم في كتابتها وتأويلها، حيث تكون الميثولوجيّات والتأويلات الفلسفيّة حاضرة، للتعليق على بعض السلوكيّات والتصرّفات، أو ربطها بأسطورة ما، أو وضعها في سياقها التاريخيّ، مع شرح لبعض تداعياتها، وذلك كلّه في سياق الرواية، تلميحاً وتصريحاً..

الأسماء ودلالاتها

يكون هناك تركيز، يكاد يكون مبالغاً، على استحضار الأسماء، يبلغ عددها حوالي مائة اسم، تثبت دليلاً بها في نهاية الرواية، كملحق أوّل وثانٍ، تكون كلّها متحدّرة من الأم «أرض» ابنة أرضى ويرضى، والأب: «حِرث»، كأنّما يختصران حوّاء وآدم، ينجبان التوائم، اثني عشر توأماً، في حين يأتي المولود الثالث عشر ذكراً مفرداً «طُهر»، وكأنّه بتسميته بهذه التسمية قد يشكّل سبيل الخلاص للعائلة التي تحيا في قلعة واحدة، ولأجيال متعاقبة، حيث ينفرد بمسكن مستقلّ، ويفكّر بطريقة عقلانيّة، يكون العلمانيّ الوحيد الذي لا ينساق إلى استيهامات العائلة والآخرين حول قدرات أمّه الخارقة «أرض»، التي تغدو محجّاً للزوّار يتبرّكون بها.

ترد الأسماء بشكل مدروس، حيث يكون الاسم دالاً على صاحبه، معنىً ومبنىً، فنجدها تبرّر سبب تسمية هذا أو ذاك، أو تعلّق عليها، فيكون الاسم صفة صاحبه، يكون وبَالاً على صاحبه إذا لم يكن مستحقّاً للاسم، أو مقدّراً ومُدركاً لأهمّيّة وثقل ما حُمّله: «حين وُلِد حِرز، ظلّ لعدّة أسابيع دون اسم، إذ لم تكن أمه تستطيع إدراك أهمّيّة الاسم في حياة الإنسان، ولم يكن أبوه مهتمّاً بتسميته، لأنّه بإدراكه لأهمّيّة الاسم، لم يشأ الإسهام في تحديد هذا الكائن الذي لم يعرف مصدره، فهو إن أطلق عليه اسماً سيّئاً، حبس الولد فيه، وقد يكون ابنه. أمّا لو أطلق عليه اسماً مهماً، فقد يسبغ عليه صفات لا يستحقّها مَن هو ليس بابنه..».. «فهمست في أذنه: أسمّيك حرز، لأحميك باسمك، من الوقع في أسر ما أسِرّ لي، إلى أنّه سيقع عليك، سوف تنسى ما قلته لك، وتتذكّر فقط أنّ اسمك هو حِرز..». ص٣١.

كما قد يكون الاسم حامياً لا لصاحبه فقط، بل متعدّياً ومتعدّد الحماية، فنجد أنّ نجمة تتحصّن بحرز، يحميها اسمه.

قد تكون الألقاب مستحضرة بالموازاة مع الأسماء: «وظهرت أفعوانة (وهذا لقبها الذي كانت تناديه بها أرض، قبل أن تعرف اسمها)، فينقلب المعنى الذي تحمله حسب الشخصيّة التي تتّسم بها المسمّاة، وهي هنا، لا تظهر دوماً على أنّها شكل واحد أو أداء واحد، بل هي خليط من أفعال مندمجة، وشخصيّات مندمجة ورغبات وتكوينات». ص٥٢. وهي مع إيرادها لهذا الكمّ الكبير من الأسماء، تعترف بصعوبة الإحاطة بها كلّها، وتؤكّد أنّ الأبوين كانا يفشلان دوماً في تذكّر أسماء أبنائهم حسب تسلسل ولاداتهم، وكانا يخطئان في مناداتهم بأسمائهم في كثير من الأحيان، ولم يكن الفشل حال الأبوين فحسب، بل كان من نصيب الإخوة كذلك، حيث كانوا يحتاجون إلى دليل بالأسماء مع الصور، كي يتمكّنوا من مناداة الشخص المطلوب باسمه الصحيح. وتنتقل عدوى الفشل إلى القرّاء الذين يعاودون الرجوع إلى دليل الأسماء كي يربطوا بينها، ويستخرجوا العلاقات التي تتطوّر على إثرها.. فقد يتغيّر الاسم تبعاً للحالة، وقد يحوّل أحدهم اسمه أو يتلاعب به، «حوّلت اسمها من سيما إلى سيمياء..». ص٢٠٥. تنتقل الدلالة إلى الترميز والتلغيز، فلا تعود الأسماء دالّة بل مرمزة ومتشظّية في آن.. تصبح هناك أسماء سرّيّة وأخرى معلنة..

لا يخفى الضجيج الذي تخلقه كثرة الأسماء للقارئ، ولا تبدو الكاتبة لا مبالية إزاء القارئ،

بل تأخذ نفسيّته بعين الاعتبار، تعلن أنّها بصدد إراحته، وتخفيف العبء عنه، تتكلّم إليه مباشرة، مزيحة الستار بينها وبينه، غير متخفّية خلف راوياتها، تلخّص له بإيجاز مُجملَ ما مرّ وما سيمرّ معه، كي يكون على اطّلاع في إبحاره في عوالمها الروائيّة: «يستطيع القارئ الآن، الاسترخاء، من ضجيج الأسماء والأحداث، قبل أن يدخل إلى الفصل الثالث، لأنّه بعد أن كان الفصل الأوّل، هو التعريف بالأسماء/ أو الأشخاص، وجاء الفصل الثاني للتعريف بالأحداث، سنبدأ في الفصل الثالث بالرواية، وكلّ ما سبق كان تمهيداً للرواية، التي تبدأ الآن، شدّوا الأحزمة سنقلع في الصفحة التالية». ص٢١٠.

كما يكون هناك استحضار التأويل والحلم، الفكر والوهم، الدين والعلم، وكلّها في سياقات روائيّة، وعلى ألسنة الرواة والشخصيّات، كأنّما تقدّم الكاتبة شيئاً من كلّ شيء، في محاكاة روائيّة لرائعة ماركيز «مِائة عام من العزلة»، حيث الأجواء الغرائبيّة السحريّة والساحرة، وحيث التناسل والانِشار لسلطات خارجة عن المألوف، ما يؤدّي إلى فناء واندثار الشخصيّات، فلا تعود القلعة التي تجمع الجميع وحيدة وشامخة، بل تتشّى وتتثلّث، تخرج عن المسار المحدّد لها، يكون ذلك إنذاراً بالكارثة الوشيكة الوقوع، كما يكون تمهيداً للعدم كنتيجة حتميّة. يكون كلّ ما سبق من الألغاز مقدّمات للفناء.. يكون قائد الأوركسترا الذي تجري أحداث الرواية على خلفيّة مشهد احتراقه، ضحيّة الضحايا، يقود عشرات الشخصيّات، ويملي الأحداث التي كانت مصدر الآلام لهم جميعاً..

أجيال متعدّدة تتكاثر، تنقل العدوى من جيل إلى آخر، لكنّ جينة الجنون والتخبّط تكون الأكثر فاعليّة.. فحِرز حفيد حِرث الذي يرث منه ثلثي اسمه، يتعرّض لتغيّرات مفاجئة تجتاحه، تقلبه رأساً على عقب، تحوّله من شخص إلى آخر، يقبع الجنس خلفيّة لتلك التغيّرات التي تبدو مفاجئة، لينتقل من خوّاف من كلّ شيء، من ناقم على «ذاكه»، عضوه الصغير الذي أشبه ما يكون بزائدة لحميّة أو دودة ملتصقة به، إلى عاشق للجنس، فاتح الفتوحات فيه، منتقل من واحدة إلى أخرى، في لعبة الأنوثة والذكورة، التي تتحوّل إلى فحولة، حيث يكون خوافه مَرضيّاً، يغدو تعويضه أكثر مرضيّة.. كما أنّ هناك الكثير الكثير من الأحداث، والوقائع، والحكم، والعبر، تقدّمها الكاتبة في روايتها، عبر الأسماء والأحداث تارة، وبشكل مباشر من دون تورية أو مواربة تارة أخرى..

«تراتيل العدم» لمها حسن، روايةٌ لتواريخ نمَتْ في الظلّ، وألقت بظلالها على الكثيرين.. رواية الأسماء؛ الدوالّ والمداليل، محاولة لاختصار سير ومراحل عديدة.. تسرد التطوّر المفترض المهمّش، عبر التغلغل في قلب الصراعات والخرافات والأساطير، عبر وصف حالات متباينة، تتكامل لتنتج عالماً روائيّاً سحريّاً ثريّاً..

* كاتب من سوريا

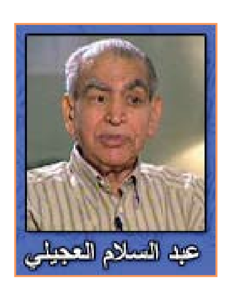
رمزية المرأة والخصب في أدب العجيلي

■ محمد السمّوري*

تكشف وظائف النقد الأدبي عن مكنونات متوضعة في النتاج الإبداعي، لم يتقصّد الأديب إيرادها صراحة، لكنها تطفح من لاوعيه، لتعبّر عن بيئته الثقافية، وأمثال ذلك التوضع موجودة بكثرة في النتاج الإبداعي من الشعر إلى القصة إلى الرواية، فسمة القصيدة من فرح أو حزن تقدم كشفا عن البيئة الثقافية للوجود الاجتماعي، المنعكس في الإدراك والوعي التاريخي، وكذلك الأمر في الأدب الروائي والقصصي حيث الإلماح، والرمز، والتبئير الإخفائي، والإشارة.

وهنا محور دراستنا عن علاقة الزمن بإضفاء سمات البيئة الثقافية في مرحلتها التاريخية على الإبداع، والانعكاس المتداور أو المتبادل بين المعطى الإبداعي وتأثيره على تلك المرحلة.. وهذه مهمة الأدب، أو على العكس أثر البيئة الثقافية التي أسمّيها بالزمن الثقافي، ومدى تجسده في النتاج الإبداعي وانعكاسه فيه.

ونتناول أدب الدكتور عبدالسلام العجيلي نموذجا لدراستنا، كونه عبّر بشكل واضح عن هذه العلاقة الزمكانية في الأدب، بين شروط البيئة وثلاثية الزمن، وكانت المرأة هي المدخل إلى هذا التعبير، ذلك أن المرأة كانت عبر التاريخ.. رمز الخصب والحياة والتجدّد والديمومة.. وهي الإلهة الجميلة التي تمنح الحياة سحر الألق والتفاؤل، كما هو الحال في (إيزيس)، و(ارتيميس)، و(الإلهة أثينا)، و(عشتار)، و(عنات)، و(نيت)، و(إينانا).. وغيرهن اللاتي صاغهن الفكر الإنساني عبر التاريخ، على هيئة إناث أسطوريات، لحاجته إلى الديمومة وتوقه للبقاء.


عبد السلام العجيلي

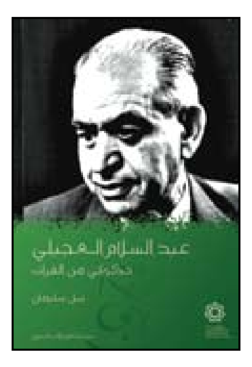
فهذا الفنان الذي رسمها تحمل تفاحة، وهي عارية ويدها تطاول السماء، يرى فيها ديمومة العطاء واستمرار الحياة، وهو رفض لا واعي للموت، وآخر جعلها ذات أثداء كثيرة مكتظة باللبن، لأنه يرى فيها النماء كرفض لواقع اجتماعي وسياسي واقتصادي ضاغط بمفردات مختلفة.

وهذا أديبنا عبدالسلام العجيلي،

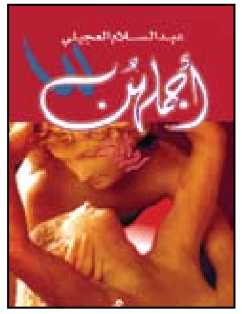


جعلها عاقراً لا تلد في مجمل أعماله القصصية والروائية.. فهذه سلمى في قصة الخائن، وسالي في قناديل أشبيلية، وهدى وأختها ماجدة في قلوب على الأسلاك، وهيام وأختها باسمة في رواية باسمة بين الدموع، وندى في (المغمورون).. وحتى السويدية ماريا لينا في «رصيف العذراء السوداء». وغيرهن كثير.. كلهن عاقرات في أدب العجيلي وتراثه القصصي والروائي.

ثم نجد بعدا جديدا في هذه الثلاثية، وهو بعد افتراضي يعنى بما بدأت بمقدماته ومعطياته، وهو التعبير اللاواعي المكنون في الزمن العربي.. لكن العجيلي أوجده -وهو الأديب الفيلسوف - فكأنّي به يقول: كلهن عاقرات، لأن الزمن العربي كان عقيما، ولأن العرب سلفيون في الزمان.



لكن المستقبل هو الزمن الموجود بالكمون في أحلامهم، ومرتبط بحياتهم القبلية، وبيئتهم الرعوية التي ترى الماضي، وتنشدّ إليه بقوّة، فإن قلم الأديب لا ينفك يعبّر عن هذا الارتباط.



لقد اتسم الزمن الذي عايشة العجيلي بالعديد من الإرهاصات والنكبات التي حالت دون تحقيق الوحدة القومية، والتقدم العلمي، والثورة الصناعية، وهذه مدعاة أخرى لخصي الزمن، من خلال عقم النساء، رغم دأبه لولوج زمن عربي خصيب، من خلال تقديم الأسباب الرامزة إلى ذلك الخصب، فنقرأ لديه زيجات شرعية، كما هو الحال لدى سالي، لكنه جعلها في قناديل أشبيلية، كرمز للانكفاء إلى أمجاد الأسلاف، وليس للمستقبل.. لأن سالي لم تلد صبيا يحمل اسم والديه، أما هدى الزوجة الشرعية في «قلوب على الأسلاك»، فقد جعل بعلها البرجوازي يهجرها، ويهرب بأمواله إلى الخارج، وهو تعبير آخر عن عجز البرجوازية العربية عن تحقيق الثورة الصناعية والتقدم، كما عملت البرجوازية الفرنسية في إحداث انقلاب فكري غيّر وجه التاريخ.

والمحاولة الثانية للعجيلي، هي الإباحية التي منحها لأبطاله مع نساء الآخرين كصفية، ونهاد، ونظمية، وسامية، وشاهناز، وهذه الإباحية أقرأ ترميزها وخلفياتها اللاواعية، على أنها تعبير عن نزعة الاستهلاك عند العرب، وما أريد لهم من قبل القوى الغربية المنتجة للتقنية، فهي تسمح لهم باستيرادها واستعمالها، لكنها لا تسمح بإنتاجها.. لذا جعلهن عاقرات أيضاً.

وبعد: فإن هذا الاجتهاد النقدي أقدمه بين أيدي النقاد والباحثين، ولا أحسبة مجازفة نقدية، بقدر ما هو قراءة متأنية وواقعية، لحالة عقم الزمن العربي عن إنتاج أدوات المعرفة، بدلا من اجترار منجزها.

---

* كاتب من سوريا.

سِفْر (سيف بن أعطى) والقارئ
سيرة لم تكتمل بعد..

■ فريال الحوار*

تتعدد أشكال الأجناس الأدبية بتعدد آراء كتابها وأجوائهم الفكرية ومناخاتهم الحياتية، وأساليبهم في الكشف والتعبير، ودوافعهم وغاياتهم الكامنه وراء كتاباتهم هذه، وإذا كان ثمة أسباب لا يمكن بروزها إلا من خلال تصريحات الكاتب، فهناك في المقابل أسباب متوارية في العمل، يستشفها ويكشف عنها الباحث والقارئ الواعي.

يقول الشاعر فيصل أكرم أنه كتب (سيف بن أعطى): رداً على الاستفزازات والمغالطات والافتراءات التي تزعم أن الشاعر الخليجي - وتحديداً السعودي - هو بالمجمل والتفصيل مجرد (شاعر نص)، ولا يرقى إلى شعر التجربة.

لا أظن بأن القول السابق للكاتب هو السبب الرئيس لكتابة سِفْر (سيف بن أعطى) بمداخله التسعة، بل كتب هذا السفْر رغبة منه بالعثور على (معنى الحياة)، عبر استعادة مراحل حياة سيف بن أعطى، التي توقفت في هذا الكتاب عند سن الخامسة عشر، وتوضيح أبعادها، وذلك لأنه قدم (سيف بن أعطى) بإرهاص من ديوان مقدمة (الكتاب الأخير)، يقول فيه:

(يا سيف..

.. كلّهم.. تركوا الهوى يأتي عليك فلا تضعْ.. ما دمتَ علقت السلام على جبينك، لأتبع طفل الكلام، هي الحياة الآن: أمك، والزمان أبوك، فاصرخ.. قل: وجدت الآن أهلي..).

صرخ هنا وكأنه يقول: أنا (الكائن) الذي يصنع قدره بإرادته ووعيه! لذلك فالكاتب يكمن خلف امتداد كل الأحداث والمواقف والانطباعات في سفْر/سيف ابن أعطى/ الذي اختار لغلافه صورة فوتوغرافية (لملف قديم)، ربما يكون ملف سيف بن أعطى الذي ظل متشبثا به رغم الأسياخ الحديدية التي انغرست في ساقه، ليقول لنا اليوم: هذا ما تبقى لسيف من تلك الحقبة، بعد أن فقد كل شيء.

في مدخل (أهرب من قلبي)، يقول صاحبه في حديثه عن دعاء: (.. تناقشت معك حول الكون، وراحت تتكلم عن برنامج الدكتور مصطفى محمود في التلفزيون: (العلم والإيمان)، فرحتَ أنت تخبرها بأنك تقرأ كتب مصطفى محمود أيضاً، وتكلمت معها بإسهاب عن إعجابك بكتابه الأخير «لغز الحياة»، ونصحتها بقراءته..)، إذا كان سيف بن أعطى يبحث عن فك رموز لغز الحياة، ويدعو من يتعرف عليهم، لفعل ذلك أيضا وهو لم يتعد الخامسة عشرة من عمره. وبعد أن عرف الكاتب الحياة ولو جزئيا، لأنه لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة، قام بإعداد ملف تكريمي عن معلمه الأول في الحياة - د. مصطفى محمود نشره في العدد (٢٥٤) من ثقافية الجزيرة - ليقول له شكراً

بقلمه وقلم كل من تعلم من مصطفى محمود وأحبه، وليجعل القراء يحاولون اكتشاف (لغز الحياة) بقراءة مصطفى محمود من جديد، وفي الصفحة (٧٨) من المدخل السابق، أشار الكاتب إشارة طفيفة إلى الأخ (حسن) الذي غادرهم بعد وفاة الأم، وانقطعت أخباره، بعدها وجدنا الكاتب يكشف لنا في مقالة نشرها في العدد (٢٥٦) من ثقافية الجزيرة عن سيرة كاتب كلاسيكي، من طراز رفيع يدعى (حسن علي أكرم)، وربما يكون الأديب العربي الوحيد الذي سنقرأ نتاجه الأدبي بعد وفاته، وبهذا يكون الكاتب قد جعل القارئ في حالة ترقب دائم للحكايات والأسرار، التي تتناسل من سِفْر (سيف ابن أعطى)، لقد جعل الكاتب من بطله (سيف) معبراً للاتصال بالنماذج البشرية في الحضارات المتنوعة، ومحاولة تمثلها واستيعابها والإفادة منها، (مصطفى محمود المصري - حسن أكرم السعودي)، وبذلك يكون قد أسهم إسهاما فعالاً في عملية البناء الإنساني، ذلك أن الأديب حينما يصور حياته الباطنية، وسيرته الذاتية عقليا وانفعاليا والخارجة عن منظور رؤيته، فإنما يثري حياة العقل الإنساني بوجه عام، والمعرفة السيكولوجية ودراسة الطبيعة البشرية، والخبرة الإنسانية بوجه خاص.

تكمن أهمية سِفْر (سيف بن أعطى) في ما يشتمل عليه هذا السفر من تجارب وخبرات إنسانية، قد تشكل درسا وعبرة في الحياة. كما تكمن في الشهادة الإنسانية التي يقدمها هذا السِفْر، أي فيما يحتويه من دلالة الشخصية - شخصية كاتبه - فحياة الإنسان مهما كان طابعها، فهي دائما تحمل شيئا ما ذا فائدة، لأنها تحتوي على دلالة إنسانية ما، وما أكثر ما حمل سِفْر (سيف



بن أعطى) من دلالات: (الصفعة الأولى، الركعة الأولى، الخروج الأول، الضياع الأول، الشتات الأول، المغادرة الأولى، الهبوط الأول، أهرب من قلبي، و.. فقدان)، حتى جعلنا نشك فعلا أن هذا السيف فعلا لم يرفع كفيه بالدعاء: يا إلهي لا تدخلني في تجربة!

ومن هنا، كان تأثيره عميقا على القارئ، لأنه أيقظ المعاني والمشاعر المترسبة في أعماقنا منذ الصغر، وجعلها تتناسق مع معانيه ومشاعره وصوره. بحيث نقلنا من مرحلة التلقي للعمل، إلى مرحلة المشاركة فيه، من خلال تفاعلنا معه وتحسس آلامه، فوجدنا أنفسنا بطريقة أو بأخرى، مندسين في أحد مداخل هذا العمل.

عندما قرأت سيف بن أعطى، لمست بأنه وسيلة تنفيس لكل من القارئ والكاتب معا. فالقارئ لا يطالعه لما فيه من تشابه في المواقف بينه وبين الكاتب فحسب، وإنما أيضا لينفس من خلاله عما يعتريه من ضغط داخلي. إنه يدخل القارئ في مناخ وعي جديد بذاته وبالآخر، ما يسهم في تحرره وانعتاقه من الضغوطات والقيود المفروضة عليه.

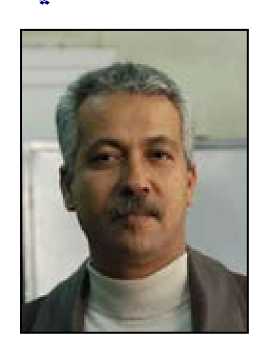
إن سِفْر سيف بن أعطى، يتمتع بأهمية نفسية تتعلق بالكاتب والقارئ معا، وكم تمنيت لو تحلى الكاتب بالجرأة والشجاعة، ورمى بالعوائق الداخلية والخارجية التي منعته من البوح بسر (الأوراق والأختام) التي جعلته يتلقى - الصفعة الأولى -، ليكشف عن ذاته.. وتتكامل تجربته الإنسانية، فهل سيفعل هذا في وقت قريب؟ لنقف بعدها ونقول له شكرا فيصل أكرم..شكرا يا سيف بن أعطى.. شكرا على المكاشفة في زمن.. الحقيقة فيه ضمير مستتر.

---

* كاتبة من السعودية.

الكاتب الروائي الكبير إدوار الخراط العلاقة بين الشرق والغرب من الناحية الثقافية علاقة جيدة

■ محمد الحمامصي*



يحتل الكاتب إدوار الخراط مكانة بارزة على خارطة الثقافة المصرية، خاصة، والعربية، عامة. وقد حظيت أعماله القصصية والروائية باهتمام نقدي كبير، وترجمت إلى العديد من اللغات، كالإنكليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية والأسبانية وغيرها؛ وفضلا عن تجربته الإبداعية المتميزة، فهو إلى جانب القصة والرواية شاعر وناقد، له باع طويل في التنظير، ومترجم له العديد من الترجمات، أشهرها رواية الحرب والسلام لتولستوى، وفنان تشكيلي، له أكثر من معرض، وله أيضا كتابات نقدية في الفن التشكيلي. ومجمل كتبه في الإبداع والنقد والترجمة تتجاوز المائة كتاب.. من أهم أعماله القصصية والروائية: أبنية متطايرة (رواية)، حيطان عالية (قصص)، حريق الأخيلة (رواية)، ساعات الكبرياء (قصص)، اسكندريتي (كولاج قصصي)، رامة والتنين (رواية)، يقين العطش (رواية)، الزمن الأخير (رواية)، عمل نبيل (مختارات)، محطة السكة الحديد (رواية)، رقصة الأشواق (مختارات)، أضلاع الصحراء (رواية)، صخور السماء (رواية)، يا بنات اسكندرية (رواية)، الغجرية والمخزنجي حجارة بوبيللو (رواية).. ومن أعماله الشعرية: (تأويلات: سبع قصائد إلى عدلي رزق الله)، (لماذا؟: مقاطع من قصيدة حب)، و(ضربتني أجنحة طائرك)، و(سبع سحابات، دانتيلا السماء)..

في هذا الحوار مع الروائي الكبير نستطلع رأيه في هموم وشجون الثقافة والإبداع..

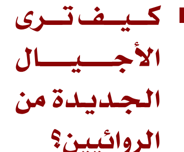
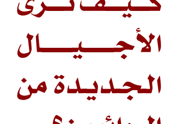
■ **كيف ترى وضع الثقافة العربية الآن في ظل التحديات الكثيرة التي تواجهها؟**

● الثقافة العربية مرت بمراحل متعددة من التحدي، والاستجابة له والتغلب عليه، ولا شك عندي في أن الأمل كبير في المثقفين العرب في الوطن العربي كله، في التغلب على هذه التحديات، ومواجهة العصر ومشاكله، والتقدم بالثقافة العربية إلى الأمام.

■ **لكن هناك من يتهم المثقفين بالتقصير؟**

● لا أعتقد أن هناك تقصيراً، وعلى المثقف أن يقوم بواجب، وهو واجب مشروع، وهو أيضا الموقف وتعميق التحليل، عندما

يقوم المثقف بهذا الواجب يكون قد قام بأداء مهمته الأصيلة.



إدوار الخراط

■ **كيف ترى الأجيال الجديدة من الروائيين؟**

● في الأجيال الجديدة، على اختلاف وتنوع اتجاهاتها، هناك - بلا شك - روح المغامرة، وأيضا ليس فقط الوعد والبشارة، بل الإنجاز والتحقق. هناك بالفعل مغامرات جديرة بالتقدير والاهتمام النقدي عند الأجيال الجديدة من الروائيين والقصاصين.

■ **وإدوار الخراط..أين يقف الآن عبر مسيرته الروائية؟**

● ماذا تريد مني أن أقول، ماذا علي أن أفعل إلا أن أكتب وأستجيب لما يمكن أن أسميه أشواق الروح.. وأشواك العالم.

■ **مسيرتك الروائية إلي أين أفضت رؤاها الإبداعية؟**

● هذا سؤال يوجه للنقاد، لا للكاتب، الكاتب يقوم بمهمته وللنقاد أن يقوموا بمهمتهم من تحليل وتقييم.

■ **وهل يقوم النقاد بمهامهم؟**

● إلى حد كبير، هناك اتجاه أو موضة للإنحاء باللوم على النقاد.. وهذا غير صحيح، هناك نقاد جادون يقومون بمهمتهم، وطبعا يطلب المبدعون باستمرار المزيد المزيد، وهذا من حقهم..لكن النقاد- في تصوري وفيما أرى - حتى الآن قاموا بجهد كبير في أداء واجبهم.

■ **كيف تقيم العلاقة بين الشرق والغرب في ظل الأوضاع العربية الراهنة؟**

● طبعا أنا لا أتكلم عن النواحي السياسية أو غيرها، والعلاقة بين الشرق والغرب من الناحية الثقافية علاقة جيدة. هناك نوع جيد من التبادل والتقييم والتعارف، يزداد وثاقة واتساعا يوما بعد يوم، وعاما بعد عام.

تقوم الثقافة بدور مهم وحيوي في تقريب أو سد الفجوة، وتقريب المسافات بين الثقافات وبين القراء.. أيضا عن طريق الترجمات المتبادلة والندوات والزيارات وتعميق العلاقات بشتى أنواعها.

■ **عشت الحركة الثقافية المصرية في فترات مختلفة من الخمسينيات وحتى الآن.. كيف ترى الوضع الثقافي في مصر حاليا؟**

● الوضع الثقافي في مصر الآن ليس من السهل توصيفه، من ناحية الإبداع الروائي والقصصي والشعري.. هناك ازدهار ومغامرة واقتحام؛ هناك بلا شك انجازات. أما الناحية الثقافية العامة، فتحتاج إلى أكثر من توصيف..لأن هناك وضعا معقدا ومركبا، هناك نوع من التهميش للثقافة الجادة، والتي نسميها عادة بالثقافة الرفيعة، وهي مجرد الثقافة. وهناك نوع من الهيمنة أو السيطرة، أو على الأقل النفوذ الواسع لأجهزة الإعلام العريضة مثل التليفزيون؛ لكني أتصور أن الوضع الثقافي وخاصة فيما يتعلق بالإبداع..هو من الأشياء القليلة في حياتنا التي تدعو إلى التأمل والتفاؤل، بينما هناك أشياء كثيرة تدعو إلى الأسى على الأقل.

■ **لكن هناك من يرى أن الازدهار الروائي أو القصصي أو الشعري الذي نشهده لا يقيم حقيقة الموقف؟**

● التعميمات غالبا لا أميل إليها، لأنها ما لم تستند إلى دراسات نصية ملموسة.. تظل

من نوع الكلام المرسل على عواهنه، وهذا لا أوثره. وباختصار ليس هذا التوصيف في تقديري صحيحا، هناك انجازات وإبداعات جيدة، وأكثر من جيدة، سواء من المخضرمين كبار السن، أو من الأكثر شبابا، سواء من ناحية العمر أو من ناحية الحيوية والعقلية..

■ **لكن بعضهم يرى أن هناك انطفاء شعريا؟**

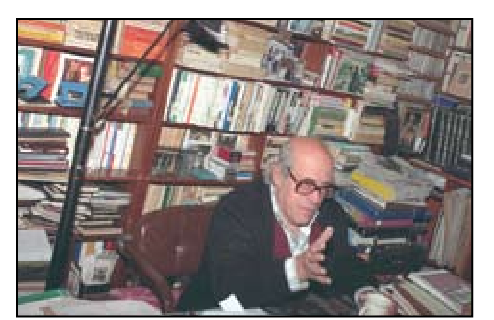
● هناك أمران في الشعر، الشعر المنبري شعر الاحتفالات، والشعر الجهير.. إذا صح التعبير. وهناك الشعر الذي أطلق عليه الراحل العظيم محمد مندور الشعر المهموس، أو ما أسميه الشعر الحميم، أو العلاقة الحميمة بين الشعر والمتلقي، الشاعر لم يعد الخطيب الذي له جمهور، هذا نوع من الشعر كان له في الماضي نوع من التأثير.. ما يزال جذابا لعدد من الناس، لكن الشعر الحقيقي في تصوري هو العلاقة بين نص الشاعر ومفرد متلق واحد، ما يكون علاقة تجاذب ونجوى ومشاركة حميمة، إذا صح هذا التعبير، وهو صحيح..

■ **ماذا عن اهتمامك بالفن التشكيلي والخصائص الأساسية التي انطلق منها؟**

● بدأ هذا الاهتمام منذ بدأ الاهتمام بالحياة بكل أشكالها، والخصائص التي تدعو إلى الاهتمام بالكتابة، هي نفسها التي تدعو للاهتمام بالفنون المختلفة، ويمكن تلخيصها بعبارة شديدة البساطة، أنها سعى إلى الجمال، والتواصل..

■ **أشرت في كتابك (في نور آخر.. دراسات وإيماءات في الفن التشكيلي) إلى علاقة خاصة بالفنانين الكبيرين أحمد مرسى وعدلي رزق الله.. كيف كان أثرها؟**

● بالفعل لي تجربة خاصة معهما، فقد عايشت لوحات وتخطيطات ومغامرات أحمد مرسى منذ الخمسينيات، وأعمال عدلي رزق الله منذ السبعينيات بمعنى المعايشة، لا مجرد الرؤية



أو المعرفة، وجدت في أعمالهما - على تباينها وانتمائها إلى عالمين مختلفين - نوعا من التساوق أو التجاوب أو التشارك في خبرتي الروحية، أو في إدراك بصري ورؤيوي لعالمي.. متراسل ومتناغم مع عالميهما، وكتبت عنهما كتابين كاملين، وفي تقديري لم تكن أعمالهما ملهمة لي، بقدر ما أن الإلهام يقع فيما وراء هذه الأعمال - إن صح التعبير - من ساحات الروح أو مناطق المعرفة الجمالية.

كأنني وجدت في هذين العالمين نغمات عميقة، كنت أسمعها.. بل أصغي إليها في دخيلة نفسي، حتى من قبل أن أرى هذه الأعمال الفنية، بكل ما يحمل فعل «الرؤية» من إمكانات.. الأسطورية والبعد اللاواقعي عند مرسى، والحسية الجسدانية الروحية معاً عند رزق الله هي، من الأول أبعاد من ذات روحي ومن الثاني خبرة الوعي بالكون - والكينونة - عندي.. لذلك وجدت أن هذا التناغم قد ابتعث عندي جوهر الشعر الذي لم يفارقني قط. ومن ثم كتبت «تأويلات» إلى رزق الله، و«ضربتني أجنحة طائرك» إلى مرسى، كما كتبت أخيراً - وفي السياق نفسه «صيحة وحيد القرن» إلى سامي علي، صديق الصبا منذ الثلاثينيات، هو فنان كبير، إلى جانب كونه أستاذاً ومفكراً وعالما جليلا، كانت لوحاته الأولى - في العام ١٩٣٩م ربما - مرهفة الجمال ورقيقة الحس - مثل روحه الجياشة بأشواق المعرفة ونشوات النور الهادئة.

■ **تعني أن هذه الأشعار مستلهمة من أعمالهم التشكيلية؟**

● ليست مستلهمة من الأعمال التشكيلية بقدر ما هي متناغمة أو متساوقة معها، نابعة عن خبرة مشتركة أو متقاربة، ولكن لا شك في أن معايشة الأعمال التشكيلية - من ناحية أخرى - قد حفزت هذه الأشعار الكامنة أصلاً، إلى التشكل.

هذا إلى أن اللغة التي وجدت أو انوجدت بها هذه الأشعار، لغة تشكيلية لعل هنا ما يتضافر معها في كتاباتي الروائية نفسها من حيث اللون، والتجسيم، وتوزيع المساحات، وإقامة النسب، ودرجات التضوي، أو التعتيم.. وكلها قيم، إن لم تكن تشكيلية بالاقتصار..فهي تشكيلية بامتياز، قد لا تكون قاصرة على الفنون التشكيلية، ولكنها في هذه الفنون بالذات تكاد تكون هي المعايير الأولى بصرف النظر عن فحوى الصورة أو العمل النحتي أو معناها.

■ **هل لك أن تلقي الضوء على مشاركاتك الفنية وتجربتها؟**

● كنت قد شاركت في معرض جماعي في أتيليه القاهرة منذ عدة سنوات، وكان معرضاً للكتاب الذين لهم اهتمام بالفن التشكيلي، وعرضت من خلال هذا المعرض سبع لوحات كولاج، ومعرضي الأول كان في ديسمبر الماضي بمركز الهناجر للفنون، وضم أربعين لوحة كولاج، ومن المقرر لهذا المعرض أن يقام في الإسكندرية في سبتمبر القادم..

إنني أعتبر أن الفن كله ليس خلقاً من لا شيء، وليس إنشاء من فراغ، وإنما هو إعادة تشكيل لمواد سابقة الوجود، أي أن الفن كله عندي هو إعادة صياغة، أي هو مرة أخرى نوع من الكولاج.. والكولاج كما هو معروف، استخدام مواد جاهزة في تركيبة جديدة تضفي على هذه المواد دلالة أخرى، وجمالية خاصة لم تكن قائمة بذاتها من قبل، تصوري للوحات الكولاج عندي هو هذا التصور، حيث نجد فيها ما يوحي بالتراث العريق المصري القديم، والقبطي، والإسلامي، جنباً إلي جنب مع عناصر شديدة المعاصرة، هذا التقارب أو التمازج بين تلك العناصر في تصوري، له قيمة دلالية وجمالية خاصة.. أرجو أن أكون قد قطعت شوطاً في تحقيقها في هذا المعرض..

■ **كيف كان اختيار فن الكولاج؟**

● الاختيار ذاته في كتابة أعمالي كلها، إذ يجمع التراثي مع الحداثي، والمصري مع العالمي في صياغة جديدة، أرجو أن تكون منعشة ومثيرة في الوقت نفسه..

■ **هذا العام أقمت معرضك الأول.. ومن قبل كانت لك مشاركة في معرض جماعي.. هل تعد تجربتك التشكيلية جزءاً من مشروعك الإبداعي ككل؟**

● جزء لا ينفصل من المسعى الحياتي كله، وليس فقط الإبداعي، لا أتصور نفسي بعيداً عن الاهتمام أو الانشغال أو الانخطاف نحو الفن التشكيلي أو الموسيقى، في الوقت نفسه مع العكوف على فن الكتابة.

■ **وكيف ترى العلاقة بين الفنون التشكيلية وفنون الكتابة الأدبية؟**

● العلاقة وثيقة، ولا تنفصل الاهتمامات بالفنون بشتى أنواعها عن بعضها بعضاً، أعتقد أن الفنون تثري بعضها الآخر، وأتصور أن من بين أسباب هزال أو فقر بعض النتاجات الروائية والقصصية والشعرية، هو بالضبط افتقار أصحاب هذه النتاجات إلى تذوق الفنون الأخرى المختلفة، سواء كانت تشكيلية أو موسيقية أو غيرها..

الأدب الساخر خبز القراء

لا أحد يستطيع الاستغناء عنه.. والعامة أكثر احتفالاً به

الكتابة الساخرة شقيقة الرسم الكاريكاتيري

حوار مع الكاتب الساخر

أحمد حسن الزعبي

■ حاوره: محمد صوانه

واحد من الكتّاب الساخرين، عرف بلماحيته، وسخريته التي ينتظرها الكثير من قرائه، سواء في أوعية النشر الورقية أو الرقمية..

إنه أحمد حسن الزعبي، قاص وكاتب ساخر.. اشتهر بشخصيته الكاريكاتورية «أبو يحيى» التي يستخدمها في كتاباته. صدر له كتابان ساخران؛ الأول، بعنوان «سواليف»، والثاني، بعنوان: «الممعوط»..

بدأ كاتباً للقصة القصيرة وما يزال.. توجّه الى الصحافة، فكتب في صحف إماراتية، ثم انتقل إلى جريدة الرأي الأردنية عام ٢٠٠٤م، بعمود يومي ساخر تحت عنوان «سواليف»، وما يزال.. كما شارك بالكتابة في صحف أسبوعية منها: «أخبار الناس» و«المواطن» و«العالم الإماراتية» و«خبرني».. وينتظر أن ينجز بالتعاون مع الفنان الكوميدي «موسى حجازين» المعروف بـ «سمعه» - الذي كتب له ثلاثة مسلسلات تلفزيونية - عملاً كوميدياً ضخماً، سيبث على إحدى الفضائيات العربية.

ومع أحمد الزعبي كان لنا هذا الحوار

■ **.. طفولتك ماذا تعني لك..؟!**

● «كهولة» بسن مبكرة.

■ **.. شقاوتك؟**

● لم أعرفها إلاّ بعد أن تيقنّت أنني أستطيع الدفاع عن نفسي.

■ **.. دراستك وشهادتك العلمية؟**

● لا علاقة للدراسة بالموهبة. بكالوريس في المحاسبة، وهنا المفارقة.. من أرقام وموازنات إلى شغب الحروف، ومناكفة الحكومات..

■ **.. قراءاتك؟**

● أقرأ كل شيء حتى فاتورة الكهرباء.. لكني أعشق القصة والرواية.

■ **الوظائف والأعمال التي مارستها؟**

● مدير مبيعات في شركة إماراتية.. وفي الوقت نفسه كاتب صحفي..الآن، مقيم

في الأردن ومتفرغ للإبداع بشكل تام.

■ **ماذا يعني لك مصطلح الأدب الساخر أو الكتابة الساخرة؟**

● الخبز اليومي الذي يجب أن يكون حاضراً وطازجاً بين الناس، وهو بوابة التمرّد الأولى، وتثني الحروف لتشبه حرف» لا«..

■ **متى بدأت ساخراً؟**

● بدأت الكتابة الساخرة في ١٩٩٣م، وبدأت بالنشر عام ٢٠٠٣م، يعني هناك (١٠) سنين من الكمون، والاستعداد للخروج بكلمة تستحق القراءة.

■ **ومتى بدأ قلمك ساخراً؟**

● قبل القلم كان الفم ساخراً.. يقولون إن لساني سليط.. وتعيس الحظ من يقع في مرماه..

■ **ومتى قررت أن لا مفر من هذه الطريق لأحمد الزعبي؟**

● الكتابة الساخرة هي التي اختارتني ولست من اختارها..

■ **هل أتاحت لك فرصة التنقل بشكل شبه يومي الاحتكاك المباشر مع هموم الناس ونبضهم؟**

● بالطبع الناس وهمومهم..هم منجمي الذي احفر فيه كل يوم وازداد غنىً.

■ **هل كاد الكاتب أحمد حسن الزعبي أن يبكي وهو يكتب ساخراً نتيجة حادثة حاول معالجتها؟ ولِمَ؟**

● بكيت أكثر من مرة.. لكن أصعبها.. عندما كتبت عن طفل يتيم اسمه عمر، فارق الحياة وهو في حاوية قمامة يجمع العلب الفارغة، ليبيعها بدراهم قليلة يعتاش منها؛ صدمت الحاوية سيارة مسرعة فتوفي في داخلها؛ وكان اسم المقال «عمر.. يا قربان الفقر»..



■ **هل يضحك أحمد في بيته ومع أسرته؟ بمعنى؛ هل هو ساخر داخل البيت؟**

● الساخر، ساخر.. في البيت، في الشارع، في العمل.. لكن يحدث أن يتعكّر المزاج قليلاً.. فالساخر أولاً وأخيراً انسان.. وأنا أشبه بالحلواني.. أحياناً يملّ الصنعة، ويبحث عن شيء آخر.. حتى ولو كان النكد..

■ **هل يجد الكاتب الساخر خفة الدم هذه في الطرقات أمامه؟ أم يحاول هو إيجادها لجمهور يعيش في أجواء تسودها هموم المعيشة، والركض وراء متطلبات الحياة، وتأمين لقمة الخبز للأطفال، وعلاج المرضى، وتأمين أجور المواصلات وثمن السندويتش لطالب جامعي..**

أرى أنه كلما زادت الحياة صعوبة.. كلما زادت سخرية الناس. وهذا أمر طبيعي عندما تنفد كل أسلحة التغيير، ولا يبقى إلا لسانك وخيالك.

■ **لمن يتوجه الأدب الساخر أولا.. للنخبة أم العامة؟ وأيهما أكثر تأثرا؟ وهل تتعرض لإيذاء الآخرين على ما تكتبه أحياناً؟**

- الأدب الساخر كما سبق أن عرّفته خبز القراء، لا أحد يستطيع الاستغناء عنه.. لا النخبة ولا العامة.. وإن كانت العامة هي الأكثر التفافاً ومحبة لنا، لأننا نتكلم بألسنتهم في مواجهة صانعي القرار.. أما بالنسبة للشق الآخر من السؤال، فقد تنامى غضب بعض المسئولين من العتب، الى المقاطعة، وأخيراً إلى التهديد.. لقد هددت بالضرب!

■ **هل الصحافة بحاجة إلى الكتابة الساخرة؟ ولماذا؟**

- الصحافة بحاجة إلى الكتابة الصادقة.. بصرف النظر إن كانت ساخرة أم جادة.. لقد ملّ القارىء مقالات التجميل والتطبيل والتزمير.. يريد القارىء مقالاً تفوح منه رائحة الضمير.

■ **ماذا وجدت في الكتابة الرقمية (الموقع على شبكة الانترنت: سواليف).. وهل ترى المستقبل للصحافة المطبوعة أم للصحافة الرقمية.. وما الذي حفزك على تأسيس موقع رقمي؟**

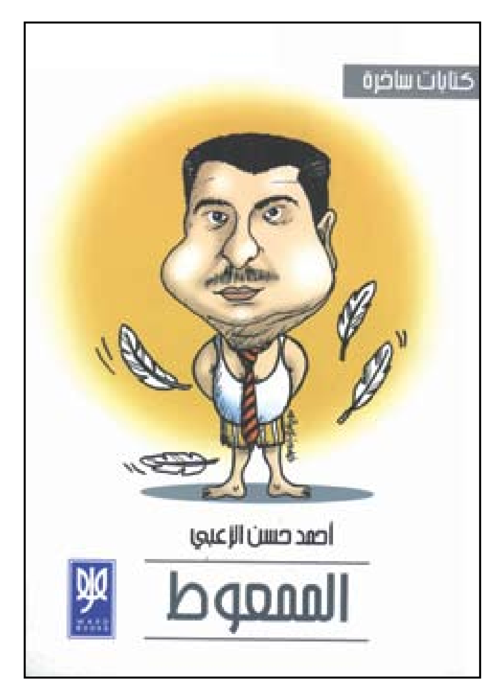
- الكتابة الرقمية أو المواقع الإلكترونية، تتيح لك التفاعل مع القراء أكثر من غيرها، فهي لحظية وسريعة ومفتوحة، وتتمتع بحرية ممتازة.. والذي حفزني لتأسيس الموقع، هو نشر المقالات الممنوعة في الصحافة الأردنية، والتي قد تكون ذات سقف عال من النقد.

■ **ما أوجه التشابه أو التنافر بين الرسوم الكاريكاتورية والكتابة الساخرة؟**

- الكتابة الساخرة شقيقة الرسم الكاريكاتيري.. هذه ترسم بالحروف وتلك ترسم بالخطوط.

■ **ما التأثير المتوقع للكتابة الساخرة؟**

- على الأقل - وذلك ما أعده انتصاراً - تزيل



تلك الهيبة والهالة الوهمية التي وضعها صاحب القرار لنفسه.. وتتفيه عظمته.

■ **لِمَ فكرت بجمع كتاباتك في كتب مستقلة؟ وهل يلاقي الكتاب الساخر إقبالاً كمقال الجريدة؟!**

- نعم، أصدرت كتابين ساخرين.. ولاقيا رواجاً كبيراً.. الأمر الذي دعاني لإصدار طبعة ثانية لكتاب «سواليف»، بعد أن نفدت الطبعة الأولى من السوق.

■ **هل كتبت القصة القصيرة أو الرواية أو فكرت بالكتابة فيهما؟**

- كتبت القصة وفزت بجوائز رابطة الكتاب الأردنيين «وهي العرض الأخير» و«الدرويش».. وأحلم بالرواية.

■ **هل تسرق الصحافة اليومية الإبداع الأدبي من الشاعر والقاص، وتتركه كاتبا سطحياً.. ومن هو الأقدر على المقاومة.. فيحفظ قلمه المبدع ليبقى**

مبدعاً، حتى لو اشتغل في الصحافة اليومية؟

- لاشك أن الصحافة اليومية تسرق إبداع المبدع.. لأنها تريده حاضراً متجددا في كل يوم، لكن في الوقت نفسه.. تغذيه بموضوعات ومهارات جديدة للتواصل مع الحدث.. كل منا بحاجة إلى أن يرتاح زمناً ليعيد تقييم نفسه.

■ من هم في نظرك أهم رواد الكتابة الساخرة عالمياً وعربياً وأردنياً..؟

- عالميا: تشيخوف، عزيز نيسين.

عربيا: محمد الماغوط وأحمد رجب.

أردنيا: جميعهم.

■ كيف ترى مستقبل الكتابة الساخرة؟

- جيد وفي تطور مستمر.. لكن بحاجة الى نفس طويل لدى الكاتب.



■ نوادر وطرائف حصلت لك بسبب مقالاتك؟

- كل يوم نادرة.. يصعب إحصاؤها، أهمها انتحال أحدهم شخصيتي!! لأنه يملك الاسم الثلاثي نفسه.

■ هل هناك مقالات ساخرة لك أو لغيرك تعيد قراءتها مرات جديدة.. ولِمَ؟

- محمد الماغوط ومحمد طملية.. أعيد قراءتهما كلما أصابني الفتور، أو حاصرني الخوف..

■ مشكلات مع مسئولين حصلت لك بسبب مقال معين؟ وكيف تصرفت..

- لا أكترث بهم.. يتصلون بالجريدة يشكونني.. أنا مطمئن، ما دام لساني مُلكي وأنا «أديره» فلن أخشى أحداً!

■ كيف ترى تأثير الصحافة على صناعة القرار..؟

- جيد، لكن ليس كما يجب.. المشكلة أن صناع القرار ما يزالون يعتبرون الكتاب الساخرين درجة ثانية أو ثالثة، فلا يأخذون برأيهم، ولا يصغون إلى أصواتهم..

■ هل ثمة ما يميز القارئ العربي عن الغربي أو الشرقي؟

- القارىء العربي بشكل عام - وهو قليل - قارىء ذكي يعرف أين موقع الكاتب بالضبط، وله مجساته الخاصة التي يعرف من خلالها صدق الكاتب من عدمه.. لذا نحن نعاني من رقيبين.. رقيب ما قبل النشر.. ورقيب ما بعد النشر «القارىء».

■ كيف ترى توجه الإنسان العربي نحو القراءة؟

- «سلامة تسلمك»، مثل توجه جدّتي للقنبلة النووية.

عوامل التفوق الدراسي مرتبطة بحسن العلاقة بين البيت والمدرسة والمجتمع
مشروع السعودة لم يحقق ما هو متوقع منه وتكتنفه بعض الصعوبات
معظم أفراد المجتمع السعودي غير راضٍ عن أداء البلديات

حوار مع أول مدير تعليم بمنطقة الجوف

■ أجراه محمود عبدالله الرمحي

رجلاً عرفته وعاصرته تعليميا منذ بداية الستينيات.. فكان علما من أعلام المنطقة، ورمزا تعليميا يقتدى به.. يعرف ما له وما عليه.. تحمّل المسئولية معلما وإداريا، وما يزال اسمه لامعا حتى اللحظة..كثير الحركة والتجوال عربيا وعالميا، شرقا وغربا.. قوي الشخصية.. واسع الاطلاع والمعرفة، تشهد له مكتبته الخاصة التي تحوي مئات الكتب النفيسة.. الدينية والعلمية والأدبية. بحر من المعلومات، ويعد مرجعاً لمن أراد الاستزادة عن منطقة الجوف وأهلها..

مع الأخ والمربي الفاضل إبراهيم خليف السطام.. كان لنا هذا الحوار..


الأستاذ إبراهيم خليف

■ **إبراهيم خليف السطام.. كيف كانت بداياتك التعليمية؟ أين درست؟ من هم معلموك؟ كيف كان تأثيرهم في شخصيتك؟**

● معلمي الأول كان والدي يرحمه الله، وفي سن مبكرة علمني مبادئ القراءة (الحروف الهجائية والحركات) على الرمل. إذ لا سبورة، ولا دفاتر، ولا أقلام، وفي عام ١٣٦٢هـ التحقت مع والدي في حلقات الدروس بجامع الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، يرحمه الله، وفي منزله، وهو المعلم والمؤثر في حياتي بعد والدي.

■ **كيف كانت الحياة في سكاكا قديما، وعند بداية مشوارك التعليمي؟ وأين**



من اليمين : عبدالعزيز الهنيدي "قائد سلاح الجو السعودي في الثمانينيات"في زيارة للجوف ليدعو خريجي الثانوية العامة للالتحاق بالكليات العسكرية ، يليه إبراهيم خليف.

موقع سكاكا ومنطقة الجوف في ذلك العهد من المدن المحيطة بها؟

- لا وجه للمقارنة.. فقد كانت الحياة بدائية وبسيطة، إذ لا توجد سيارات، ولا تليفونات، ولا شبكات للمياه، ولا كهرباء، ولا راديو، ولا تلفاز، والمساكن من الطين اللبن، تستخرج المياه من الآبار للزراعة والشرب بواسطة السواني، ويمكنك أن تقرأ صفحات من (خواطر من الماضي) في كتاب مسيرة التعليم في منطقة الجوف، لترى بعضاً من أوجه الاختلاف بين الأمس واليوم.

■ **لديكم إمكانية لكتابة سيرة ذاتية عن مسيرة حياتكم العلمية والإدارية.. فهل من الممكن أن يتحقق ذلك قريبا؟**

- النية معقودة..وكل شيء بأمر الله.

■ **شاهد على الجوف.. وفي مختلف مراحله التعليمية.. تلميذ في الكتاتيب فمدرس، فمفتش إداري، فمدير مكتب تعليم، فأول مدير تعليم لأول إدارة تعليمية في المنطقة. فمتقاعد حاليا.. ماذا لديه عن التعليم سابقا ولاحقا، وما**



مع الصحفي محمد عبدالواحد رفيق - أثناء انعقاد اللقاء الخليجي المغربي في الدار البيضاء ٢٠٠/٥/٤م

وجه المقارنة في ذلك؟

- أنت عاصرت مرحلة من مراحل التعليم في هذه المنطقة، ويعلم الجميع أن للتعليم فيما مضى خصائص منها:

أ - أنه كان يعتمد إلى حد كبير على الحفظ والتلقين.

ب- إن المناهج والمقررات في بدايات التعليم كانت غزيرة في مادتها خاصة في العلوم الدينية واللغة العربية.

ج- إن نوعية المعلمين في بدايات مراحل التعليم كانت متميزة على الرغم من أنهم



من اليمين: إبراهيم خليف، أحمد الكحيمي «السفير السعودي في عمّان»، سليمان النابلسي «رئيس الوزراء الأردني»، سلطان السديري وكيل إمارة منطقة الجوف آنذاك، أويسط الجريد رحمه الله، خلال تقديم دعم منطقة الجوف المادي للحكومة الأردنية عقب نكبة ٦٧م واحتلال الضفة الغربية.


أثناء تكريمه من قبل برلمان ولاية فيرشيلي في إيطاليا

لا يحملون شهادات عالية، مع تقديرنا لعطاء الأخوة المعلمين في هذه الأيام.

د- أن بعض الكتب التي تدرس آنذاك في مراحل التعليم العام، تدرس الآن في بعض الكليات الجامعية.

هـ- في وقت لاحق.. وعند حضور مجموعة من الأخوة المدرسين العرب، وفيهم مجموعة من المصريين كانوا على قدر عال من غزارة العلم والثقافة، كان منهم خريجو دار العلوم بالقاهرة، ومنهم من يحمل العالمية مع إجازة التدريس من الأزهر، وهي تعادل شهادة الدكتوراه، وهؤلاء يُعَلِمُون طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية، كان لهم مواهب وتأثير في سلوك طلابهم كقدوة صالحة في حياة الطلاب.

■ **مدرسة الشيخ فيصل بن مبارك يرحمه الله مدرسة تعليمية ذات طابع متميز، تركت بصماتها في منطقة الجوف.. وأنت أحد تلاميذها.. فما المميز الذي قدمته هذه المدرسة للجوف وأبنائه؟**

● نعم، مدرسة الشيخ فيصل المبارك، يرحمه الله، متميزة، لأنها تركز على العلوم الدينية فقط. وقد ترك الشيخ أثراً لا ينسى في طلابه، وفي المجتمع عامة، وتخرج على يديه عشرات من الفقهاء والمحدثين وحفظة القرآن الكريم، وبرز من طلابه عدد ممن تولى مناصب في القضاء، والوعظ، والخطابة، والتدريس في الجوف وغيرها. وقد تَرْجَمْتُ له بإيجاز في كتاب (مسيرة التعليم في منطقة الجوف).



■ **تبرز ظاهرة نجاح نسبة كبيرة من طلاب التعليم سابقا، في وقت تشح فيه تلك القدرات حاليا؛ بمعنى حصول عدد من أبناء المنطقة سابقا على أعلى الدرجات العلمية وفي وقت مبكر، بينما شهدت السنوات الأخيرة نكوصا في ذلك.. فهل سببه التعليم، أم تغير المجتمع، أم غير ذلك؟**

● أعتقد أن من عوامل التفوق آنذاك حسن


أثناء زيارته لمدرسة القريات الابتدائية عام ١٣٨١هـ

العلاقة بين البيت والمدرسة والمجتمع، وقد يكون لأسلوب الثواب والعقاب - وهو سائد آنذاك - دور إيجابي حافز للطلاب لتحقيق تفوقهم الدراسي.

■ **تحدثتم - وفي أكثر من مقال - عن فشل السعودة وأسبابه، لن أخوض في التفاصيل.. ولكن - في رأيكم - ما هو العلاج الناجع لتلافي مثل ذلك الفشل؟**

● نعم مشروع السعودة لم يحقق ما هو متوقع منه، وأعتقد أن مشروع السعودة يكتنفه بعض الصعوبات لأسباب منها:

١- أن الباحثين عن العمل يحملون شهادة التوجيهي فما دون، وهؤلاء الشباب غير مؤهلين لأعمال فنية، ولا يرغبون في الأعمال المهنية (نجار - حداد - سمكري - كهربائي - ميكانيكي - فني صيانة... إلخ).

٢- أن المزايا في القطاع الحكومي مغرية أكثر من القطاع الخاص، ومنها الأجور، والعمل على فترتين كامل أيام الأسبوع.

٣- أن القطاع الخاص لا يبحث عن كتبة، ولكنه يبحث عن عمالة فنية مدربة منخفضة الأجور، كما تفعل الوزارات في تفضيلها لأقل التكاليف مع متعهدي النظافة والصيانة.



خلال حضوره أحد المعارض المدرسية



في آحتفال مدرسي

والسؤال المطروح لماذا لم تسعود الوزارات والدوائر الحكومية وظائف مشغولة الآن بغير السعوديين مثل: خدمات الصيانة والنظافة وصب الشاي والقهوة، وهذا ممكن في حال إعطاء رواتب مغرية للشباب السعودي.

■ **(المكتبات العامة) ما الذي تعنيه هاتان الكلمتان؟ وما تفسيركم لعزوف الشباب والشابات عن القراءة؟**

● إن وسائل النشر الإلكتروني ومواقع الإنترنت تخوض منافسة مع الكتاب والمكتبات، وقد يكون الآباء مقصرين مع أبنائهم لتشجيعهم على القراءة، ولعله من المفيد أن تعلن المكتبات العامة عن برامج ومسابقات في القراءة، وكتابة القصة، والنثر، والشعر.. إلخ.

■ **صدر لكم كتاب عن مسيرة التعليم في منطقة الجوف، وكان بمثابة موسوعة تعليمية جوفية.. هل من نية لإصداره مجددا خاصة وأن إحصائياته تقف عند**


لقاء عمل مع رؤساء الأقسام في بلدية طبرجل بمنطقة الجوف

عام ١٤٢٦هـ.. وهل من إصدارات أخرى لكم سترى النور قريبا..

● من المتوقع أن تصدر طبعة أخرى من كتاب مسيرة التعليم في منطقة الجوف، وهناك إصداران.. أحدهما قيد الطباعة، والآخر قيد الإعداد، وسوف تراهما قريباً إن شاء الله.

■ **كيف ترون تجربتكم في إدارة بلديات منطقة الجوف؟**

● يطول الحديث عن تجربة العمل في البلديات، وقد يحتاج الأمر إلى كتاب خاص، إذا ما أريد الاستفادة من طرح هذا السؤال. ومع ما توفر للبلديات من مشاريع في ظل الطفرة المادية الحالية، إلا أن معظم أفراد المجتمع السعودي غير راضٍ عن أداء البلديات، لأسباب كثيرة يعلمها الجميع، ومنها أن بعض رؤساء البلديات يحاول تحقيق ذاته ورفع مكانته بهدم ما أنجزه زملاؤه السابقون من مشاريع وتنظيمات، وهذا توجه سلبي وخطير جداً، وحبذا لو تتصدى لذلك وزارة البلديات والمجالس البلدية.

■ **كيف تنظرون إلى العمل الاجتماعي الخيري بالجوف. وكيف تقيمون مستوى العمل الجماعي للناس؟**

● في تقديري أن الجمعيات والمستودعات الخيرية والداعمين لهذه الأنشطة كثيرون، وحبذا لو تنظم موارد هذه الجمعيات ومصارفها، لنصل إلى مرحلة توزيع عادل، على هيئة مخصصات شهرية للمحتاجين، بدلاً من توزيعها على البعض منهم، بشكل عشوائي ومتكرر.

■ **أين كانت نجاحات التنمية في منطقة الجوف.. وأين كانت إخفاقاتها؟**

● مجالات التنمية كثيرة ومتعددة (تنمية اجتماعية، عمرانية، اقتصادية، ثقافية، رياضية.. إلخ). وقد حققت نجاحات ملحوظة، لكن المفقود والذي لم يتحقق بعد، هو التنمية الاجتماعية في مجال السلوك الفردي والاجتماعي.

ألم تر أن صحافتنا زاخرة بنشر حوادث العنف، والمخدرات، والغش التجاري، والتحرش، والفساد الإداري، وتغليب المصالح الخاصة على الصالح العام، وكنا نود أن ينشغل المفكرون والمسئولون في علاج هذه الظواهر السلبية في المجتمع، وأن يطرحوا على صفحات الجرائد والمنتديات هموم المواطنين ومعاناتهم، وهي كثيرة ومتعددة، ولا يتسع المجال لذكرها.


لقاء عمل في إيطاليا

الشعر رئتنا والنافذة المفتوحة على العالم.
الشاعر قادر على تأسيس مشروعه الجمالي والإنساني والثقافي أينما كان ويكون.
لماذا ينتهي زمن الشعر وهو كل الأزمنة.

حوار مع الشاعر العراقي عدنان الصايغ

■ **حاوره محمد نجيم***

ولد الشاعر العراقي عدنان الصائغ بالكوفة سنة ١٩٥٥م، وهو عضو الإتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، وعضو إتحاد الصحفيين العراقيين، وعضو منظمة الصحفيين العالميين، وعضو إتحاد الأدباء السويديين، وعضو نادي القلم الدولي السويدي.

نشر الكثير من دواوين الشعر، أهمها: تحت سماء غريبة، تأبط منفى (الذي ترجمه مؤخرا إلى الانجليزية الشاعر العراقي جواد وادي)، صراخ بحجم الوطن، نشيد أرووك، تكوينات، غيمة الصمغ، سرايا لشعرها الطويل، سماء في خوذة، العصافير لا تحب الرصاص، أغنيات على جسر الكوفة، انتظريني تحت نصب الحرية.

فاز بعدد كبير من الجوائز العالمية، وبمناسبة فوزه بجائزة إتحاد الكتاب السويديين التقينا معه وكان لنا هذا الحوار.

■ **حدثنا عن عدنان الصائغ الطفل الصغير إلى عدنان الصائغ الشاعر..**

● سأترك للقصيدة وحدها أن تحدثك عن الشاعر الذي هو أنا، بينما أنا أجلس إلى طاولة مكتبتي في جنوب القطب، أقلب أوراق مجموعاتي، وكأني أقلب فصول المطر وسطور الريح.

تقول القصيدة:

« .. وكان المعلمُ حين يعلّمني..
كيفَ أرسمُ.. فوقَ الكراريسِ شكلَ الوطنْ
أغافلهُ..!!
ثمَّ ألصقهُ فوق قلبي
وأبكي..
لأني كسرتُ الزجاجةَ - في الصفِ -
يا لبراءةِ هذا الشجنْ
وأعرفُ..
إمّا نسيتُ نشيديَ - يومَ الخميسِ -
سيزعلُ مني الوطنْ»

* * *

«هل تذكرني..!
كنتُ صبياً
أجلسُ تحت ظلالِ التوت
منتظراً.. خطوتها الخجلى
في وجلٍ عذبٍ
أكتبُ فوق سياجِ حديقتهم..
.. بعضاً من أبياتي
علَّ معذبتي.. تقرأُها
.. حين تمرّ..!
فترقُّ.. لحالي»

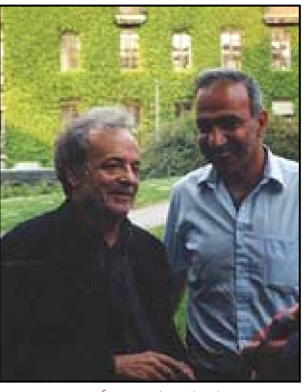
* * *

«الصبيُّ المشاكسُ شاخَ..
وأنتِ..!؟
أما زلتِ مجنونةً برذاذِ النوافيرِ
أذكرُ كنّا نجوبُ الشوارعَ
نحلمُ في وطنٍ بمساحةِ كفي
وكفكِ
لكنهم صادروا حلمَنا..
ها أنا الآنَ، أنظرُ من شقِ نافذةٍ
للشوارعِ
وهي تضيقُ..
تضيقُ
تضيقُ
فأبكي..»

* * *

«آه، ما كان لي...
.. أنْ أغادرَ مرجَ الطفولةِ
نحو المدينة
ما كان لي...
أنْ أبدّلَ زقزقتي برباطِ الوظيفةِ
ما كان لي..





عدنان الصايغ مع أدونيس

أنْ أستعيضَ عن النهرِ
ما كان لي..
ولكنهم أوصلوني لهذا الخرابِ»

* * *

«الفتى اللاهي الذي قد تذكرينْ
صارَ أبْ
وله طفلانِ أو ذنبانِ، آهٍ
وديونٌ..
ووظيفةْ
سرقتْ منه أراجيحَ الحنينْ
الفتى.. آه، الفتى
لو تعلمينْ
ما الذي قد صنعتْ فيه،
مداراتُ الليالي
واحتراقاتكِ، والحلمُ الضنينْ»

* * *

جمّعتُ عمري في جعبتي..
ثم قسّمتهُ:
بين طفلي..
ومكتبتي..
والخنادق
(للطفولة، يتمي..
ولامرأتي، الشعرُ
والفقرُ..
للحربِ، هذا النزيفُ الطويلُ..
وللذكرياتِ.. الرمادْ)
وماذا تبقى لكَ الآن من عمرٍ

* * *

«راكلاً حياتي بقدمي من شارعٍ إلى شارعٍ

مثلما يركلُ الطفلُ كرتَهُ الصغيرةَ ضجراً منها

وأنا..

أتأملُ وجهي في المرايا المتعاكسة

وأعجبُ

كيف هرمتُ

بهذه العجالة»

* * *

■ **هل لك أن تحدثنا عن ظروف كتابة نشيد أوروك، وكيفية استجماع مصادر العمل، لأنني حين اطلعت على الديوان، وجدته حافلا بالأساطير والخرافات والفلسفة والحكمة والتاريخ، ويذكرنا هذا العمل بالعمل الخالد يوليسيس لجيمس جويس. وبوصف هذا النص هو أطول نص شعري عراقي كتب في السنوات الاخيرة.**

● المكان: اصطبل مهجور للحيوانات في قرية «شيخ اوصال» في شمال العراق (وجدتني فيه جندياً محتجزاً كعقوبة، لأنهم عثروا على مجموعة من الكتب تحت يطغي)..

الزمان: منتصف سنوات الحرب العراقية الايرانية وما تلاها (١٩٨٤- ١٩٩٦م).

الأحداث: كل ما مر على هذه الأرض الطاعنة بالمرارات والحضارات والثروات والحروب، وجدتني أستقريء من خلالها وفيها أحداث روحي اللائبة، وسطوري وأحلامي وأرضي وشعبي وتاريخي، من أغاني ايننانا حتى الحقول المحروثة بغاز الخردل، والتي كانت تلوح على مبعدة من شهقاتنا الحبيسة.

في عام ١٩٩٣م سأغادر العراق إلى عمان، وسيحمل لي أحد الأصدقاء بين حقائبه نسخة القصيدة التي تركتها هناك خوفا عليها من عيونهم.. وسأظل أشتغل عليها ثم لتنتقل معي في طوافي إلى صنعاء وعدن والخرطوم فدمشق منسلاً منها إلى بيروت، حيث تأخذها أحد دور النشر، وتباشر بطبعها كاملة..

■ **كيف تستشرف الحركة الشعرية بالعراق في ظل المتغيرات الحالية؟**

● الحركة الشعرية العراقية في كل منعطفات التاريخ الحادة لم تزدد إلا لمعاناً واستشرافاً وتجريباً. ودليلي على هذا هو تلك النصوص الضاجة بفيوضاتها رغم مشهد الخراب..

وليس ذلك غريباً.. فكثيراً ما يولد الشعر العظيم من رحم المعاناة الكبيرة.

■ **ما يبقى يؤسسه الشعراء.. ماذا تنوي تأسيسه لتساهم في بناء مجتمع يسوده العدل والسلام في بلدك العراق الذي أنهكته الحروب والديكتاتورية؟**

● ما أحلم به حقاً هو أن أصحو ذات صباح فيروزي، فلا أسمع دوي الانفجارات والتصريحات والمزايدات.

■ **هل لك أن تعرفنا على منطلقاتك الجمالية والشعرية بعد كل هذا التحول؟**

● أنطلق من فكرة أن التحرر يبدأ من الإنسان

نفسه، بمعنى أن يتحرر الإنسان العراقي من قيوده هو أيضاً، مثلما تحرر من قيود الطغيان المسلطة عليه. بمعنى آخر أن لا يمارس قهره وطغيانه على الآخر. أن لا يفهم الحرية مكسباً فردياً ينعم بها هو، بينما يضن بها على الآخر أو يمنحها وقت ما يشاء..

إن التحرر ينبغي أن يؤسس لمفهوم الحرية الأعمق، أن يشيع مفردات الجمال والعدالة والمعرفة والعمل والحق والحب، أن يفتح نافذة حرة على العالم، ليرى ويتحاور، ويتعلم ويستشرف، ويتأثر ويؤثر.

■ **بعد زيارتك مؤخرا لبغداد.. كيف كان شعورك بعد فترة المنفى الطويلة، وكيف تعاملت مع الواقع الجديد، ولماذا لم تفكر في تأسيس مشهد ثقافي يتلاءم مع المتغيرات الجديدة، سيما وأنتم تحملون رؤيا جديدة بعد تجربة الغربة، بعد الإنهيارات التي طالت المشهد الثقافي العراقي.**

• لم تمهلنا الانفجارات أن نرتوي من لحظة الفرح بسقوط الطاغية. أن نتأمل تلك اللحظة، أن نستوعبها، أن نقومها.. أن نراجع ما لها وما عليها وما لنا وما لها. ومن ثم لم نتمكن حتى من فتح حقائبنا وأحلامنا التي حملناها معنا لنحط رحالنا بعد سنوات النفي والشتات.

ولم نتمكن من ايجاد أي فسحة للتأسيس، أو حتى للحلم بالتأسيس وسط واقع منهك، زادته المطامع السياسية الجديدة نهشاً وانهاكاً..

المشاريع الثقافية والحضارية والعمرانية والتربوية تحتاج الى استقرار، وهذا الاستقرار يحتاج الى أرض غير رجراجة، يمكن أن تقف عليها لبنات البناء..

■ **الكثير من أصدقائي الشعراء والروائيين هنا وهناك في المغرب وأوروبا وأمريكا، كانوا يعولون كثيرا على عودتكم النهائية للوطن، وسد الفراغ الثقافي هناك في مجال التواصل الفكري، إن كان على مستوى الإصدارات الثقافية. أو على الأقل تأسيس قناة عراقية ثقافية.**

• من ناحيتي أرى أن الشاعر قادر على تأسيس مشروعه الجمالي والإنساني والثقافي ومواصلته أينما كان ويكون.. ومن تلاقح هذه المشاريع وتحاورها يمكن بناء المشروع الثقافي العام، وتأسيس ثقافة وطن قادرة على فتح كوى خضراء مضيئة في جدار الظلام السميك الذي بناه الطغاة وأعداء الحرية..

ومشروعي يندرج في هذا الاطار مبتعداً عن التدافع بالمناكب والخطابات التي أرهقتنا كثيرا بصخبها وعجاجها طيلة عقود طويلة، مؤمناً أن «ما يبقى يؤسسه الشعراء»، كما يقول الشاعر الألماني هولدرلن.

لا عودة نهائية ولا بقاء نهائي، هكذا وضعتنا أقدار الوطن والمنفى أو أقدار الشعر، وبينهما أجدني منهمكاً بنصي الجديد «نرد النص»، الذي أحاول أن أفتح به نفقاً مغايراً، لمشروع الكتابة الجديدة.

■ **هل هناك مؤامرة ضد الثقافة العربية، تحاك باستمرار من طرف الفضائيات التي لا تقدم إلا الطرب المبتذل، والكليبات التي تصيب المشاهد بكسل وخمول.**

شبعنا حدّ التخمة من هذه الكلمة: «المؤامرة» على مستوى الشارع والسياسة والثقافة والدين. ليس هناك أكثر ايذاء وخطورة على الوطن أو الثقافة من القائمين عليها أنفسهم، إذا كانوا ذوي عقليات متحجرة وظلامية، لا يبغون من أمر الوطن سوى تأسيس جهاز مخابرات، وحرس جمهوري، وصناديق اقتراع تفرز لهم أصواتاً ثابتة مدى الحياة بنسبة ٩٩,٩٩٪، ولا يعلمون من شؤون الثقافة سوى تعليق لافتاتهم وشعاراتهم وقصائد المديح الجنجلوتية بحقهم، ولا يفقهون من الدين سوى السيارات المفخخة والتفجيرات والقتل والتحريم.

هذه العقليات أينما تكون في الفضائيات أو الصحافة أو الشؤون الثقافية أو دائرة الفنون، فإنها تلغي كل مجال للعقل والتطور.

وقد شهدنا في السنوات الأخيرة طوفانا عارماً من الإستسهال والتعمية..عاد بنا إلى الوراء عقوداً وعقوداً حد أن نجد أن ما كان يمكن تداوله من كتب وآراء في مطلع القرن الماضي، بات بحكم المحرم والممنوع. وخذ قائمة الكتب المصادرة في معارض الكتب..

وخذ ما يصدر من فنون الطبيخ الثقافي والسياسي، في كتب فاخرة زاهية الألوان، وشدة الإقبال الجماهيري عليها..تجد أن الجميع مشترك – وإن بنسب متفاوتة – في هذا التقهقر الفاجع والمستمر إلى الوراء..

■ **حين زرت العراق، أريد أن أسألك عن أحوال أصدقاء أعتز بصدقاتهم جدا، سلمان داوود محمد، علي حبش، كزاز حنتوش، عبدالزهرة زكي، علي الطائي، صفاء دياب وآخرون.**

- في مقهى الشابندر التي تقع في ركني شارع المتنبي وسوق السراي، التقيت بالعديد من الأصدقاء القدامى والجدد، وجمعتني وإياهم استذكارات الشعر والوطن والكارثة، بكينا وضحكنا حتى ابتلت أطراف الأحاديث بيننا، «وسالت بأعناق المطي الأباطح» كما يقول الشاعر كثّير عزة.

جمعني والأصدقاء أكثر من لقاء: صفاء ذياب، وعلي حبش، وخزعل الماجدي، وقاسم محمد عباس، وعبد الخالق الركابي، وعبدالرحمن طهمازي، وأحمد خلف، وصفاء صنكور، والتميمي، والحطاب، وزعيم النصار، وماجد طوفان، وناظم عودة، وشوقي كريم، وعبد الزهرة زكي الذي آلمني وأحزنني كثيراً ما تعرض له من سجن، خرج منه قبل سقوط النظام باعجوبة زاد رأسه الأشيب توهجاً.

وجمعني وصديقي سلمان داوود محمد حوار ثقافي في قناة الجزيرة عن (أدب الداخل والخارج) قلنا فيه بوضوح أن لا داخل ولا خارج في الأدب العراقي. هناك إبداع حقيقي واحد أو لا إبداع. والجميل والمدهش أننا انجمعنا في رأي واحد، رغم أن الحوار أجري لكل منا منفصلاً، فلم اكن أعرف ما كان يقول

ويفكر به، ولم يكن هو يعرف أيضاً ما كنت أقوله..

وهكذا سقط هذا المصطلح أمام المشاهدين من تلقاء نفسه، بعد أن تاجر به طويلاً مفلسو الابداع وتجار الشائعات الأدبية..

■ عدنان الصائغ وطارق حربي إذا طلب رأيكما في كتابة دستور جديد للعراق فما الذي تقترحانه؟

- ليدخل الشعر والحب والحرية والمعرفة والبناء والقانون والأمن والجمال في أي دستور جديد يكتب للعراق، بعد أن غيبت عنه هذه المفردات وغيرها لسنين طويلة، ليضج بالطغيان والظلم وتمجيد الجنرالات.

■ هل انتهى زمن الشعراء؟

- لماذا ينتهي زمن الشعر وهو كل الأزمنة..؟!

لماذا نتوقف عن كتابة الشعر وهو رئتنا.. والنافذة المفتوحة على العالم..؟!

يقول الشاعر الفرنسي جان كوكتو: «الشعر ضرورة.. وآه لو أعرف لماذا» نعم، - أيها الأصدقاء - آه لو أعرف أو لو نعرف لماذا نكتب؟ نحن حفاة التاريخ ومؤسسو ممالك الدهشة، المشردون على أرصفة الكلمات. طردنا أفلاطون من جمهوريته، فهمنا على وجوهنا في كل وادٍ - كما وصفنا القرآن - يتبعنا الغاوون، وتلاحقنا التقارير والأنظمة والحكام، والشتائم. نحمل الوطن المصلوب من منفى إلى منفى..كما ردد البياتي، أو نحمل خشبة الصلب على أكتافنا، نبحث عمن يصلبنا عليها، كما فعل الشاعر القديم دعبل بن علي الخزاعي. صلبوا منا الحلاج، ورموا أبن المقفع في تنور مسجور، وأمروا يزيد بن مفرغ أن يحك بأظافره قصائد هجائه للحاكم، التي كتبها على الحيطان، حتى بريت أصابعه، وظلت تنزف دماً حتى مات، والخ والخ، وقائمة الذبح والتشرد تطول.

فلماذا الشعر ولماذا نكتب؟ بل قل لماذا نحمل صليب كلماتنا على أكتافنا يومياً، ونمشي في شوارع الوطن العربي، وساحات المنافي بحثاً عن وطن آمن لكلماتنا.

وكنت أتمنى لو وُجه هذا السؤال إلى القراء: لماذا ما تزالون مصرين على قراءة الشعر رغم هذه الظروف الصعبة كلها؟

ذلك أن الشاعر مهما أوتي من قدرة التنظير عن فنه وهواجسه، سيجد نفسه مرتبكاً أمام سؤال مثل هذا يريد أن يختصر عمره كله بكلمتين فقط، ثم يختتمهما بعلامة استفهام تشبه أنف محقق في دائرة أمنية. وأعود إلى كوكتو ثانيةً وهو يقول: «إن الفنان لا يستطيع أن يتحدث عن فنه إلا بقدر ما تستطيع الشجرة أن تناقش في الهندسة الزراعية» ونمضي معه في دروب الحياة والكتابة والفن والطبيعة، لنجد أن الكاتب لا يعرف أيضاً لماذا يكتب. مثلما الشجرة لا تعرف لماذا تثمر؟! والعصفور لا يعرف لماذا يغني؟! والبحر لا يعرف لماذا يهدر؟! والسنبلة لماذا تنضج؟! والسحابة لماذا تمطر؟! والخ والخ.

* كاتب من المغرب.

ليلة العيد

■ فواز بن صالح الجعفر*



بفرشاة سوداء.. لا يمكنك أن ترسم «الزهر»!

سيهاجمك في العيد شبح.. رسمته يداك!

ويوافيك في الصبح ليل..

من لم تملأ «الحلوى» أعياده.. فليس بـ «صاحب سعادة»!

يعرفون كيف يمرحون.. لكنهم لا يعرفون كيف يفرحون!

الحلوى.. هي التي يتذوقها القلب.. وتذوب في خلجاته..

وليست بالألوان.. أو «السولفان»..

كل عام وأنت.. أنت!

يتقدم أناس.. ويحلق آخرون.. وأنت في مكانك تراوح..

يتصافى أناس.. ويقترب آخرون.. وأنت كما أنت.. تنافح..

يهجر الخطأ أناس.. ويطلّقه آخرون.. وأنت في غيِّك.. سارح..

لن أقول لك: (كل عام وأنت بخير).. حتى تقول: كل عام وأنا غير!

يأتي العيد.. ويعود الألم.. والأمل..

ماذا فعلت يا أبا الطيب؟!

إن كان العيد واقعا.. فقد ألبت المواجعَ..

يا ليتها أزهرت بينك وبين «كافور»!

لترى في العيد ما لم تره!

تهنئة ليست من القلب.. مصير معناها القلب..

حتى بتهنئته يتكلف!

خذ نصيحتي:

ابتسم.. ولا تأسَ ولا تتأسفْ..

بعضهم.. في صلاة العيد يجتمعون.. ثم.. «يتفرقون»!

لماذا تلتئم الدروب.. ثم تختلف القلوب؟!

وتمتد الأيدي للمصافحة.. ثم تعرض الصدور عن الصفح؟!

أليس من معاني «عيد الإسلام».. العود لـ«السلام»؟!

«لم يعد للعيد طعم».. يكررها الكبار.. ولا يفهم معناها الصغار!

وكم يحلو العيد.. في أفواه «الغيد»: «عساتم من عوَّاده»!

ابتسامة العيد.. لا تقبل «التلوّن» و«الانكسار»..

تماماً كبياضه الذي لا يقبل «الصَّفار»..

تضرب الأضحية أقوى رمز للتضحية..

حينما تقول: «اذبحوني.. وأحيوا عيدكم»!

في صباح العيد..

كم هم الذين يبنون رؤاهم للعام القادم..

ليكونوا من الفائزين.. إن كانوا من «العايدين»؟!

---

* سكاكا - الجوف.

من رواد التجديد في النثر الفني الحديث مصطفي لطفي المنفلوطي

■ د. عبدالناصر محمود عيسى



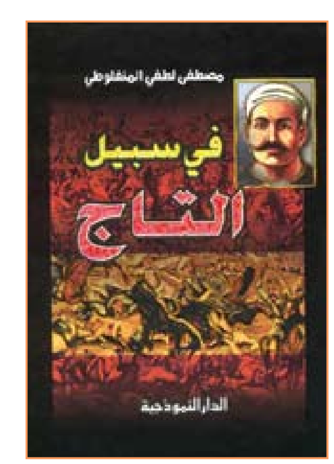
هو مصطفى لطفي بن محمد لطفي بن حسن لطفي المنفلوطي، المولود في منفلوط إحدى مدن محافظة أسيوط سنة ١٨٧٦م، وقيل ١٨٧٧م، وقيل ١٨٧٢م، لأبوين مختلفي الأصل، فأبوه مصري عربي صريح النسب ينتهي نسبه لعترة الحسين بن على رضي الله عنهما وأمه تركية شابكة القرابة إلى أسرة الجوربجى، وتوفى سنة ١٩٢٤م[١].

كان مولده في بيت كريم بالدين جليل بالفقه، توارث أهله القضاء الشرعي نحو مئة عام، ولذا نهج المنفلوطي سبيل آبائه في الثقافة، فحفظ القران في الكتّاب، وتلقى العلم في الأزهر؛ و لكنه على الرغم من ورع قلبه ورعاية أبيه لم يكن يلقي بالاً لغير علوم اللسان وفنون الأدب، فهو يحفظ الأشعار ويتصيد الشوارد ويصوغ القريض وينشئ الرسائل، ويجمع بين اختلافه إلى دروس الشيخ محمد عبده فى البلاغة وتفسير القرآن، والاختلاف إلى كتب القدماء ودواوينهم فهو يقرأ لابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان، كما يقرا للنقاد كالامدى والباقلانى وعياض وغيرهم ممن تناولوا وصف الكلام الجيد، وممن وقفوا عند إعجاز القران وجمال أساليبه. وقد ساعده ذوقه الجيد وحسه المرهف أن يختار لنفسه أروع ما فى الكتب والدواوين من قطع وقصائد رائعة، فعكف على هذا كله، كما عكف على كتابات أستاذه محمد

عبده، يعب منها كما يعب وينهل من آثار معاصريه المترجمة والمؤلفة؛ وبذلك هيأ نفسه ليكون أديبا بارعا وكاتبا لا يشق له غبار فى مجال القصة والمقال، وكذلك الشعر.

وقد عرف المنفلوطي بغيرته على الفصحى، ومحافظته على القيم السامية، يدل على ذلك ما نشره من مقالات ثقافيه ودينية أشرقت على وجه صحيفة المؤيد إشراق البشاشة، وسطع أسلوبه العذب فى أندية الأدب سطوع العبير، ورن فى أسماع الأدباء رنين النغم، ورأى القراء والأدباء فى فنه ما لم يروه فى فقرات الجاحظ وسجعات الهمذانى، وما لم يرون فى غثاثة الصحافة وركاكة الترجمة، فاقبلوا على أعماله إقبال الهيم على المورد العذب الزلال.

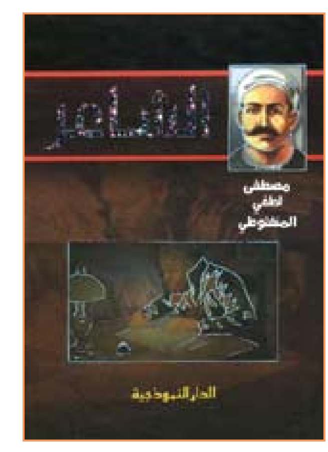
يقول عنه أحمد حسن الزيات: «وكان هذا النفر من الأيفاع المتأدبين يجلسون فى أصائل أيامهم الغريرة أمام الرواق العباسي فى الأزهر، يتقارضون الأشعار ويلهون باغفال الناس، ويترقبون «مؤيد الخميس» ليقرءوا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع، وطه مرهف أذنيه، وزناتى مسبل عينيه والزيات مأخوذ بروعة الأسلوب، فلا ينبس، ولا يطرف، وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا



المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر وجعله الإمام المفتي (الشيخ محمد عبده) تلميذه المختار:»[٢].

وقد ساعدته صلته الوثيقة بالإمام محمد عبده وبالزعيم الوطني سعد زغلول والكاتب الصحفي على يوسف، حيث كان هؤلاء النفر أقوى العناصر فى تكوين شخصية المنفلوطي الأديب، إلى جانب استعداده الفطري وتوجيه أسرته، لأن هؤلاء الثلاثة على ما بينهم من تفاوت فى نواحي النبوغ كانوا أفهم رجال العصر الحديث لحقيقة الأدب، وأشدهم حدبا على بؤس أهله[٣].

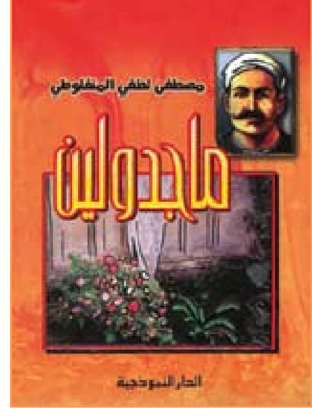
وقد كان المنفلوطي أديبا موهوباً، حظ الطبع في أدبه أكبر من حظ الصنعة، لأن الصنعة لا تخلق أدبا مبتكرا، ولا أديبا ممتازا، ولا طريقة مستقلة، وكان النثر الفني فى عصره لونا حائلا من أدب القاضي الفاضل، أو أثرا مائلا لفن ابن خلدون يتمثل الأول قويا فى طبقة المويلحي وحفني ناصف، ويظهر الأدب الثاني ضعيفا فى طبقة قاسم أمين ولطفي السيد، ولا يستطيع ناقد أن يقول: إن أسلوب المنفلوطي كان مضروبا على أحد هذين القالبين، بل كان له أسلوبه الملائم لعصره كملاءمة أسلوب ابن خلدون لعصره، فجاء أسلوبه بديعا فى

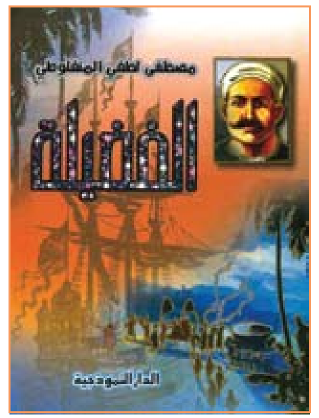


إنشائه حيث أنشأه الطبع القوي على غير مثال، فمع أنه قد تأثر بالأدباء القدامى كابن المقفع وابن العميد، وبالمحدثين منهم كجبران خليل جبران وميخائيل نعيمه وغيرهم، إلا أن هذا التأثر دخل فنه دخول الإلهام والإيحاء لا دخول التقليد والاحتذاء، فله من الأولين إشراق الديباجة وقوة النسيج، وله من الآخرين جدة الموضوع وطرافة الفكرة(٤).

يقول الدكتور شوقي ضيف: «وتلمح فى كتاباته آثار القدماء، فقد تحس أحيانا أنه يحتذي نثر الجاحظ أو نثر بديع الزمان، ولكن ما يحتذيه أو ما ينقله يدخل فى كيان تعبيره بحيث يصبح كأنه يعاد خلقه من جديد، وهذا ما نسميه شخصية الكاتب، فكل ما يكتبه يطبع بطابعه.. هذا من حيث الشكل، أما من حيث الموضوع، فقد اختار الحياة الاجتماعية لبيئته واتخذها ينبوعا لأفكاره، وتحول فيها بتأثير أستاذه الشيخ محمد عبده إلى مصلح اجتماعي، فهو يردد آراء المصلحين من حوله ويؤديها بلغته التي تأثِر السامع وتخلُب لُبّه»(٥).



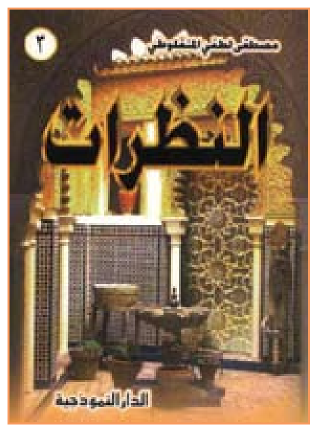




والمنفلوطي فى أدبه لا يعنى بموضوعه فحسب، بل يحاول أن يؤديه أداء فنيا يتخير فيه اللفظ، ويحاول أن يؤثر به فى سمع القارئ ووجدانه، وهو فى ذلك متأثر بطريقة القدماء الذين كانوا يعنون بالجرس الموسيقي للكلام الذي ينتهي بهم إلى السجع فى الغالب، لكن المنفلوطي لا يسجع، ولكنه يعنى عناية شديدة بموسيقى ألفاظه، وكأن الناس لا يقرءونه بأبصارهم في الصحف، بل يقرءونه أو يسمعونه بآذانهم على طريقة القدماء، قبل أن تتحول القراءة من السمع إلى البصر. فما أشبه أدبه فى عباراته الرصينة المنغمة بالآنية المزخرفة، وإن قل ما تحمله هذه الآنية من زاد للعقل أو الفكر، بما عرضه للانتقاد، ولكن الواجب على النقاد أن يقيسوا الأديب بمقاييس عصره وظروف بيئته وألا يحكموا عليه بمقاييس عصر تال له، وخاصة أن المنفلوطي قدم لمصر وللعالم العربي آثارا أدبية بارعة كانت المثل الأعلى للشباب فى إنشائهم وصقل أساليبهم(٦).

ومن آثاره الأدبية: **النظرات**، وتقع فى ثلاثة مجلدات، وهى مجموعة كبيرة من المقالات

الاجتماعية التي نشرها المنفلوطي في أوائل القرن الماضي بجريدة المؤيد التي كان يحررها الشيخ علي يوسف، وهذه المقالات تمتاز من حيث الشكل بالأسلوب النقي الخالص من شوائب العامية، وأساليب السجع الملتوية؛ **والعبرات**: وهي مجموعة من القصص بعضها موضوع وبعضها مترجم، صاغه المنفلوطي بأسلوبه، بعد أن ترجم له من بعض أصدقائه، إذ أعطى لنفسه الحرية في التحوير والتصرف في الصياغة، وقد أشار في عبراته إلى الموضوع منها والمترجم.



كما مصّر المنفلوطي العديد من الروايات الفرنسية المترجمة مثل: «ماجد ولين» أو «تحت ظل الزيزفون» لألفونس كار، و«بول وفرجيني» لبرنا ردين دي سان بير، التي مصّرها تحت عنوان: الفضيلة، والشاعر أو «سيرا نودي برجراك» لأدمون روستان، «وفي سبيل التاج» لفرانسو كوبيه.

وله أيضاً مختارات أدبية انتقاها من عصور الأدب المختلفة، إلى جانب بعض القصائد الشعرية القليلة التي لا تتجاوز في مجموعها سبعمائة بيت، تنوعت أغراضها بين المدح والرثاء والهجاء والاستعطاف، إلى جانب الشعر السياسي والاجتماعي والقصصي، وقد حاول فيها السير على نهج القدماء في التركيب والصورة، إلى جانب معارضته لبعض القصائد القديمة. ويعود قلة إنتاجه الشعري لانشغاله بفن المقالة والقصة دون التفرغ للشعر، حتى عرف ناثراً أكثر منه شاعراً، وبالنثر وحده لا بالشعر كانت شهرته[٧].

---

* أستاذ علم اللغة المساعد بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة أسيوط.

(١) انظر ترجمة في الإعلام ١٤٢/٨ ومعجم المؤلفين ٢٧٢/١٢-٢٧٣ ومعجم المطبوعات ١٨٠٥/٢ وتاريخ الأدب العربي للزيات ٤٦٠ ووحي الرسالة ٣٨٥/١ والأدب العربي المعاصر ٢٢٧ والموسوعة العربية ٢٧١/٢٤

(٢) وحي الرسالة ٣٨٦/١.

(٣) وحي الرسالة ٣٨٨/١.

(٤) السابق ٣٩٠/١.

(٥) الأدب العربي المعاصر ٢٣٠-٢٣٢.

(٦) السابق ٢٣٣.

(٧) انظر الإعلام ١٤٢/٨ ومعجم المطبوعات ١٨٠٥/٢ ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢٧٢-٢٧٣ وتاريخ الأدب العربي ٤٦٠-٤٦٢ والموسوعة العربية العالمية ٢٧٩/٢٤-٢٨٠ والأدب العربي المعاصر ٢٢٩ ووحي الرسالة ٣٩٠/١.

القراءة الرقمية
في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال

■ حسام عبدالقادر*

إن الحصول على المعرفة هو دائماً الشغل الشاغل للإنسان منذ بدء الخليقة، فقد عرف الإنسان أن وجوده بجانب غذائه يعني قدرته على البقاء، ثم تعرف أن الوقود والطاقة هى الأهم، وبها يمكنه شراء غذائه، ثم جاءت التكنولوجيا الهائلة فى جميع المجالات، لتسيطر على الإنسان وتجعل من يمتلك قدرا من المعرفة بالتكنولوجيا، يستطيع أن يسيطر على العالم من حوله.. هذه المعرفة التى حيرت الإنسان قام بتجميعها من المعلومات البسيطة ومن ثم المعقدة، ثم استخدمها الاستخدام الصحيح ليبقى، والقراءة الوسيلة الأساسية للحصول على المعرفة، فبدونها لا يمكن التواصل مع الآخرين، ولا يمكن إقامة أي نوع من أنواع الاتصال الجماهيرى، إلا أن القراءة اختلفت باختلاف التكنولوجيا، فبعد أن كانت القراءة تتم بالشكل التقليدى من خلال كتاب مطبوع أو صحيفة، تحولت الآن إلى قراءة رقمية، تجري من خلال وسائط تكنولوجية متعددة مثل: الكمبيوتر، والموبايل، والكتاب الإلكتروني.

بل إن طبيعة المادة المقروءة أصبح لها أشكال متعددة مثل:

الكتاب الإلكتروني: وهو جهاز مستقل يعد كمبيوتراً صغيراً جداً في حجم كف اليد الواحدة، ويحمل كتاباً أو عدة كتب، يسهّل للمستخدم طريقة التصفح والبحث داخل هذا الكتاب

الرسائل الإخبارية على الموبايل SMS: والتى تجلب عناوين الأخبار من خلال خدمة التزويد بالأخبار وهى تتم باشتراك شهرى.

الرسائل الأخبارية على الإيميل: وتتم باشتراك أيضاً ولكنه غالباً مجانى، ومن خلاله تأتى رسالة يومية أو أسبوعية أو شهرية -على حسب الموقع المزود بالأخبار - بكل الأخبار التى تهم مستخدم هذا الإيميل؛ فهو يحدد نوعية الأخبار التى يريد أن يعرفها بشكل دورى سواء رياضية أو فنية أو ثقافية... الخ.

أيضاً هناك القراءة على شبكة الإنترنت مباشرة من خلال زيارة المواقع الإلكترونية المختلفة، وهي تتيح كما هائلا من المعلومات والمعرفة للقارئ، يمكنه الاطلاع عليه بكل سهولة.

إن عناصر القراءة الرقمية كلها محفزة للتشجيع على القراءة، على عكس ما قد يظن بعضهم، فبعد أن كان الفرد يذهب ليشترى الصحيفة أو الكتاب ليتعرف على خبر جديد أو موضوع أو متابعة حدث أو قراءة رواية جديدة، أصبح كل هذا فى متناول يديه من خلال جهاز الكمبيوتر واتصاله بالشبكة العنكبوتية، وبعد أن انخفضت معدلات القراءة فى منتصف الثمانينيات حتى منتصف التسعينيات كثيرا.. ارتفعت هذه المعدلات مرة أخرى وبشكل هائل، ولكن فى صور وأشكال مختلفة عما كانت عليه من قبل.

وقد يكون معدل شراء الكتب المطبوعة فى نقصان، وقد تشتكى بعض الصحف من سوء التوزيع بسبب قلة الشراء.. إلا أن كل ذلك مجرد عوامل اقتصادية غالباً ما تمنع المشتري من القيام بعملية الشراء، وفى المقابل اتجه هذا المشتري إلى الوسيلة الأسهل والأرخص، وهى «القراءة الرقمية» من خلال الوسائط المتعددة التى ذكرناها.. خاصة أن هناك سهولة ويسر فى قراءة المادة التى يريدها.. فهناك خصائص عديدة تميز القراءة الرقمية مثل:

رخص سعرها: وتكاد تكون مجانية فى ظل سهولة الاتصال بشبكة الإنترنت.

سهولة الاستخدام والتصفح: ويمكن للقارئ أن يطلع على المادة التى يريد قراءتها وتصفحها فى سهولة ويسر واختيار الفقرة التى يريدها، بل يمكنه حفظ المادة على حاسبه وقراءتها فى الوقت الذى يريده.

سهولة البحث: إذ يمكن للقارئ أن يقوم بالبحث عن الجزء الذى يهمه فقط من المادة التى يريدها ويركز عليه.

تنوع المصادر فى المادة المقروءة: وخاصة مع المواضيع والتقارير الإخبارية، إذ يمكن للقارئ الإطلاع على نفس الخبر من عدة مصادر صحفية فى الوقت ذاته؛ ما يؤكد له صحة الخبر من عدمه إضافة إلى تفاصيله

كلها.

المشاركة والتعرف على ردود الفعل:

وهى ميزة مهمة حيث يمكن للقارئ أن يقرأ المادة ويعلق عليها، كما يمكن التعرف على باقى التعليقات.

إن ما تتطلبه القراءة الرقمية غالباً هو وجود جهاز «Hard ware» سواء كان هذا الجهاز حاسباً آلياً، أو جهازاً للكتاب الإلكتروني أو الموبايل، ثم وضع البرامج التى تتيح التصفح فى المادة المقروءة بعد ذلك.

إلا أن هناك خلافا دائما ومشتداً بين فريقين حول تأثير الوسيلة الإلكترونية على الوسيلة المطبوعة من كتب وصحف، وهل ستنهي الوسيلة الإلكترونية الوسيلة المطبوعة، وكما أعلنت من قبل وأكرر أن ظهور وسيط إعلامى جديد لا يمكن أن ينهي الوسيط الموجود أو الوسائط السابقة، بل يضيف مكاناً جديداً وموقعاً وسط الوسائط المختلفة مثلما حدث مع التليفزيون الذى لم يقض على الإذاعة، ومع السينما التى لم تقض على التليفزيون ومع الفيديو وهكذا..

ومن ثم فإن الكتاب المطبوع والصحيفة المطبوعة لن تختفى، ولكنها - فى رأيي - ستكون فى المستقبل مجرد وسيط إعلامى له وظائف محددة، لن تكون مثل وظائفها الآن.

تأثير التكنولوجيا على طبيعة القراءة

لقد صاحب وجود التكنولوجيا الهائلة تأثير كبير على طبيعة القراءة نفسها نورد بعضه:

١- اختصار المادة المقروءة: مثلما نرى حاليا فى الرسائل الإخبارية حيث يتم الاكتفاء بعنوان الخبر فقط، وذلك فى SMS، وفى شرائط الأخبار بالمواقع الإلكترونية الإخبارية والفضائيات. فلم يعد هناك وقت للقارئ لقراءة مادة إخبارية مطولة عن أى موضوع، فهو يريد معرفة نتيجة مباراة مثلاً دون الخوض فى التفاصيل وطريقة اللعب، ولمن يريد التعرف يمكنه الإطلاع والتصفح لمزيد من التفاصيل.

الأمر نفسه أثر أيضا على الإبداعات من القصص والشعر والروايات، فأصبحت القصيدة قصيرة، وظهرت القصص القصيرة جداً، كما يقل حاليا كتابة الروايات إلى حد كبير، والمكتوب منها صفحاته أقل كثيرا عما كنا نقرأ فى الماضي.

٢- الأخبار والمقالات الصحفية أصبحت تستخدم الجمل القصيرة والسريعة إضافة إلى قلة عدد الكلمات عما كان يتم من قبل.

٣- ظهور التقنيات الحديثة المساعدة على القراءة مثل استخدام برامج الجرافيك المتنوعة التي ساعدت فى إضافة عوامل جذب للقارئ.

٤- استخدام خاصية الروابط Links فى الفن القصصى مثلما قام به الدكتور محمد سناجلة رئيس اتحاد كتاب الإنترنت العرب فى نظريته عن الأدب الافتراضي، وإستخدام برامج وصور تساعد القارئ على تخيل الجو الذى يعيش فيه بطل القصة أو الرواية، وهو ما طور من القراءة وأضاف إليها، وجعل القارئ يعيش داخل ما يقرأ ويتفاعل معه.

* كاتب وصحفي من مصر.

مقاربة حول عوالم الروائي السوري حنا مينه
زوربا الروائيين العرب

■ عمران عزالدين أحمد*

ربّما كان لقراءة الكِتَاب الأول، لكاتب ما، سطوة لا تقل تأثيراً وسحراً وحساسية، عن تلك المرحلة العمرية المبكرة، التي أتمّ فيها ذلك القارئ قراءة ذلك العمل، أعني.. المرحلة العمرية التي يكون فيها الوعي قد بدأ يشهد بواكير النضوج/ الارتقاء نوعاً ما؛ ثمَّ يأتي ذلك العمل، لذلك الكاتب، ليعلن انقلاباً على روتين ذلك القارئ، طقوسه القرائية والحياتية. بعد ذلك يتمحور الانقلاب الذي أُستمد من ذلك العمل الإبداعيّ، في تغيير ومحو شبه كليّ للقناعات، والأحلام، والأهداف المبتغاة والموضوعة نصب العين.

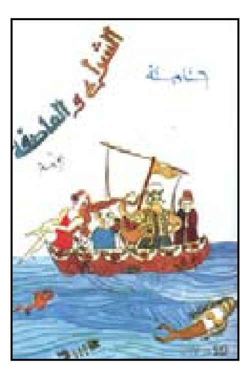
هكذا باختصار تتناسل/ تتكاثر الأعمال العظيمة، التي تحدث ثورة ما، في رسم وتشييد معمار سيرة ذاتية، لقرّاء انقادوا مصادفة، إلى قراءة أولئك الكُتَّاب، وقراءة أعمالهم!

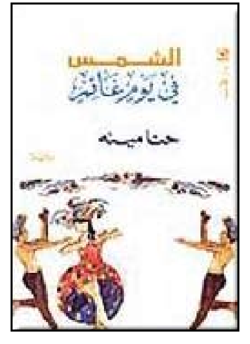
لا يختلف قارئان/ كاتبان/ وربّما ناقدان، حول المكانة المهمة، بالغة الخصوصية، التي يحتلها الروائي السوري «حنا مينه» في المكتبة الثقافية والإبداعية، السورية والعربية، على حد سواء؛ إذ ارتبط اسمه باسم الروائي المصري «نجيب محفوظ» في أكثر من محفل ومعرض، فهما علامة فارقة في نقل الأدب العربي الحديث عامة، والروائي على وجه الخصوص، من التقليدية والرتابة، إلى حداثة مرتكزة على التراث، بجمالية فنية موظفة، لم يسبقهما إليها كاتب في ذلك.

تتلخص روايته «الشراع والعاصفة»

بجملة أوكلها السارد/ الروائي إلى بطل الرواية، اختار للأخير اسم «الطروسي»، وهذه الجملة هي: «إن الحياة كفاح في البحر وفي البر»، رافقتني هذه الجملة المعبرة طويلاً، ما زلتُ حتى اليوم أقرأ جديده، دون أن تفارقني تلك الدهشة، دهشة القراءة الأولى لأعماله. فهذا الروائي الذي تميز بأسلوبه المغرق في الواقعية - إذ إنه من كُتَّاب المدرسة الواقعية، المعنية بدراسة حيثيات الواقع الاجتماعي الموصوف - اتخذ من المحلي واليومي واللحظي، مواداً ولبنات لأفكاره ومشاريعه الإبداعية، وفق تصوير بديع، لمجريات أبطال رواياته وأحداثها، وما اللغة العامية التي استعان بها ولجأ إليها في بعض رواياته - كما في روايته «الولاعة» - إلا تأكيدٌ على انتماء/ إخلاص هذا الروائي لهذه المدرسة، أعني المدرسة الواقعية، فقد حفلت هذه الرواية بجمل عامية من قبيل: «الخناقة» و«زعق» و«طرمخة الرأس» و«شوربوكة».







كتب مينه القصة في بدايات مشواره الأدبي؛ ففي قصة له بعنوان «النار بين أصابع امرأة» يسرد كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين قصة إشكالية، بطلها «أيهم القمطور»، الذي هاجر إلى بودابست واستأجر غرفة في بيت يتألف من ثلاثة طوابق، ثمّ دفع أجرة شهر كامل مقدماً، وجلس على حقيبة سفره، التي تحتوي على ثيابه وكتبه، دون أن يبرح مكانه. تطرق مينه في تلك القصة بأسلوب فلسفي إلى جدلية الاستقرار، فاتخذ من الغرب والشرق موضوعاً للمقارنة، الشرق اللامستقر بطابعه المُحَافِظ/ المُستهلَك والمُستهلِك، وانحلال القيم وتفسخها في غرب فضولي صاخب، يشكّ في كلّ شيء، كما في اقتحام «غبريلا انداش» مالكة الغرفة، لخَلوة «أيهم القمطور» التي راحت تسأله: لماذا تجلس على حقيبة سفركَ؟! فيرد عليها: حتى لا تهرب الأغراض منها!

ونقرأ في قصة أخرى له بعنوان: «الكتابة على الأكياس»، كيف صوّر لنا تلك الظروف الصعبة التي ميزت طفولته، وكيف أنه كان صبياً نحيلاً، نتيجة سوء التغذية، بحيث أنه لم يكن قادراً على القيام بعمل يستلزم قوة بدنية/ جسدية، وعندما قصد الميناء، كي يدخر مصروفاً لمساعدة عائلته المُعدمة مادياً، شعر بالحزن والأسى، لأنه اكتشف عدم قدرته على رفع الأكياس، وكانت معرفته بالكتابة فرصة ليكلف من قبل «المعلم» بكتابة بيانات على الأكياس، مقابل مبلغ مادي، ساعده بشكل أو بآخر، في تغطية نفقات العائلة. ويذكر مينه إنه حين التقى بـ «معلمه» في دمشق بعد مرور سنين طويلة، وكان بصحبة صديق يعرف كليهما، قال ذلك الصديق للمعلم: إن حنا كاتب معروف اليوم. فقال ذلك الرجل/ المعلم: نعم، أعرف ذلك. لقد بدأ الكتابة عندي، على الأكياس!

يشكّل الحب مفهوماً مركزياً في أدب مينه،

الذي أحب عوالم ديكنز وبلزاك ومكسيم غوركي وهمنغواي، لكنّ هذا المفهوم يتخذ مُرتسمات/ إحـالات مختلفة، يشمل مفاهيم وتعبيرات مُتعددّة، قد تبدأ بحبّ الأرض/ الوطن، ولا تنتهي عند أشكال التراحم المُتباينة، وقد وصل بالمرأة والبحر إلى سدة الكُتَّاب العالميين، إذ يمكن تقسيم عوالمه الروائية تحت هذين البابين: المرأة والبحر. لكن قبل الشروع في شرح هذين البابين، كان صاحب «الشراع والعاصفة» قد قال في حوار معه: «لو خيّروني بكتابة كلام فوق شاهدة قبري، لاخترتُ هذه العبارة: المرأة، البحر، وظمأ لم يرتوِ»!

والسؤال هو: لماذا اتخذ مينه من هذين البابين، أيّ البحر والمرأة، ليسرد علينا تالياً كلّ ما يتعلق بهما، بمدهما وجزرهما، بتشعباتهما وتفرعاتهما، تحليلاً وتأويلاً واستنطاقاً؛ ثم ينطلق منهما إلى الحديث عن موضوعات أخرى، تاريخية وراهنة، مهمشة ومحورية ومفصلية؟ ما هي تلك العلاقة الجدلية والإشكالية التي تربط بينهما، وأيّ تشابه بين هذين العالمين؟ لماذا لم يقابل مينه الأنثى/ المرأة التي كتب عنها بـ الذكر/ الرجل مثلاً؟ لماذا كتب عن المرأة بكل ذلك الحب والجنون المُعقلن، ولماذا اشتغل على البحر؟ ما الذي يربط بين المرأة والبحر؟ أثمة نقاط للاختلاف والالتقاء بينهما.؟ أتشبه عوالم البحر في شيءٍ ما عوالم الرجل مثلاً، لتتقابل تلك العوالم مع عوالم الأنثى/ المرأة؟

حسبنا هنا أن نستشهد بما قاله في هذا الصدد: «إذا نادوا: يا بحر! أجبتُ أنا! البحر أنا، فيه وُلِدتُ، وفيه أرغب أن أموت»؛ لكن في الجانب الآخر، لا يخفى ما لتلك العوالم المستمدة من المرأة والبحر في أدب مينه، تلك التأثيرات والامتدادات التي ولجها، وهو يتصدى لقضايا مصيرية مهمة جداً، فهو عندما كتب عن المرأة الأم والعشيقة والزوجة والمناضلة والماجنة والمشردة والمكبوتة والمقموعة، ومنها: «ماريا» في «الشراع والعاصفة»، و«زنوبة» في «بقايا صور»، و«شكيبة» في «الياطر»، و«فروسيا» في «الولاعة». كان يؤرخ بذلك لمنعطفات ومراحل تاريخية مفصلية. لقد حاول رصد الحياة في كليتها.. في حركتها، لكن ليس من موقف المُتفرّج، بل من موقع المُتأمّل/ النابش فيها بعمق، فارتقى بالرمز إلى مرتبة المُعادل الموضوعي للواقع في أسّه العميق.

يقول الكاتب السوري «شوقي بغدادي» في المقدمة التي كتبها لروايته «المصابيح الزرق» قائلاً: «يسجل لمينه قدرته على «إذهال القارئ» ومفاجأته، رغم أن ما يقدمه في رواياته هو مظاهر الحياة اليومية البسيطة لأناس بسطاء. وهو بذلك يلعب على وتر متميز داخل نفسية القارئ الذي تفترض بعض نظريات الأدب، إنه «يمارس نوعاً من التعليق لنزعة عدم التصديق» (suspension of disbelief) من أجل أن يتفاعل مع الأدب الذي يفترض أنه يدرك أنه وإن كان واقعياً.. فإنه غير حقيقي.» في حين يأخذ عليه نقاد آخرون أنه متعاطف مع أبطال أعماله، الذين غالباً ما يكونون عمالاً، يتحلون بالحكمة وكلامهم موزون وصائب دائماً».

يمكن القول حسب مصطلح «لوكاش» عن البطل الإشكالي روائياً، إن أبطال روايات مينه إشكاليون بدرجة أو بأخرى، وبنسب متفاوتة، تتصاعد درجة/ قوة الإشكالية وفق المهمة التي يوكلها الراوي لبطل العمل، ذلك أن أبطاله لا يكتفون بالبحث عن القيم في وسط مُنحل فحسب، بل يعيشون تلك القيم، ينافحون عنها أيضاً، يطمحون إلى بناء كليّات جديدة، يُحلونها

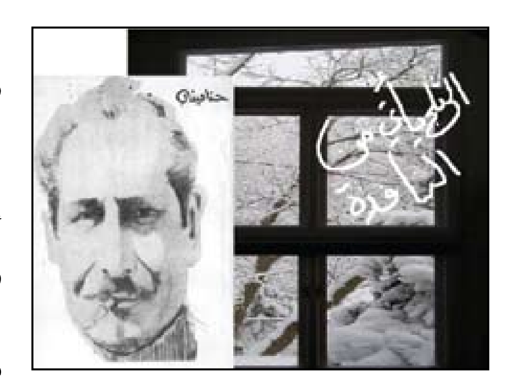
محل بنى تقليديّة مُتداعية. فمينه يحاول الارتقاء بالمحسوس والمعيشي، إلى صعيد روحي يتخلص من الظرفي والعابر، ليقبض على ما هو متخط للزمني والتاريخي، حتى وإن كان تطور الأحداث، وسلوك الشخصيات، كثيراً ما يكون قابلاً للتنبؤ، لكنه ينجح في إضفاء أبعاد غير متوقعة على شخصيات رواياته، أحياناً تكون مقنعة، وفي أحيان أخرى تبدو مثالية.

الرواية بهذا المعنى تشكل إطلالة على ضمير الآخر، فهو يرسم وجوه أبطاله.. ويعايش واقعهم، يرصد حركة الوعي الجماهيري. تمثل أعماله حالة خاصة من الإبداع الروائي السوري، وخصوصيته تنبع من تجسيده لعموم أصناف الحياة، ومعماره الفني الروائي يتشكل حجرة حجرة دون أن ينفك عن أرض الواقع. ولأنه كتب بصدق عن البحر والميناء والمرأة والغابة والكهوف والجبال، ساخراً من الحياة، متباهياً بكل المهن التي زاولها، فإن أعماله الروائية التي استفادت منها السينما والتلفزيون، حققت أفلاماً ومسلسلات، تابعها المشاهدون بشغف وحب واهتمام، ما يعكس قوّة وجاذبية تلك الروايات.. ما يؤثر في حياة الناس ووعيهم على السواء، كما في روايته «نهاية رجل شجاع» التي مثلت كعمل درامي على الشاشة الفضية، وفيها مفيد الوحش قام بالدور سعد مينه وأيمن زيدان الذي يشب عن الطوق، يتمرد على عادات وتقاليد فيها من الظلم الكثير، كعادة دفع «الأتاوات» للمعلم والعمل لخدمته مثلاً، تتطور/ تتدرج شخصيته، ليصبح رجلاً قوي البنية، شجاعاً، يهابه المعلم وعمال الميناء، إلى أن يصاب بداء السكري في السجن، ليؤول به المطاف إلى رجل مُقعد على كرسي متحرك، وبائعٍ للدخان في كشك صغير.

فالسر في إقبال القارئ على قراءة/ متابعة أدبه، هو ابتعاد الكاتب عن تأطيره وتقعيده في قالب معين، فهو لا يكتب للنخبة والطبقة المثقفة فقط، بل يكتب لكلّ فئات المجتمع وشرائحه، أبطال رواياته أناس حقيقيون، دماً وروحاً وفكراً وأصالة. يقول مينه في هذا الصدد، شارحاً هذا المعنى:

«لقد فكّرتُ منذ قرأتُ عمر الفاخوريّ، في الأربعينيات، كيف يكون الأديب من لحم ودم، وليس من حبر وورق، وأدركتُ ألاَّ شيء يجعل الأديب حيّاً، مثل أن يُباشر الأحياء، ويخرج من وحدته البودليريّة التي لا تتيح سوى السقم والأشباح، وأنّ التجربة وحدها بأوسع وأعمق معانيها، بكلّ أخلاقيّتها، ولا أخلاقيّتها، هي التي تكسو هيكل الأديب باللحم وهي التي تجعل الدم يجري في شرايينه، وبذلك تُؤهِّله لأن يكون خالقاً حيَّاً، يخلق شخوصاً أحياء، يعيشون بيننا، ويتنفّسون هواءنا، ويكونون صورة عنّا، حتّى إذا عايشناهم في الكتب قُلْنا: هؤلاء هم نحن».

حنا مينه الذي فاجأ الساحة الأدبية والثقافية بوصيته، التي كتب فيها: «عندما ألفظ النفس الأخير، آمل، وأشدد على هذه الكلمة، ألا يُذاع خبر موتي في أية وسيلة إعلامية، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، فقد كنتُ بسيطاً في حياتي، وأرغب بأن أكون بسيطاً في مماتي، أعتذر للجميع، أقرباء، أصدقاء، رفاق، قراء، إذا طلبتُ منهم أن يدعوا نعشي، محمولاً من بيتي إلى عربة الموت، على أكتاف أربعة أشخاص مأجورين من دائرة دفن الموتى، وبعد إهالة التراب عليّ، في أي قبر متاح، ينفض الجميع أيديهم، ويعودون إلي بيوتهم، فقد انتهي الحفل، وأغلقت الدائرة.لا حزن، لا بكاء، لا لباس أسود، لا للتعزيات، بأي شكل، ومن أي نوع، في البيت أو خارجه، ثم، وهذا هو الأهم، وأشدد:



لا حفل تأبين، فالذي سيقال بعد موتي، سمعته في حياتي».

هو ذاته الذي نال عدة جوائز سورية وعربية وعالمية، ومنها جائزة «سلطان بن علي العويس الثقافية» عن مجمل أعماله عام ١٩٩٠م، ووسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة عام ٢٠٠٥م، وكتب كماً كبيراً من مقالات ودراسات نقدية، نشرتها له كبريات الصحف العربية والعالمية، كما كتب ما يربو على الثلاثين عملاً روائياً، كان قد استهل مشروعه الروائي برواية «المصابيح الزرق» عام ١٩٥٤م، ثمَّ تتالت بعد ذلك أعماله الروائية ومنها: النجوم تحاكم القمر، القمر في المحاق، بقايا صور المستنقع، حيث نتعرف في هذه الروايات إلى الطفل الذي جاء مع أسرته من لواء اسكندرونه إلى اللاذقية، ليعمل في مهنٍ صعبة مثل صبي حلاق، ومصلّح دراجات، وبحّار، حيث سيتعرف إلى حياة الصيادين والبحارة في الميناء، ليكتب رواية البحر في مغامرة سردية متجاوزة. أما آخر رواية له، فقد صدرت حديثاً تحت عنوان «عاهرة ونصف مجنون».

ما يميز روايات مينه هو كل ما تقدم من عوالم، فأدواته الروائية الثرية نجحت في رصد الواقع الاجتماعي، بأنسجته الحياتية المتداخلة، بلغة شعرية شفيفة، بالجرأة في الطرح، والحيادية التامة، من خلال الصدق في نقل المعلومة أو الواقعة المروية، ومن ثم صدق الملابسات التي أحاطت بها على المستويين الواقعي والفني. وإدانتها لكلّ ما يسئ إلى الإنسان والقيم، بسعيها الحثيث إلى تناول القضايا المصيرية العالقة، ذات البنية الإشكالية، قضايا الانتماء للأرض والوطن، قضايا الحب والغيرة والشباب والمرأة والعلاقات الأسرية. بالاشتغال على المحلي، التراث والفلكلور، بإثارة الأسئلة، أسئلة الوجود الكبرى، وتصديره بقالب جمالي وفني رفيع، من خلال الصدق الفني والأداء المبهر، بمغافلة القارئ وإدهاشه وإذهاله، إضافة إلى لغته الروائية الهادرة ذات البعدين الرمزي والواقعي، حتى إنه سُئِلَ عن مصدرها، ومن أي الكتب/المدارس أخذها، فكان يجيبهم «روائي البحر» و«بلزاك الرواية السورية» و«زوربا الروائيين العرب» وغيرها من الألقاب التي أطلقها عليه العديد من النقاد السوريين والعرب، قائلاً:

«لا أدري، أنا لم أبذل جهداً، لم أتعب، لم أتلقّ دروساً عند أستاذ، لغتي مثل حظي، مكافأة من السماء».



* كاتب من سوريا

قراءة في قصيدة (لا تعذليه) لابن زريق البغدادي

■ نورا علي*

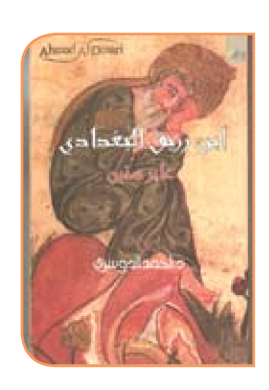
يقال «أكثر من اللقاء فإن الفراق حاصل».

قصيدة الشاعر العاشق المحروم ابن زريق البغدادي.. قصيدة لا تشبه القصائد، بل أشبه بموشحات تصب في القلب تراتيل الحزن، ترسل نغمًا جنائزيًا يحرّك وجدان الوله، تمنح الحزن من كل الدروب، وتصبها في أوردة القلب، وشرايين الجسد، إذ تصوّر الوجع القابع في أقاصي الروح.

تم له اللقاء والوصل. لكن ضيق العيش وقف حائلا بينه وبين حبه، وأبت نفسه الطموحة إلا أن يكون في أجمل صورة، وأحسن حال في نظر من يحب، وأراد أن يكون لقاؤه به في سعة ورغد من العيش.

آثر البعد باحثا عن الرزق حتى ينعم بالقرب، دون منغصات العوز والحاجة، لكن غاب عن ذهنه أن الليالي لا تعي ما يريد، ولا تأبه بحاله وآماله، ولا يعنيها أمر عشقه ووله، حتى..

حَتّى جَرى البَينُ فِيما بَينَنا بِيَد
عَسراءَ تَمنَعُني حَظّي وَتَمنَعُهُ



كان يراوده خوف من حين لآخر من أحداث الدهر وصروفه، لكنه لم يحسب لذلك حسابا فيقول:

قَد كُنتُ مِن رَيبِ دهرِي جازِعاً فَرِقاً
فَلَم أَوقَّ الَّذي قَد كُنتُ أَجزَعُهُ

ويحدّث نفسه ليلتمس لها العذر، فقد أحسن الظن بالأيام، ولم يتوقع غدرها فيقول:

ما كُنتُ أَحسَبُ أَنَّ الدهرَ يَفجَعُني
بِهِ وَلا أَنَّ بِي الأَيّامَ تَفجعُهُ

يذكرني حاله هنا بحال المتنبي حينما فارق من يحب، لطلب السعة في الرزق، لكن الفراق (الموت) كان أسرع بالعود منه، إذ يقول في القصيدة التي يرثي فيها جدته:

طلبت لها حظا ففاتت وفاتني
وقد رضيت بي لو رضيت بها قسما
بكيت عليها خيفة في حياتها
وذاق كلانا ثكل صاحبه قدما
ولم يسلها إلا المنايا وإنما
أشد من السقم الذي أذهب السقما
وكنت قبل الموت أستعظم النوى
فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى

وهذا الحال ينطبق على ابن زريق، إذ إن أشد من سقمه (الفقر) الذي أذهب السقم عنه (الموت)، وأصبح الفقر الذي كان الهم الأكبر، هو الأصغر، مقارنة بالفراق الأبدي (الموت).

ما أجمل النديّة في الحب..كم من عاشق ذاب وجدا وحنينا..من جراء هجر الحبيب وصده. فهذا قيس بن الملوح (مجنون ليلى) يقول:

فيا رب سوِّ الحب بيني وبينها
يكون كفافا لا علي ولا ليا
وإلا فبغّضها إليّ وأهلها
فإني بليلى قد لقيت الدواهيا

ويقول العباس بن الأحنف:

متى يكون الذي أرجو وآمله
أمّا الذي كنت أخشاه فقد كانا
يا ليت من نتمنى عند خلوتنا
إذا خلا خلوة يوما تمنانا

ابن زريق عافاه الله من مؤونة حب من طرف واحد، فقد أعطاه ما لم يعط غيره.. حبيبا يماثله الحب ويبادله المشاعر، يأنس بقربه، ويشقى لبعده. وفي هذه الأبيات يصف مشاعره وحاله، المتماثلين مع مشاعر وحال محبوبته.. حيث يقول:

بِمَن إذا هَجَعَ النُوّامُ بِتُّ لَهُ
بِلوعَةٍ مِنهُ لَيلي لَستُ أَهجَعُهُ
لا يَطمِئنُّ لِجَنبي مَضجَعٌ وَكَذا
لا يَطمَئِنُّ لَهُ مُذ بِنتُ مَضجَعُهُ
مَن عِندَهُ لِي عَهدٌ لا يُضيّعُهُ
كَما لَهُ عَهدُ صِدقٍ لا أُضَيِّعُهُ
وَمَن يُصَدِّعُ قَلبي ذِكرَهُ وَإِذا
جَرى عَلى قَلبِهِ ذِكري يُصَدِّعُهُ

لقد أراد ابن زريق أن يحيط هذا الحب بسياج منيع، ولا يترك ثغرة أو ثلمة قد يتسرب منها، وظن.. وصدق من قال «إن الظن أكذب الحديث»، إن الغنى والسعة تنقص هذه العلاقة، فصدّق ظنه وتبع حدسه، وساح في أرض الله الواسعة،، لكأنه مكلف بقياسها طولا وعرضا، فأخذ يذرعها:

كَأَنَّما هُوَ فِي حِلٍّ وَمُرتحلٍ
مُوَكَّلٌ بِفَضاءِ اللَهِ يَذرَعُهُ

وفي الأبيات التالية يبين ابن زريق اقتناعه بأن الأرزاق بيد الله سبحانه، وهو وحده المعني بتقسيمها بين عباده، ويؤمن بـ ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾، (سورة الذاريات).

لكن النفس الإنسانية جُبلت على الطمع والزيادة، ولا تقتنع بشيء فيقول:

قَد وَزَّع اللَهُ بَينَ الخَلقِ رزقَهُمُ
لَم يَخلُق اللَهُ مِن خَلقٍ يُضَيِّعُهُ
لَكِنَّهُم كُلِّفُوا حِرصاً فلَستَ تَرى
مُستَرزِقاً وَسِوى الغاياتِ تُقنُعُهُ
وَالحِرصُ في الرِزقِ وَالأَرزاقُ قَد قُسِمَت
بَغيٌ أَلا إِنَّ بَغيَ المَرءِ يَصرَعُهُ

وعلى الرغم من مرارة الفراق، واللوعة التي يخلّفها الوداع، إلا أنه أصر على الوداع طامعا في الزيادة، مع يقينه أن الحياة لا تصفو لمفارق أحبابه، ولا تطيب لمن نأى عنهم، فيقول:

أَلا أَقَمتَ فَكانَ الرُشدُ أَجمَعُهُ
لَو أَنَّني يَومَ بانَ الرُشدُ اتبَعُهُ
إِنّي لَأَقطَعُ أيّامي وَأُنفِقُها
بِحَسرَةٍ مِنهُ فِي قَلبِي تُقَطِّعُهُ

والبيت التالي كأنه تصديقٌ للمقولة الشائعة «الشخص المناسب في المكان المناسب»:

رُزِقتُ مُلكاً فَلَم أَحسِن سِياسَتَهُ





وَكُلُّ مَن لا يُسُوسُ المُلكَ يَخلَعُهُ

ويؤكد أنه بالشكر تدوم النعم، إذ يقول:

وَمَن غَدا لابِساً ثَوبَ النَعِيم بِلا
شَكرٍ عَلَيهِ فَإِنَّ اللَهَ يَنزَعُهُ

أن تفارق شخصا هو في الحقيقة شخصك.. ذاتك.. أن تبتعد عنه، يعني بتر بعض أعضائك.

لم يستطع ابن زريق العيش مبتور القلب، ففارق الحياة وهو يتأوه لأجل جزئه المبتور، ورسم تأوهاته شعرًا عذبا سلسا..

ويصور ابن زريق لحظة الوداع المريرة.. وكأنه وداع طفل لأمه التي لا يقوى العيش دونها، أو كأنك أمام نعش حبيب، تتشبث به في لحظات ما قبل الدفن..

وَكَم تَشبَّثَ بي يَومَ الرَحيلِ ضُحَىً
وَأَدمُعِي مُستَهِلّاتٍ وَأَدمُعُهُ

ما أقسى قرارك يا ابن زريق وما أشد عزمك على تنفيذه!

ليتك أذعنت لرغبة قلبك، ولم ترقّع شق الصبر فيه، حيث مل الصبر صبره، وباعترافك يا ابن زريق إذ تقول:

لا أَكُذبُ اللَهَ ثوبُ الصَبرِ مُنخَرقٌ
عَنّي، بِفُرقَتِهِ، لَكِن أَرَقِّعُهُ

ماذا تفعل إن كان كما يقولون (الشق أكبر من الرقعة)؟

أخذ ابن زريق يروّض نفسه على الصبر إذ لا ملاذ غيره فيقول:

لَأَصبِرَنَّ لدهر لا يُمَتِّعُنِي
بِهِ وَلا بِيَ فِي حالٍ يُمَتِّعُهُ
عِلماً بِأَنَّ اصطِباري مُعقِبٌ فَرَجاً
فَأَضيَقُ الأَمرِ إِن فَكَّرتَ أَوسَعُهُ
عَسى اللَيالي الَّتي أَضنَت بِفُرقَتَنا
جِسمي سَتَجمَعُنِي يَوماً وَتَجمَعُهُ
وَإِن تُغِلُّ أَحَداً مِنّا مَنيَّتَهُ
فَما الَّذي بِقَضاءِ اللَهِ يَصنَعُهُ

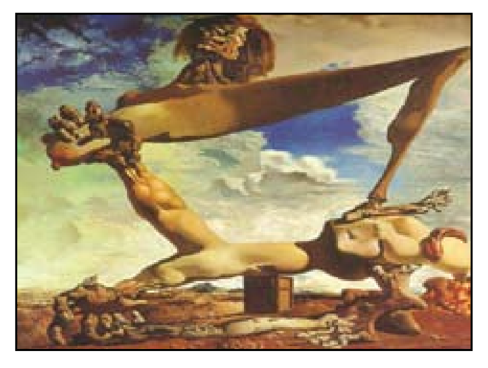
آه يا ابن زريق.. لم ترحم الليالي ضعفك، ولم تأس لحرمانك، وكانت عند سوء ظنك بها، فوقع ما كنت تحذر منه:

قَد كُنتُ مِن رَيبِ دَهرِي جازِعاً فَرِقاً
فَلَم أَوقَّ الَّذي قَد كُنتُ أَجزَعُهُ

لكن ماذا نستطيع حيال القدر، وكما قيل «إذا وقع القضاء ضاق الفضاء»، وليس بوسعنا إلا الخضوع والتسليم.

دمعة ساخنة

قضى ولم يقض من أحبابه أربا
صبٌّ إذا مرّ خفاق النسيم صبا



---

* القريات - الجوف.

...فيصل الخديدي
الإبداع والتجميد في حكايات من زمن الحب والجليد..
في عمق النسيان.. ثمة ما يستحق..

■ ليلى ايت سعيد *

لم يكن برترند راسل كاذبا حين قال صدقا أو اعتباطا: «في كل الأحوال، من الصحي بين الحين والآخر، أن تضع علامات استفهام على الأشياء التي كانت ثوابت على المدى الطويل».

حين نتأمل دواخل حياتنا الصغيرة جدا، والعميقة كثيرا، نجد أن كثيرا من الأشياء لا تستحق فقط علامة استفهام، بقدر ما تستحق علامة إلغاء وحذف.. أشياء اعتقدنا على المدى الطويل من عمر حياتنا الهستيري أنها أشياء ذات أهمية، أشياء تستحق ما تستحقه من ذلك الاهتمام، أو حتى أن نخصص لها ذلك الحيز المقدس من خط حياتنا المستقيم..

ولم يكن فيصل الخديدي كاذبا حين قال في تقديمه لمعرضه ثمة ما يستحق: «إن الإنسان متى ما هبت عليه رياح النسيان فإن الأثلجة والتجميد هما البديل لكل ما هو قيم..»

إن الملاحظ والمتفحص لتجارب الفنان فيصل الخديدي، والقائمة على عملية التجميد، يلاحظ أن ما تم تجميده ليس بالضرورة أشياء تستحق التجميد في واقع معين، لكن.. بقليل من التمعن، نكتشف أن ما يسعى الفنان فيصل إلى تجميده ليس ظواهر الأشياء، بقدر بواطنها. هل يحاول تجميد اللحظات السعيدة لكي لا تطير عبر رياح النسيان؟؟ هل يحاول أن يجمد المشاعر الجميلة التي تركها الإنسان تباعا في عالم الصدأ ورحل بعيدا؟؟ أم يحاول بكل بساطة اختراق هذا الواقع اللعين، الغبي، المستعصي على الإمساك.. والمنفلت من دائرة البؤساء..كما تنفلت الذكريات من الذاكرة في مرحلة عمرية ما؟؟

يحاول فيصل الخديدي من خلال

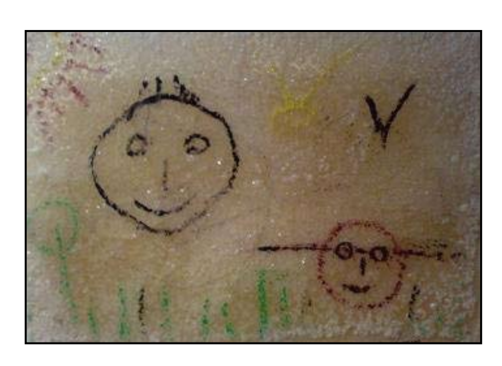
تجربته الجديدة القائمة على عملية التجميد، أن يعكس فكرة أساس، مفادها أنه بالفعل ثمة في عالم النسيان ما يستحق التجميد، بكل ما في التجميد من معنى، من خلال معرضه الشخصي الذي جاء مؤخرا تحت عنوان «ثمة ما يستحق»..

يضم معرض «ثمة ما يستحق» أفكارا جديدة وجميلة، فيها خليط من الاتجاهات التي تحس حين يأخذك النظر إليها، أنها لا تعكس إلا صورتك أنت، أو ربما لا تعكس إلا ذلك الجانب من حزنك الذي كنت تفكر طويلا كيف تتخلص منه.. ليأتي فيصل الخديدي بفكرة التجميد لأشياء، هي في العمق العميق تستحق التجميد.وعن طريق اللدائن البلاستيكية، ومادة بلاستيك يطلق عليها علميا أوفنيا «ريزن».. جاءت أعمال فيصل الخديدي معبرة عن كثير مما لا يمكن للنسيان أن يطويه بتلك السهولة والبساطة الممكنة..

الحفاظ على السعادة في ثلاجة: ثمة ما يستحق

تضم أعمال الخديدي تمردا على مستوى الفكرة، فهو حين يجمد اللعب، ويجمد صور الأطفال الصغار، وبالضبط صور أبنائه وألعابهم، نجده يحاول أن يجمد اللحظات الجميلة في الزمن، كي لا تنفلت منه- من الإنسان بصفة





عامة، لأن الإنسان مع مرور الوقت يبقى حنين العودة إلى مراحل طفولته أمرا يرافقه كل عمره.. من هنا، يمكن أن نستنتج محاولة فيصل للحفاظ على لحظات عمرية جميلة، وتجميدها زمنيا؛ فنجده يحاول ما أمكن تجميد اللحظات السعيدة، كي يعود إليها كل حين، حيث نراه يبقيها عالقة في الزمن، وفي الذاكرة، لا تمحى ولا تعرف النسيان؛ ومن ثم فان فيصل الخديدي هنا، يعمل على تجميد المستحيل، في زمن لا يعرف إلا أن ينطلق بسرعة نحو الأمام، متجاوزا -بسرعة البرق- كل اللحظات الطفولية الجميلة في حياة الإنسان.. تجميدا لمرحلة عمرية تستحق الذكرى والحنين.. والمتمعن للأعمال التي تصدح برائحة الطفولة، يكتشف أن فيصل يحاول أن يمتلك اللحظة، ويمارس عليها عملية أخذ معاكسة من الزمن، إنه يحاول أن يبقي ما يملكه ملكا له عن طريق تجميده.. والحفاظ عليه لأطول مدة ممكنة، بل وجعله لحظة خالدة ثابتة..لا يواريها الزمن بلحظات أخرى.

من هنا، نكتشف.. أو ببساطة القول، نستنتج أنه يعطينا طريقة جديدة لنحافظ على ما نملكه، إنه التفكير الذي يجعل ما نفرح من أجله ملكا لنا ولذاكرتنا.. مهما هرب الزمن وحاول جعل ما نملكه منفلتا من هذه الذاكرة.. فثمة ما يستحق التجميد في حياة الإنسان من أجل الإنسان نفسه.. ومن أجل لحظات سعادة قد لا يتبقى

الكثير من الوقت، حتى للمرور عليها مرور الكرام في عصر السرعة، ودموع التماسيح.

** قلوب تحترق برودة.. ثمة ما يستحق..

نبض.. نبض..»

ما يزال في العمر نبض

حين تكثر أكوام الركام وأعمدة الغمام، علي أن أعلم أن هنالك بعض من نبض السنين يتربع فينا..»

هكذا أخبرني فيصل حين سألته عن شيء ما، من سؤال ما، في حلقة ما من حلقات التجميد المتوالية..رجل الثلج يحاول جاهدا أن يبحث عن طريقة يجمد بها نفسه.. هنا وجدتني أتساءل بعيدا عن أعين فيصل المتطلعة إلى ما وراء الوراء، كيف يمكن للإنسان أن يجمد نفسه؟؟ لم انتظر الإجابة طويلا..لأني وجدتها في بقية أعماله..أو بالأحرى في بقية مجمداته، هذه المرة هو لا يجمد الأشياء من أجل أن يحافظ عليها من النسيان، وجدت أنه يجمد ما يجب عليه أن يجمد في قلب الإنسان وحياته، يجمد كل المشاعر الجميلة، تلك التي تحولت إلى ركام تذروه رياح اللامبالاة.. كيف نجمد قلوبنا الصغيرة، ونقول للآخر.. تعامل كما تشاء، فنحن صرنا كما نشاء؟؟ بل كيف وصل فيصل إلى هذه النوع من التجميد؟؟

حين تتمعن من جديد أعماله، تجد أنها عالم من المتناقضات المجمدة، المضغوطة في قالب بلاستيكي، إما يحميها أو يمنعها، كل عمل بحسب دلالته وأبعاده التي تختلف من وجهة نظر إلى أخرى. في أعماله تجد الحب يقابله الكره والخداع، ومشاعر أخرى مبهمة يصورها لنا من خلال العيون المجمدة، التي يمكن أن تكون مخادعة أو صادقة، ما يعني بذلك كومة من المشاعر الموقوتة التي تخبئها أعين، كالتي اختارها فيصل دالة على المعادلة..

نرى أيضا في مجموعة أعماله المجمدة، النسيان مقابل التذكر، في عملية تجميد اللحظات الجميلة لمراحل عمرية من حياة الإنسان. وبالضبط مرحلة الطفولة، ويمكن هنا أن نضيف إليها تجميد أشياء أخرى في مراحل العمر، قد لا تشكل بالضرورة جزءا من السعادة، لكنها خلقت بطريقة أو بأخرى، لحظات سعادة لذيذة؛ وهنا، يمكن أن أقول إني أتحدث عن تجميد البحوث والرسائل الجامعية، إضافة إلى تجميد المخطوطات والكتب، فلحظات الدراسة على الرغم من صعوبتها، تبقى لحظات يشتاق الإنسان إليها كل حين، أو كلما همَّ مثلا في عملية بسيطة بتقليب ألبوم الصور الذي يخبئه بإحكام في زوايا ذاكرته المنفلتة.

نجد أيضا في أعمال فيصل الخديدي الحديث مقابل التقليدي، في اللوحات التي جمدت فيها لوحات مفاتيح الحواسيب، مقابل تجميد الكتب والمخطوطات، حيت عصر التكنولوجيا صار يضغط كل ما هو ورقي بامتياز؛ كما نجد كذلك الغموض مقابل البراءة.. الغموض المتمثل في صعوبة معرفة نوايا الإنسان وبواطنه، هذا المخلوق الغامض بطبعه وطبيعته، والذي مثله من خلال مجموعة من الأعمال، كصورة الجيوكندة لدافنشي، هذه المرأة الخالدة التي لا تعرف إن كانت تبتسم في وجهك، أو تحقد عليك، إن كانت تبكي من أجلك، أو تبكي من أجل نفسها، إن كانت تنظر إليك، أو تنظر إلى غيرك، موهمة إياك أنها تنظر إليك..الخ؛ مجموعة من المشاعر والأحاسيس الغامضة، التي اختزلتها هذه اللوحة الشهيرة، ولعله الغموض



ذاته الذي يشكل طبيعة الإنسان، حيث يمكننا القول إن دافنشي قد أفلح في نقله، واختزاله بدقة غامضة في لوحة الجوكندة الخالدة.. والذي أفلح فيصل الخديدي في تجميده، محاولا بذلك تجميد مشاعر الإنسان، وتصرفاته الغامضة تجاه نفسه، وتجاه بني جنسه.. في مقابل البراءة بكل تشكلاتها التي صورها لنا من خلال مرحلة الطفولة، وتجميد اللعب والرسومات..

إن المتمعن لتجربة فيصل خالد الخديدي «ثمة ما يستحق»، يجده في كل مجمداته يحاول قدر المستطاع - بل وأفلح في ذلك عن جدارة - تجميد اللحظات الشعورية، بل وتجميد الحالات الإنسانية، إنه باختصار تجميد المشاعر في لحظات معينة، تجميد الخوف والفرح والبؤس..الخ، كلها حالات إنسانية تستحق التجميد، إما لحاجتنا إليها، أو لأنها تؤلمنا، ويجب التخلص منها بتجميدها، كل شيء في عالم فيصل الخديدي تجاوز المستحيل في عملية التجميد، كل شيء قابل للتجميد ما دامت الحياة على الأرض قد تعرضت للتجميد، في مرحلة سابقة من مراحل حياتها.. وعلى المتمعن لأعمال فيصل الخديدي أن لا يكون متمعنا وقارئا مسرعا، بقدر ما يجب عليه أن يكون بقليل من الذكاء.. سريع الفهم.

وبالتالي نلاحظ أن فيصل جمد شيئا يستحق التجميد في حياة الإنسان، أو بكل بساطة..نجد فيصل يحاول أن يوصل عن طريق مجمداته، فكرة مفادها أن القلوب الإنسانية تختلف، وأن ما يستحق التجميد أيضا يختلف من إنسان إلى آخر، شكل تعدد الأفكار، والطبائع، والأوجه، والمشاعر، والأقنعة التي يحب كثير من الناس ارتداءها في الأوقات الخطأ دائما..

في أعمال فيصل، نجده جمد أشياء كثيرة،



كتجميده الأوجه التي تحمل ذلك الحب المقدس، أو الحقد المقدس، أو حتى البراءة المقدسة...

فيما يجمده فيصل، يدعو المشاهد إلى أن يكون شاهدا ليس فقط ببصره، وإنما بأحاسيسه، وأنت حين تلمس أعماله، أو حتى تفكر بوضع يدك عليها، ينتابك شعور غريب، وكأن البرودة سرت في بدنك كله، تجد أن أعمال فيصل تقول ما قاله نتشه يوما: «لا يعجبنا الجيد حين لا نكون في مستواه، لكن بقليل من التمعن، نجد أن ما لا يعجبنا في الحقيقة هو السيئ، لأننا لا نستطيع أن ننزل إلى مستواه». هكذا هي أعمال فيصل، تجربة جديدة في عالم الفن، تقول إن ما لا يعجبنا في الحقيقة إن قسرا أو اعتباطا هو ما يستحق التجميد،

لكن ما يثير الدهشة وما يبدو جميلا في الموضوع أن كل شيء في عالم فيصل الخديدي قابل للتجميد، إن بمادة اللدائن البلاستيكية «الريزن أوفينا»، أو بأي طريقة أخرى، فقط لنكتشف أن في عالم هذا الفنان التشكيلي «الحب والجليد».. ثمة ما يستحق الحياة.. ثمة ما يستحق الذكرى، ثمة ما يستحق النسيان.. وثمة ما يستحق الحلم.. هل يمكن أن نجمد أحلامنا الجميلة، لنحافظ عليها، ونجمد كوابيسنا لننساها، أو لأنها فقط تستحق التجميد؟ ما المانع مادام كل شيء يستحق في عالم «ثمة ما يستحق»؟؟

* كاتبة من المغرب.

التورق في الإسلام ما له وما عليه

■ د. نضال الرمحي*



احتدم الجدل حول تحريم «التورق» بعد تأييد مجمع الفقة الإسلامي، الذي صدر مؤخرا، والذي دعا فيه المؤسسات والمصارف الإسلامية، إلى تشجيع القرض الحسن، وإنشاء صناديق له، وذلك لتجنيب المحتاجين اللجوء إلى «التورق».

ويذهب مجمع الفقة الإسلامي في رؤيته التي أطلقها في مؤتمر الشارقة، إلى التشديد على ضرورة التزام المؤسسات المالية والمصارف الإسلامية باستخدام صيغ الاستثمار والتمويل المشروعة، وتجنب الصيغ المحرمة والمشبوهة، والالتزام بالضوابط الشرعية. في الوقت نفسه الذي عاد فيه الخلاف حول رؤية إسلامية في «التورق»، بين عدد من العلماء في المصرفية الإسلامية، دعا أحدهم إلى إيجاد حلول شرعية حقيقية، والاستفادة من البدائل الكثيرة المتوافرة في فقه المعاملات، والاستعاضة بها عن «التورق» الذي تدعي فيه الكثير من البنوك أنه متوافق مع الشريعة الإسلامية.

معنى التورق

التورق هو شراء سلعة بالأجل، بسعر معين، ثم بيعها في السوق لغير بائعها نقداً، بسعر أقل، للاستفادة من النقد. وهذا جائز عند كثير من الفقهاء، ومنهم الحنابلة في المعتمد. وما تجريه المصارف الإسلامية -غالباً- يجري وفقاً لهذا القاعدة، والمحذور في هذه المسألة أن تستخدم هذه المصارف هذه العملية، كوسيلة لجدولة الديون.

إن التورق الذي تجريه بعض المصارف في الوقت الحاضر، هو: قيام المصرف بعمل نمطي، يتم فيه ترتيب بيع سلعة - ليست من الذهب أو الفضة - من أسواق السلع العالمية أو غيرها، على المستورق بثمن آجل، على أن يلتزم المصرف - إما بشرط في العقد، أو بحكم العرف والعادة - بأن ينوب عنه في بيعها على مشتر آخر بثمن حاضر، وتسليم ثمنها للمستورق.

ويعرّف «التورق» بشراء العميل طالب السيولة سلعة بثمن مقسط مؤجل من البنك، ثم بعد ذلك يبيع السلعة، ويقضي بثمنها الحاجة التي أراد من أجلها المال، وهو من

الأدوات المالية التمويلية التي شهدت جدلا واسعا بين عدد من الفقهاء في العالم الإسلامي. ويتم تطبيق «التورق» في عدد من البنوك، بهدف توفير السيولة النقدية لشريحة مهمة من عملاء المصارف، من خلال أداة تمويلية إسلامية، بدون تعريضهم لخسائر مالية كبيرة. والتورق كما يعرفه العلماء: (أن يشتري أحدهم سلعة بثمن مؤجل، ثم يبيعها نقداً بثمن أقل، ليحصل على النقد، فإن باعها إلى البائع نفسه فهي العينة المحرمة، وإن باعها إلى غيره فهو التورق).



د. يوسف الشبيلي

ويعرف مجمع الفقه الإسلامي التورق بـ(شراء سلعة مملوكة للبائع بثمن مؤجل، وتملك المشتري للسلعة وحيازتها، وبيع المشتري السلعة إلى غير البائع بثمن حاضر). أما اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتعرف التورق بـ(أن تشتري سلعة بثمن مؤجل، ثم تبيعها بثمن حال على غير من اشتريتها منه، بالثمن المؤجل؛ من أجل أن تنتفع بثمنها). ويشير كثير من المختصين اللغويين إلى أن الورق في اللغة هي الدراهم من الفضة، والتورق طلب الورق أي الدراهم. في حين يُشار إلى أن الاصطلاح الفقهي المرتبط بالتورق، يعني شراء سلعة ليبيعها إلى آخر غير بائعها الأول، للحصول على النقد. كأن يقوم المرء بشراء سلعة بثمن مؤجل، ثم يبيعها لآخر نقداً، لرغبته في الحصول على النقد. فإن باعها إلى بائعها الأول نفسه؛ فهي العِينَة الممنوعة، أما إن باعها إلى طرف ثالث فهي التورق. وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز شراء الرجل سلعة بالآجل، وبيعها إلى غير بائعها نقداً، وغرضه الحصول على النقود.

وهذه التعريفات رغم شموليتها ووضوحها، إلا أن الخلاف حول شرعية (التورق) الذي تقدمه المصارف الإسلامية، ما زال يثير الكثير من الجدل بين العلماء. ومحل الجدل عادة ما يتركز في (صيغة البيع الشرعي الصحيح)، و(آلية التطبيق) اللذين يُعتقد بأن بعض المصارف الإسلامية، لا تلتزم في الغالب بتطبيقهما كما يجب.

أنواع التورق وأحكامها

يقسم فضيلة الشيخ الدكتور يوسف الشبيلي التورق المصرفي إلى نوعين، الأول وهو (بيع التورق الحقيقي المعروف لدى الفقهاء المتقدمين)، والثاني هو: التورق المنظم، الذي يقوم على (شراء السلعة من المصرف بالأجل مع توكيله ببيعها). ويذهب الشيخ الشبيلي إلى إجازة النوع الأول بشرط (ألا يبيع العميل - المستورق - السلعة المشتراة حتى يملكها ملكاً حقيقياً، ويقبضها القبض المعتبر شرعاً)، وألا يبيعها على المصرف البائع؛ لأن ذلك من العينة. في الوقت نفسه الذي حَرَمَ فيه التورق المنظم، بسبب عدم تحقيقه القبض الواجب شرعاً؛ ولأنه عقد صوري، فهو حيلة على الربا.

١- **التورق في اصطلاح الفقهاء**: هو شراء شخص - المستورق - سلعة بثمن مؤجل من أجل أن يبيعها نقدا بثمن أقل غالبا الى غير من اشتريت منه، بقصد الحصول على النقد. وهذا التورق جائز شرعا، شرط أن يكون مستوفيا لشروط البيع المقررة شرعا.

٢ - **التورق المنظم في الاصطلاح المعاصر**: هو شراء المستورق سلعة من الأسواق المحلية، أو الدولية، أو ما شابهها بثمن مؤجل يتولى البائع الممول ترتيب بيعها، إما بنفسه أو بتوكيل غيره أو بتواطؤ المستورق مع البائع على ذلك، وذلك بثمن حال أقل غالبا.

٣ - **التورق العكسي**: هو صورة التورق المنظم نفسها، مع كون المستورق هو المؤسسة والممول هو العميل.

٤- **لا يجوز التورقان - المنظم والعكسي-** وذلك لان فيهما تواطؤ بين الممول والمستورق، صراحة أو ضمنا أو عرفا، تحايلا لتحصيل النقد الحاضر بأكثر منه في الذمة وهو ربا.

أطراف عملية التورق

١- العميل: يشتري بالأجل من البنك (عقد بيع بالتقسيط).

٢- البنك: عقد بيع للعميل بالآجل (بيع بالتقسيط).

٣- مشتري: يشتري السلعة من العميل نقداً.

لماذا ظهر التورق في المصارف؟

١- تلبية إحتياجات العملاء من النقد.

٢- تجنيب العملاء للخسائر العالية.

٣- تجربة حديثة لتمويل العملاء.

الضوابط الشرعية للتورق

بيع التورق من البيوع الجائزة (قرار مجلس الفقه الإسلامي في دورته الخامسة عشرة بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٣١م). كما صدرت فتوى من هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية بإجازته.

عقود التورق

١-عقد بيع بالأجل مع طرف.

٢-عقد بيع بالنقد مع طرف آخر.

آلية عمل التورق

١- يشتري البنك كمية من السلع ويتملكها.

٢- يعرض البنك السلعة على العملاء لشرائها.

٣- يتقدم العميل للبنك بطلب شراء وحدات معينة من السلع.

٤- توقيع عقد بيع بالتقسيط بين البنك والعميل (بيع على الوصف).

٥- تملك العميل للوحدات بموجب مستندات.

٦- توكيل العميل للبنك لبيع السلعة نقدا، وإيداع المبلغ في حسابه.

٧- سداد العميل للاقساط المستحقة.

آلية التورق في المصارف الاسلامية

ويتمثل تطبيق منتج «التورق» في المصارف الإسلامية، من خلال شراء البنك كمية من السلع التي تتسم بالثبات النسبي في أسعارها، والتي يمكن ضبطها ووصفها للعميل بما ينفي الجهالة. وقد يتم شراء هذه السلع من السوق الدولية عبر وسطاء للبنك، وترتيبات مع أطرف مختلفة، أو يتم الشراء من السوق المحلية، ومن ثم يتقدم العميل بطلب لشراء كمية من هذه السلع المملوكة للبنك، على أن يسدد ثمنها على عدة أقساط شهرية أو سنوية، أو حسب الاتفاق بينهما.

وبعد دراسة طلب العميل وموافقته؛ يتم التوقيع على عقد بيع آجل، أو مرابحة بين البنك والعميل، ثم يتملك العميل السلعة، ويكون له الحق في قبضها والتصرف فيها، أو بيعها. ويوكل العميل عادة البنك ببيع هذه السلعة لحسابه نقدا، وإيداع ثمنها في حسابه، بشرط أن يتم البيع على طرف ثالث خلاف الطرف الذي سبق أن اشترى منه البنك هذه السلعة. وفي بعض البنوك يوكل العميل المورد ببيع السلعة نيابة عنه، وتحويل قيمتها إلى حسابه طرف البنك، على ألا يضمن البنك للعميل بيع السلعة بثمن معين في السوق، ولكن يبيعها بأفضل سعر، حسب ظروف العرض والطلب وقت البيع. ومن المعروف أن المصارف تجري نوعين من عقود

«التورق»: النوع الأول:- التورق الحقيقي، وهو أن يحتاج شخص ما إلى النقد؛ فيشتري سلعة من البنك بثمن مؤجل، ثم يبيعها على غير البنك نقدا، وهو «تورق» يجيزه بعض الفقهاء بثلاثة شروط:

١- أن يتملك البنك السلعة ويقبضها قبل أن يبيعها على العميل.

٢- ألا يبيع العميلُ السلعة المشتراة حتى يملكها ملكية حقيقية، ويقبضها من البنك القبض المعتبر شرعا.

٣- ألا يبيع العميل السلعة إلى البنك، ولا على الشخص الذي باعها إلى البنك أولا، وألا يكون هناك تواطؤ أو عرف بذلك؛ لأن هذا من العينة المحرمة.

النوع الثاني: «التورق المنظم»، وهو شراء السلعة من البنك بالأجل مع توكيله ببيعها قبل أن يقبضها - أي العميل - والأغلب أن يكون هذا النوع من «التورق» في السلع الدولية، كالمعادن، وقد يكون في السلع المحلية، كالحديد والأرز والمكيفات والسيارات وغيرها.

والفرق بينه وبين «التورق الحقيقي»، أن العميل في «التورق المنظم» لا يقبض السلعة ثم يبيعها بنفسه، فليس أمامه إلا خيار واحد، وهو أن يوكل البنك ببيعها، بينما في «التورق الحقيقي» يكون العميل بالخيار بين أن يحتفظ بالسلعة، أو يبيعها بنفسه في السوق؛ لأنه قبضها قبضا يتمكن به من التصرف فيها بما يشاء.

وقد تضع بعض البنوك خيارات متعددة للعميل في نماذج «التورق المنظم»، كأن تخيره بين أن يقبض السلعة بنفسه، أو يوكل البنك في ذلك، أو يوكل طرفا ثالثا له علاقة بالبنك، وهذا التخيير في الواقع شكلي؛ لأن «التورق المنظم» إنما يكون في سلعٍ يصعب على العميل قبضها، أو التصرف فيها، ولهذا لو اختار العميل أن يقبض السلعة؛ فسيجد أمامه عراقيل كثيرة، أقلها أنه سيخسر في السلعة خسارة مضاعفة، ما يضطره حتما إلى توكيل البنك، أو من يختاره البنك.

هل يتوافق التورق مع أحكام الشريعة

يعتقد كثير من المختصين في عالم المصارف الإسلامية والتمويل الإسلامي، أنه نظراً للمتغيرات المستمرة في هذا العالم، فإن كثيراً من التحديات والمشكلات تواجه عالم المصارف الإسلامية، وتتطلب مواجهة وحلولاً، وهو ما تمكنت الصيرفة الإسلامية من تقديم حلول ناجحة لكثير من التحديات. ومن هنا - دائما - يأتي السؤال الذي يشير إلى أنه كلّما زادت متطلبات المرء، ازدادت حاجته لمصادر التمويل اللازمة لتلبية تلك المتطلبات، فكيف يمكن تحقيق أهدافه وطموحاته في عالم من المتغيرات والتعقيدات التي تحكم شئون التمويل، دون الحاجة للتنازل عن المبادئ والمعتقدات؟ ومن هنا، جاءت فكرة التعامل مع التورق كتمويل متوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية تم تصميمه ليوفّر السيولة التي يحتاجها المرء، ضمن إطار من الخدمة الراقية الملتزمة بمبادئ الشريعة الإسلامية.

ويتيح التورّق تسديد كافة التزامات المرء المالية الحالية، والبدء في الاستمتاع بتمويل مبنيّ على أحكام الشريعة الإسلامية. وغالباً ما تتميّز عملية الحصول على هذا التمويل بالسرعة والسهولة، إضافة إلى كونها حاصلة على موافقة هيئة الرقابة الشرعية. وعلى الرغم من الجدل الدائر باستمرار حول موضوع التورق، إلا أن كثيرا من علماء الاقتصاد الإسلامي حسموا الأمر بعدم مشروعية التورق، كأحد المنتجات التمويلية للبنوك الإسلامية، مستندين إلى سوء تطبيقات

البنوك الإسلامية والتقليدية، التي تقدم له منتجات تتوافق مع الشريعة له. فقد أشار الدكتور حسين حامد حسان رئيس الهيئة الشرعية لبنك دبي الإسلامي إلى أن فقهاء أقروا بالإجماع عدم مشروعية التورق، وأن تطبيقاته في البنوك لم تكن دقيقة، وشابها بعض الشبهات التي دفعت العلماء إلى الإجماع على تحريم التورق المنظم. وذكر أن سبب تحريم التورق يعود إلى أنه لا يحتمل الخسارة التي ينطلق منها الاقتصاد الإسلامي في تحمل نسب المخاطرة والخسارة، مؤكدا أن هذا الإجماع على التحريم يدعمه قرار من هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية. وتبرز دائما قضية جدوى فتوى الهيئات الشرعية في البنوك لمنتج التورق، في الوقت الذي تدور فيه شبهات وشكوك حول مدى جدية والتزام البنوك نفسها بما أجازته الهيئات الشرعية، خاصة أن مفهوم واستيعاب المصرفية الإسلامية غير واضح من قبل كثير من العاملين في البنوك التي تقدم خدمات مصرفية إسلامية، وندرة المتخصصين في هذا المجال. وكان الشيخ سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء السعودية، وأحد أبرز الشخصيات العاملة في الهيئات الشرعية في معظم البنوك السعودية والدولية، قد نبه بأنه لا يجوز في عملية التورق أن يبيع العميل البضاعة على البنك، بل ينبغي أن يبيعها على طرف ثالث؛ لأنه لو باعها على البنك صار من بيع الرنة، وبيوع الرنة هي حيلة من الحيل الموصلة إلى الربا، وفي الأمر نفسه ينبغي



د. حسين حامد حسان



الشيخ سليمان المنيع

أن تكون السلعة التي يشتريها العميل معلومة إما بالصفة أو بالرؤية.

ويتم تطبيق التورق في عدد من البنوك، بهدف توفير السيولة النقدية لشريحة مهمة من عملاء المصارف، من خلال أداة تمويلية إسلامية من دون تعريضهم لخسائر مالية كبيرة. ويتمثل تطبيق منتج التورق في المصارف الإسلامية من خلال شراء البنك كمية من السلع التي تتسم بالثبات النسبي في أسعارها، والتي يمكن ضبطها ووصفها للعميل بما ينفي الجهالة. وقد يتم شراء هذه السلع من السوق الدولية عبر وسطاء للبنك، وترتيبات مع أطرف مختلفة، أو يتم الشراء من السوق المحلية، ومن ثم يتقدم العميل بطلب لشراء كمية من هذه السلع المملوكة للبنك، على أن يسدد ثمنها على عدة أقساط شهرية أو سنوية، أو حسب الاتفاق بينهما. وبعد دراسة طلب العميل وموافقته، يتم التوقيع على عقد بيع آجل، أو مرابحة بين البنك والعميل، ثم يتملك العميل السلعة، وله الحق في قبضها والتصرف بها أو بيعها. ويوكل العميل عادة البنك ببيع هذه السلعة لحسابه نقدًا، وإيداع ثمنها في حسابه، بشرط أن يتم البيع على طرف ثالث غير الطرف الذي سبق أن اشترى منه البنك هذه السلعة. وفي بعض البنوك يوكل العميل المورد ببيع السلعة نيابة عنه، وتحويل قيمتها إلى حسابه طرف البنك، على ألا يضمن البنك للعميل بيع السلعة بثمن معين في السوق، ولكن يبيعها بأفضل سعر حسب ظروف العرض والطلب وقت البيع.

* رئيس قسمي المحاسبة ونظم المعلومات بجامعة الزرقاء الخاصة –الأردن



الكتاب : مجموعة «خاتم في مياه بعيدة»
المؤلف : بسمة النسور
الناشر : مؤسسة التنوخي للطباعة - المغرب

■ **عبدالله المتقي***

صدر عن مؤسسة «التنوخي» للطباعة والنشر والتوزيع بالمغرب، الطبعة الأولى من مجموعة«خاتم في مياه بعيدة للكاتبة الأردنية بسمة النسور. أضمومة تقع في ٧٦ صفحة من القطع الصغير، وتزين غلافها لوحة تجريدية للفنان بنيونس عميروش. وقد ضمت بين حناياها (٥٩) قصة قصيرة جدا، صيغتها المؤلفة تارة بتقنية «السرير الفرويدي» الذي يمنح إمكانيات البوح القصوى للعديد من الحالات الجوانية المستعصية، وتارة أخرى بتقنية «الكاميرا المحمولة»، التي تتوق إلى تأبيد بعض المشاهدات الواقعية التي تضعها الحياة في مهب المفارقة. وعلى ظهر غلاف المجموعة.. نقرأ الشهادة التالية للقاص المغربي أنيس الرافعي: «توجيز السرد وتقطير العطر: وجهان لبلاغة واحدة».

بلاغة القبض على الجوهر الخالص، بتواضع وإطراق من يسعى لرؤية الكون في حبة رمل. غير أن هذا الجوهر فادح إلى أقسى الحدود، ومشرع على أقصى احتمالات الخذلان، إذا تعلق الأمر بكاتبة من طراز بسمة النسور، تعودت على استخلاص هذا الجوهر بشفرة حادة، من لحم الروح والتجربة وأعطاب الوجود، كي تقدمه لنا فيما بعد على شكل حفنات ذكية، حادة، مركزة، وعلى شفير الصمت الناطق الذي لا يشي بكل شيء، وإنما على وتيرة اللمعان الذي يشرق ويغرب.. مثل «خاتم في مياه بعيدة». فصرامة النحات التواق إلى الكمال، ودقة النسر المترصد في الأعالي، وحكمة المتفاني في مكابدات الحد الأدنى للعالم. كلها شيم تتجاور وتتساكن دون انفصال أو انفصام في هذه البروق الجميلة.. الجميلة حقا..الجميلة إلى الأبد.. الجميلة بجدارة سامقة، لا يمكن لباطل التلقي أن يطيح بأساساتها المتينة. وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن هذا العمل الجديد هو المحطة السادسة ضمن المدونة القصصية لرئيسة تحرير مجلة «تايكي» المتخصصة في الأدب النسوي بعد مجاميع: «نحو الوراء» (١٩٩١م)، «اعتياد الأشياء» (١٩٩٤م)، «قبل الأوان بكثير»(١٩٩٩م)، «النجوم لا تسرد الحكايات» (٢٠٠١م)، و« مزيدا من الوحشة «(٢٠٠٦م).

---

* كاتب من المغرب.



الكتاب : جدل الثقافة والإبداع.
المؤلف : عزمي خميس.
الناشر : وزارة الثقافة الأردنية ٢٠٠٤م.

■ **سمير الشريف***

أخيرا، نزل الأديب (عزمي خميس) عند رغبة الذين طالبوه بجمع افتتاحيات مجلة أفكار في كتاب. ووضع بين أيدي الأجيال عصارة خبرته في الساحة الثقافية، بتواضع المفكر وحساسية الأديب.

علمنا عزمي خميس درسا في التواضع الناضج البعيد عن الإدعاء، ذاك الرجل الذي خدم الحركة الثقافية بدأب، مخلصا لقناعاته دون أن ينتظر مكافأة من أحد، وظل شعاره (إنني أعمل بدافع الإخلاص كما أقوم به).

طلبت من الأستاذ عزمي خميس وبإلحاح إجراء مقابلة لصحيفة بالخارج، محاولا أن أحصل على نسخة لمجموعته القصصية لأكتب عنها، فكان يرد بتواضع جم (ليس في الأمر ما يستحق)، ويزوغ من الإجابة حتى أدركت أن الرجل لا يسعى إلى الأضواء.. بل يهرب منها، وتلك فلسفة لا يملك المرء إلا أن يقدرها ويحترمها.

عزمي خميس مرجع للثقافة الأردنية في مخاضاتها ومنابرها، يغوص في هموم الإبداع والمبدعين، فيخرج إليك بما يشخص الحالة.

وراء الغوص العميق والكشف الدقيق والرصد الاستشرافي في مقالات عزمي خميس التي ضمنها كتابه (جدل الإبداع والثقافة)، يستطيع المرء أن يمسك خيطا من حزن إنساني جميل، فماذا قال الرجل؟

لنقف أولا مع تواضعه في مقدمته؟

يقول، وعلى العكس من المقدمات، تجترح البطولات الوهمية والفتوحات المدّعاة لأصحابها في تقديمهم لكتاباتهم «لا شيء مما يمكن لفت الأنظار إليه، أو توجيه القارئ نحوه في هذه الموضوعات؛ فهي لا تملك إلا قناعة كاتبها».

لن نستطيع أن نفي كل مقالة، حقها ولكننا نستشهد فقط؛ فالنص المبدع هو الذي يزرع في خلاياك جرثومة القلق الذي لا شفاء منه، ويفجر فيك براكين العواطف والمشاعر والأحاسيس، ويفتح

لك أبواب الرؤى الجامحة والخيالات العصية، أما موهبة التزييف، فلا يجد من يتصدى لها، كما تفعل الشركات الكبرى، حينما تسحق المنتجات المزيفة بالمداحل، إذ أن من زيفّوا الفن «وبهدلوا» (النفري وابن عربي ولوركا)، لا يحصيهم العدد ممن نزعوا الهيبة عن الشعر، ومزقوا الذوق، وشوهوا النظرة للأدب.

المبدع الحقيقي لن يكون مبدعا إن لم يمتلك حس الدهشة، وهو من يعيش فكرته ويموت من أجلها، ويتوحد بها، ويحيا بعيدا عن الانفصام الحاد، المستشري بين لسان المبدع ونتاج قلمه.

عن مهمة الناقد التي باتت في منأى عن محاكمة المضمون، ودفنت المؤلف، وانهمكت في تحليل هيكل النص مجردا من روحه، مكتفية بممارسة لعبة حل الأحاجي والألغاز، سعيا وراء المهارات اللغوية واللفظية، مهملة حيوية النص وأبعاده العميقة، وأن الحداثة التي لا تأتي إلا بالخروج على الأصول المترسخة عبر تجارب المبدعين ليست سوى وهم؛ فالإبداع حصيلة تراكمات، أما القفز في الهواء.. فليس له إلا السقوط، حتى لو تحت شعار التجريب.

من هنا، تنبع إشكالية النقد الذي يكون في الأصل عالة على النصوص وتابعاً لها، الأمر الذي فعل فعله في نفوس النقاد ودفعهم دون وعي، لخوض صراع خفي مع الإبداع في محاولة لتجاوز عقدة التطفل والتبعية بتنصيب أنفسهم أوصياء على النصوص لتنشأ التفكيكية، وكافة المناهج الحديثة ممن تنظر للنص بعيدا عن مؤلفه، ولنجد أنفسنا أمام إشكالية وضعنا النقد أمامها، مع ما يلحق بالنصوص من تمزيق وإضافة وتأويل وإعادة صياغة، فأين النقد الذي يحافظ على براءة النص ويحترم مبدعه وينظر للعمل ككائن حي تحاوره وتختلف معه، ولا نقمعه ونشوهه؟

يقودنا هذا لانتشار ظاهرة محيرة اسمها الأعمال الكاملة، فلماذا يقوم أصحاب هذه المبادرات بها؟ هل لأن أعمالهم في حياتهم لم تلق ما تستحق، فيعزي الكاتب نفسه بمثل هذه المهمة.. كأنما يكرم نفسه بنفسه؟ أو يحاول أن يلفت النظر له عند مقارنة بينه وبين الأعلام المشهورين في العالم ك(مارجريت ميتشل)، التي لم تكتب غير رواية واحدة، و«والت ويتمان» الذي لم يبدع غير ديوان شعر، و(كيركجارد) الذي لم يشارك في ندوة في حياته، بينما المسكين هنا، ألفّ عشرات الروايات وعقدت له عشرات المقابلات، صحيح أن النشر أصبح ميسورا أمام من يقدر أن يدفع، لكن على المرء ألا ينسى أن احترام الكاتب لا يتم بعدد الإصدارات.. بل بمستوى ما قدّم، لهذا نرى مبدعين بلا إضافات..لأن الإبداع الحقيقي يرتقي فوق الجغرافيا والأيدلوجيا واللقب..حين يلامس جوهر الإنسان.

المبدع الحقيقي لا يستند لغير إبداعه، ولا يكتسب قيمته من لقبه العلمي، ولا اسم الصحيفة التي يكتب بها، الآلاف شاركوا في الحرب العالمية، لكن (همنجواي) وحده من صاغ من تجربته أدبا خالدا.

الأدب الخالد هو الذي تحركه الأسئلة الإنسانية الكبرى، وغير ذلك مجرد ثرثرات تمتلئ بها الصفحات، وتراكمات ستجرفها بلا شك رياح النسيان.

---

* كاتب من الأردن.

الكتاب : المدهون بما لا نعرف
المؤلف : رنا جعفر ياسين.
الناشر : دار سنابل للكتاب - القاهرة.



(المدهون بما لا نعرف)، هو عنوان الاصدار الرابع للشاعرة والإعلامية والتشكيلية العراقية رنا جعفر ياسين، صدر مؤخرا عن دار سنابل للكتاب في القاهرة.

وقدم الكتاب الذي صنفته الشاعرة بوصفه نصوصا جمعت فيها بين الايجاز والسرد، تكامل تجربة رنا جعفر ياسين الشعرية والتشكيلية. ويعد نصا واحدا متصلا، منفصلا الى تسعة عشر مشهدا مختوما ً بالترقيمات دونما عناوين فرعية، ملاقحاً الشعر بالتشكيل في كل مشهد، من خلال رسومات داخلية بالحبر الأسود للفنانة.

وقالت الشاعرة عن نصوص (المدهون بما لا نعرف)، إنها محاولة لخلق حالة بحث عن اللامسموع واللامرئي، اللامسمى واللاممسك، الأكثر غموضا من المجهول، من خلال توظيف لغة مركبة وفضفاضة، ورؤى تنفتح على دلالات مختلفة قابلة لأكثر من تأويل.

وجاءت النصوص فيه بموازاة اللوحات للبحث عن الغامض المغمض، مؤكدة رؤى الشاعرة المغايرة للمألوف والحتمي، اذ لا يمكن الخروج بنتيجة واحدة خلال قراءة النصوص، بل يحتاج الى أكثر من قراءة، وفي كل قراءة تنرسم صورة مختلفة، وتتبلج دلالة جديدة.

وتمكنت الشاعرة من فرض حالة الغموض ابتداء من العنوان (المدهون بما لا نعرف).. مرورا بالإهداء الذي كتبت فيه: (إليه فقط.. والى كل ما حوله من غموض وبالونات وأسئلة معلقة)، وقوفا وانتهاء بالنصوص والتخطيطات الداخلية.

يقع الكتاب في (٩٤) صفحة من القطع المتوسط، وضم غلافه لوحة من الكولاج للشاعرة، وتضمن غلافه الخلفي مقطعا

من أحد النصوص الداخلية جاء فيه:

قمْ، وامشِ إلى دائرتكَ اللاعنةِ القرف

انظرْ أنيقاً إلى العالمِ المتكوِّرِ في راحتكَ..

تبصرْ الخبزَ الجالسَ بمحاذاةِ اللذة، وقد تبصرْ أيضاً الماءَ المنسابَ من رغوةِ الجرائم.

لن تفكرَ:

(اليومُ القادمُ ينحني للمقدام القاهرِ للصمت)

ستلوي النهارَ حتى ينكسرَ، وتخرجَ منهُ بملءِ بياضكَ.

والشاعرة رنا جعفر ياسين من مواليد بغداد عام ١٩٨٠م، درست الهندسة المعمارية فيها. وهي تقيم في القاهرة منذ أكثر من عامين، صدر لها من قبل ثلاث مجموعات شعرية هي (طفولة تبكي على حجر)، الصادرة عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عام ٢٠٠٦ م، و(مسامير في ذاكرة) الصادرة في القاهرة عن دار المحروسة للنشر والتوزيع عام ٢٠٠٧ م، بينما صدرت مجموعتها الشعرية الثالثة (مقصلة بلون جدائلي) أواخر عام ٢٠٠٨ م، في القاهرة عن دار سنابل للكتاب أيضا.

ومن مشاهد (المدهون بما لا نعرف):

قشطَ الحكايةَ بأنصافِ الأسرار، متمادياً كنزَقٍ ملول. لم تغدرهُ المعاولُ ولم تتحايلْ عليهِ المياهُ المساهمةُ في عجنِ السماءِ بأديمِ الخواء.

كلُّ ما تناثرَ أرشدهُ للنهبِ.. فقط يدانِ تكفيان لردمِ المخفيِّ من الانكسار.

لن تكفي الوجهاتُ لهجرةِ الدخان.

القدرُ الأقربُ بجوارِ استغاثةٍ لا يراها المُعمَّدونَ بفيضِ القمع، بل كلما اشتدَّ فحيحُ الهروب.. أُغمضتْ خطواتُهم على السوادِ المقابل، فلا يدلُّهم الهشُّ من الريحِ على مداخلِ الوحلِ الرطب.

هكذا يخمشُ البصماتِ المحفورةَ على الكآبة:

(لا.. لستِ أنتِ المبللةَ للنهاية

أنتِ فقط الهادرةُ باللهيب.

لن أكتفي من النارِ بآثارِ الندب

سأفتحُ اللهيبَ على مصراعيهِ لأبعثرَ نومَهُ

وأصعدُ حتى آخرِ الضوءِ علَّني أدفأُ بالضباب.

أغامرُ بنكهةِ النعاسِ

لينكتبَ الكلامُ على أطرافِ الأوبئةِ التي عبرتُها بحذاءٍ مُحطمِ).

المهربُ على ثقبٍ مُقتلَع، يتواطأ مع المُفزعِ من التكوين، ويتهامسان للنيلِ من الأسئلةِ ذاتِ الايقاعاتِ الفوضوية. كلُّ ما ينقصُ الاكتمالَ يتماهى ليزجَّ نفسهُ في تلكَ الخلوةِ المتحوِّلة.. حيثُ الحكاية بُعريٍّ يتخدَّرُ من شدةِ لزوجةِ هامشِ الموت.

الكتاب : ديوان «أنظر وأكتفي بالنظر».
المؤلف : عبدالرحيم الخصار.
الناشر : دار الحرف بالمغرب.



■ **عبدالغني فوزي***

هل بإمكان الشعر أن يقود العالم؟

ديوان «أنظر وأكتفي بالنظر» للشاعر عبدالرحيم الخصار يعلن قلقه في وجه السطوة الملازمة..

صدر مؤخرا عن دار الحرف بالمغرب ديوان شعري بعنوان «أنظر وأكتفي بالنظر» للشاعر عبدالرحيم الخصار، ويمتد على مدار مئة وثمانٍ وعشرين صفحة، من الحجم المتوسط، تحتوي على اثني عشر نصا هي: (الربان الأعمى، حطاب الأشجار الهرمة، ليس ذنبي أن يغرق هذا المركب، أبي، الأمازيغي، حسن مطلك، دعي العالم يقيم في نزل المجانين، أورتان، مليكة، هذا ما يفعله الحب بي، المحارب، دع عصافيرك تغرد على أشجاري). عناوين لا توصد الباب، ولا تتقنع أمام القصائد؛ بل تدفعك لتنخرط في صف هذه القصائد، والتي هي بمثابة رحلات على قدر كبير من التعدد والتشابك بين حالات ووضعيات، بين الجزئي والكلي، بين التفاصيل نفسها في تلك المعارك التي تنفض العالم من دسائسه، وتسلطه الذي لا ولن يستسيغه الشعر أبدا.

يبدو لي أن قراءة أحد أعمال هذا الشاعر، تقتضي لفت النظر لمدونته الشعرية، ابتداء من مجموعته الشعرية «أخيرا وصل الشتاء» إلى «نيران صديقة»، هذا فضلا عن حواراته وانخراطه في المشهد الشعري المغربي والعربي بالمتابعة والتفاعل. وهو ما سعيت إليه وأنا أقرأ هذه المجموعة الشعرية، فرأيت أن صياغتها المغايرة لها امتدادات وتقاطعات. فكثيرة هي الكلمات الواردة في الديوان التي تتحول إلى مفردات حياة في الشعر، وبه تنسج الرؤيا، وتقطع العالم من زاوية ما. يقول هنا في إحدى حواراته مع القاصة منى وفيق: «الفصل الذي يغويني

كثيرا هو الخريف، لأنه في اعتقادي هو الحقيقة الوحيدة، الحياة هي الخريف». وفي الآن نفسه تقول المجموعة الشعرية قيد النظر في قصيدة «الربان الأعمى»[١]:

في زحمة الفصول

لم أنتبه إلى خطاي

فوضعت قدمي باكرا في الخريف

لم تجن علي الجسور التي عبرتها

ربما جنى علي هوسي بالغابة..

إن الشاعر ضمن المرحلة التي ينتمي إليها، لا يعبر عن موضوعات محددة بشعرية تراتبية ضمن قالب حيكت مصفوفاته؛ بل يدخل في مواجهة مع ذاته، لتغدو معبرا يؤزم الأشياء، لأنه يعيد تشكيلها ضمن أفق واحتمال مغايرين.

من هذا المنطلق، تسوق مجموعة «أنظر وأكتفي بالنظر» خرائب ذات صغيرة تحت وطء العالم والوجود. في هذه الحالة، تتحول القصيدة بدورها إلى معبر لحيوات عديدة، ترتكن لذات تتدحرج على مرأى من العالم بين التفاصيل والقضايا الكبرى. من هذا الباب، قد تقول القصيدة بعض الحكايا بكيفية شعرية. وفي هذا توسيع لإمكانيات القصيدة التعبيرية والتخييلية، لتكسير أي تمركز غنائي غافل.

الشاعر هنا يحكي شعرا.. بعضا من التاريخ والحب والشعر أيضا، أو قل علائق الذات. فتغدو هذه الأخيرة كأداة سابحة في امتدادات عديدة، امتدادات الحياة والوجود الإنساني. تقول المجموعة في قصيدة «حطاب الأشجار الهرمة» [٢]:

هل هذه هي الحياة التي انتظرناها طويلا يا صديقي؟

هل هذه هي الأفكار التي رتبناها في دفاتر الطفولة؟

كم حلمنا بأن يصل أجسادنا النحيفة والباردة

شعاع من الشمس التي تختفي وراء الجبل

سرنا على الأرض حتى تشققت جوارحنا

سرنا أيضا في الماء بلا معجزة

وفي عز أحلامنا خذلتنا الطريق

سرد شعري يقدم أحداثا وأماكن على الرغم من ملامحها الواقعية، فإن السياق غير الآني، والشعرية المتعددة الأوجه، حولت المعطيات إلى إطارات غير مرتهنة لزمن؛ بل لصيقة بتحققات تنطبق على أي إنسان ينوء في أي مكان وزمان.

تصور المجموعة رحلات لصيقة بالذات، بين المصير الفردي والجماعي المرمي لجبر السلط والمصادفات، وبلادة التاريخ الجارف. لكن سرعان ما تتعدد أنفاس القصيدة لتسوق تعددها ضمن تجانس مركب (نفس غنائي وملحمي)، يجعل القصيد بمثابة إقامة فسيحة، كلما فتحت بابا، يقودك لباب آخر كأن النص طبقات من التشكيل. وهي أوليات تركيبية وتخييلية تطوي على تجربة حياة غنية بترحلاتها في الهواء، أو امتداد الحياة والمرجع.، أقول هي أوليات، يقتضي فكها بهدوء وحذر حتى لا نفقد للقصيدة طينتها المركبة.

نعم في إمكان الشاعر أن يقود العالم انطلاقا من وعائة الذي تستحم فيه الحروب. وعليه، فالذات تتعدد وتتقمص وضعيات وحالات تجعل المتكلم متعددا، محيلا على ضحايا المرحلة، وعلى أبطال أساطير، وعلى قدر كبير من الماء في ذاك العمق غير المنتهي، في احتمال حياة أخرى، ولو في الافتراض الشعري. تقول المجموعة في قصيدة «المحارب»[٣]:

إلى أين أمضي؟

الكلاب في وطني تخنق الهواء بنباحها

والطرائد تسقط في أول رحلة صيد

البؤس يعدو أمامي على الرصيف

والخسة تحدق في من الشرفات

الأشرار هنا يسوقون عربات الورد

والشياطين يلقنون دروس الإيمان

يغلب ظني أن المجموعة تخففت بما يكفي، من ثقل الخطابات وحيفها في التسييج والتضليل وتحريف الشعر أيضا.. والتفتت لنفسها الثكلى ضمن الحياة، معانقة وهمها الجميل. وهو ما يثبت أن الشعر بإمكانه أن يقود العالم في ذاك الوهم الصافي، بوصفه أصل الهدم بمعاول البلور القابل للكسر نبضا نبضا. من هنا ترقب الذات العالم وتسوقه بالعلامات والرموز، بالصور التي تفتح اللغة نفسها على آفاق أخرى، لتتطهر من تخشبها البلاغي المتصلب في حديده المحروس.

توجه المجموعة كل سهامها وإمكاناتها اللغوية والتخييلية التي تتغذى على مقروء فلسفي وأدبي قلق، أقول توجه سهامها ضمن حرارة تجربة إنسانية تجاه الحياة. فغدت الحياة الصغيرة، كأنها ذات إنسانية تتغذى على قيم جوهرية في الوجود (قلق، انعتاق، حرية..). الشيء الذي انعكس على البناء الشعري: صور مركبة تتوالد تبعا للحالة والموقف.

سردية هنا لا تقدم أخبارا، بل تسوق حالات، تستحم في توصيف يسعى إلى تشخيص المتناقضات. فكانت الذات أرجوحة الشاعر لضم العالم والحياة إليها. في هذه الحالة قد تعبر الأشياء المحيطة بدورها عن الخلجات والمسالك الخفية.

ثمة في المغرب والأقطار العربية الآن، أصوات شعرية عميقة تخلق إقامتها الشعرية بطرائق ولمسات، تحتاج ليس للكشف ولوك الكلام التعميمي والمكرور حولها، بل إلى شحذ الأدوات لمعاركة هذه الأعمال، كل على حدة لإنصاف هذا الشعر أولا وأخيرا، لأنه يغتني بتجارب ولمسات وإضافات.. فلنتحرر من صداقتنا النمطية مع الشعر؛ لأنه لن يتحول بشكل من الأشكال إلى بصل في كل الأفواه.

---

* كاتب من المغرب.

(١) مقطع من قصيدة «الربان الأعمى» من المجموعة نفسها ص ٧

(٢) المقطع الثاني من قصيدة «حطاب الأشجار الهرمة» من الديوان نفسه ص ١٨

(٣) المقطع الثالث من قصيدة «المحارب» من المجموعة الشعرية نفسها، ص١٠٢

الأنشطة الثقافية بالمؤسسة

• إعداد: عماد المغربي

سبل الاستثمار السياحي في تنمية اقتصاديات منطقة الجوف

أقيمت يوم الأربعاء ١٠/٦/١٤٣٠هـ في قاعة العرض والمحاضرات بدار الجوف للعلوم ندوة عن: «سبل الاستثمار السياحي في تنمية اقتصاديات منطقة الجوف»، شارك فيها: الدكتور علي بن إبراهيم الغبان - نائب رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار والمتاحف، والدكتور صلاح بن خالد البخيت - نائب رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار للاستثمار، والدكتور خليل بن إبراهيم المعيقل - عضو مجلس الشورى، وقدم لها الأستاذ حسين بن علي المبارك - المدير التنفيذي لجهاز السياحة بمنطقة الجوف، وحضرها عدد من أهالي المنطقة ومثقفيها، وجرى نقلها إلى القسم النسائي عبر الدائرة التليفزيونية المغلقة.

وخلال الندوة - ولأول مرة - عرض د. علي الغبان صورة لمشروع متحف منطقة الجوف الجديد، المزمع تنفيذه من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار، والذي تعادل مساحته ثمانية أضعاف مساحة المتحف الحالي.



صورة لمتحف منطقة الجوف الجديد المزمع تنفيذه

تخطيط واقتصاديات العمارة السعودية

أقيمت يوم الثلاثاء ١٤٣٠/٦/٢٣هـ في قاعة العرض والمحاضرات بدار الجوف للعلوم ندوة عن «تخطيط واقتصاديات العمارة السعودية»، شارك فيها الدكتور مشاري بن عبدالله النعيم - أستاذ النقد المعماري بجامعة الملك فيصل، والمهندس صالح بن ظاهر العشيش - نائب مدير عام المشاريع بوزارة الصحة، وقدم لها الأستاذ إبراهيم ابن موسى الحميد - رئيس النادي الأدبي بمنطقة الجوف، حضرها عدد من أهالي المنطقة ومديري الدوائر الحكومية، وقد نقلت للقسم النسائي عبر الدائرة التليفزيونية المغلقة.



أمسية شعرية

أقيمت يوم الثلاثاء ١٤٣٠/٦/٣٠هـ. «أمسية شعرية»، شارك فيها الشاعران جاسم محمد الصحيح، وإبراهيم حسين زولي، وأدارها عبدالبر علواني - المعلم بمتوسطة وثانوية الرحمانية.



ألقى الصحيح مجموعة من قصائده منها: (ما وراء حنجرة المغني - لا شيء مثل الحب - غراب على شجرة الميلاد - لجوء جمالي)، ثم أعقبه الزولي بمجموعة من قصائده من شعر التفعيله.. منها: (فجراً أتوك - كفن لا يليق بفقري - حيث النباتات تجلس عارية - قصائد ضالة تمارس شعيرة الفوضى (٢٢قصيدة قصيرة) - الثبوت - زيارة إلى روح أمي - دروب). وقد نقلت الأمسية إلى القسم النسائي عبر الدائرة التليفزيونية المغلقة.